

# حَضْرَةُ الثَّقَافِيَّةِ

Hadhramaut AL-Thaqafiah Magazine - June - 2017 شوال ١٤٣٨ هـ

مجلة فصلية - السنة الأولى العدد (4)

## التحضير للمؤتمر العلمي الدولي بجاكرتا (فعالية دور الحضارمة في إندونيسيا)



حديث خاص لفیصل العطاس ( النعیری )  
أوصى بأن ينشر بعد وفاته

محاولة ثانية لفهم السياق التاريخي  
لحصن العُر في حضرموت

ملف خاص عن الأديب والصحفي حسين البار

بندر حیریح (أم المستقاص)

بوابة وادي حضرموت والمهرة على المحيط الهندي

أدوار عولقية في التاريخ السياسي الحديث لحضرموت



فیصل العطاس

حصون نوح و سيبان  
ولبنة والحيسر تحت المجهر





من أعلام حضرموت



حسين بن محمد البار



# محتويات العدد

## حديث البداية

- اخضرار المستقبل ..... آ. محمد بن سالم بن علي جابر ..... 4

## أصوات

- من وثائق تاريخ حضرموت ..... أ.د. عبدالله سعيد الجعدي ... 10
- القضاة الحضارم في مصر من ٤٠-١٢٢٢هـ ..... د. محمد محفوظ عمر جويان ... 14
- أدوار عولقية في التاريخ السياسي الحديث لحضرموت ..... محمد عيدروس السليماني .. 17
- الحياة العلمية في وادي دوعن حتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري ..... عبدالله بن أحمد قنيوي... 21
- سوق الخريبة القديم ..... صالح باحيدرة .. 24
- حصون نوح وسيبان ولبنة والحيسر تحت المجهز ..... سالم محمد باراس... 26

## كتابات

- الليل يمحو كتابة النهار ..... د. سعيد الجريري ... 31
- انهمارات حضرمية ..... سالم العبد الحمومي ... 31

## تراث

- الأمن الغذائي في الموروث الثقافي الحضرمي ..... د. رزق سعد الله الجابري... 32
- دان جيبوتي وخصوصيته الحضرمية ..... د. عبدالباسط سعيد الغرابي... 34
- تتدوين ما تجاهله المدونون من الحكايات الشعبية ..... أحمد عمر مسجدي... 36

## ترجمة

- محاولة ثانية لفهم السياق التاريخي لحصن العر في حضرموت ..... د. خالد عوض بن مخاشن ... 40

## شخصيات

- الشيخ عبدالله بن حميد مبارك بامعبد ..... د. محمد يسلم عبدالنور ... 46
- المرحوم الشيخ / محمد عمر بامشموس مسيرة خير ... حافلة بالعطاء ..... أمين سعيد باوزير... 49

## حوار العدد

- فيصل علي العطاس (النعيري) في حديث خاص أوصى بأن ينشر بعد وفاته ..... مجدي باحمدان ... 52

## ملف العدد

- أصداء من "أصداء" للشاعر حسين محمد البار ..... أ.د. عبدالله حسين البار ... 65
- من ديوان "أصداء" للشاعر حسين بن محمد البار قصيدة "كيف أشقى" ..... د. ماهر سعيد بن دهري .. 74
- بعد العشق في شعر البار ..... د. عيده عبدالله بن بدر ... 78
- إشكالية وحدة حضرموت والجنوب العربي وعلاقتها باليمن في صحيفة "الرائد" ..... آ.د. علي الخلاقي... 83

## دراسات

- بندر حيريج (أم المشقاص) بوابة وادي حضرموت والمهرة على المحيط الهندي ..... طاهر المشطبي... 89

## معارف

- البقرة - في الاختلاف ودرجات التعريف - ..... د. أحمد سعيد عبيدون ... 95
- السيرة الذاتية من التسجيل إلى التخيل ..... د. طه حسين الحضرمي... 96
- الشروط الفنية لتحويل الرواية والقصة إلى دراما مسرحية تلفزيونية أو سينمائية ..... صالح باعامر... 98

## نقد

- أشعر الشعراء ونبذة عن علوم الشعر ..... عبدالله علي باسودان... 100

## إبداعات

- موت مرسال (قصيدة) ..... أ.د. عبدالعزيز الصيغ... 104
- وعد بالجنة (سرد) ..... د. أحمد علي السري ... 105
- شيء من المكلا وأشياء عن حي الشهيد ..... عبدالله ناصر السيلي... 109
- قبة المحجوب (سرد) ..... خالد لحمد... 110

## حكايات

- حكايات من المشقاص ..... فائز محمد باعباد ... 112
- توقيع قلم .. يا ناس خلوا الصياح ..... آ.د. عبدالله سعيد الجعدي... 114

## حضر موت الثقافي

### مجلة فصلية

السنة الأولى العدد ( 4 )

إبريل - يونيو 2017م

تصدر عن مركز حضرموت

للدراستات التاريخية والتوثيق والنشر

### صاحب الامتياز

الأستاذ محمد سالم بن علي جابر

### المشرف العام

أ.د. عبدالله سعيد بن جسر الجعدي

### رئيس التحرير

د. عبدالقادر علي باعيسى

### السكرتير الفني

حسن أحمد بلجعد

### الصف الالكتروني

عبدالله جمال

### التدقيق اللغوي

د. جمال رمضان حديجان

### الهيئة الاستشارية

أ.د. عبدالله حسين البار

أ.د. ناجي جعفر الكثيري

أ.د. مسعود سعيد عمشوش

أ.د. خالد يسلم بلخشر

د. طه حسين الحضرمي

د. أحمد سعيد عبيدون

د. صادق عمر مكنون

- المواضيع المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.  
- ترتيب المواد جاء وفق ضرورات فنية إخراجية.  
- المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتسلمها للنشر، سواء نُشرت أم لم تُنشر

### مراسلات المجلة

hc.magazine16@gmail.com

asaljaide@yahoo.com

العنوان : المكلا - باجمعان

عمارة بن سواد - ت: ٣٥٠١٣٥



# اخضرار المستقبل

عزيزي القارئ الكريم:

تغمرنا السعادة عندما نضع بين يديك صفحات مجلة (حضر موت الثقافية)، إذ إننا في مركز حضر موت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر نعمل إلى ترسيخ لغة الحوار، وجدلية المواقف، وتعدد الرؤى، وتلاقح الأفكار وعمقها مع طلاوة العبارة، وتكثيفها وبراعة الصورة وجمالها، فحضر موت - اليوم - تحاول أن تنفض عن كاهلها سنوات من التيه في داخل الوطن والمهاجر.

لقد أخذنا على عاتقنا منذ لحظة البداية مهمة تحريك الراكد الحضرمي - تاريخياً وثقافياً وحضارياً وتراثياً - من خلال البحث العلمي، والمنهجي، والدراسات الرصينة، والمعمقة التي تؤسس لفهم جديد لحضر موت الأرض، والإنسان، وترسخ مداميك الهوية القارة منذ فجر التاريخ، وما تعاقب عليها من حقبة استطاعت أن تصهر معادن التشكل الإنساني الحضرمي بتنوعاته وامتداداته، وترسخه في ذاكرة الحضارة الإنسانية بوصفه بوتقة حضارية ثرية، وعابرة للفضاء الكوني تفرداً، واندماجاً، وتأثيراً، وتأثراً.



الأستاذ:

محمد بن سالم بن علي جابر





إن الوعي بحقائق التاريخ يجعلنا في مركز حضرموت نبحت دائماً عن مكونات ومكونات الهوية الحضرمية غير غافلين عن علائقها الإسلامية، ووشائجها العربية التي كانت خير معنى معبر عنها في رحلة الإنسان الحضرمي الذي حمل رسالة خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وسلم) وطاف بها أصقاع الأرض منشداً الوسطية والاعتدال، وحسن الخلق والتأسي بسيرة خير الأنام وأخلاقه، فدخلت الأقوام في دول وممالك شرق أفريقيا، والأرجيل الهندي قاطبة في دين الله أفواجا.

القارئ الكريم:

واليوم، وفي ظل ثورة الاتصال وحروب الميديا، وتمزقات الحضارة، وتنافر الثقافات نأمل أن تعود الروح الحضرمية إلى جسدها النابض بالحب، والسلام، والتآخي لكل الأمم، والشعوب والحضارات لتبلي تطلعات إنسانها في رحلة بحثها عن بؤر الضوء والضيء في هذا الخضم لتعيد بوصلة الحضارة الإنسانية إلى جادة الحياة، ونبل الرسالة، وهي آمانيات لن تتأتى لنا إلا إذا ارتقى الجميع إلى سلم الهرم الحضاري الحضرمي الذي كان باسطاً زاوية نظره إلى هذا التشكل الشاسع الأرجاء منفتحاً على كل الآراء والأفكار مجادلاً بالتي هي أحسن، حينها تعود حضرموت الأرض، والحضارة، والتاريخ بوصفها خارطة كونية فتتجاوز رقعتها الجغرافية وطناً، وتتواشج مع خرائطها المهجرية أرضاً وإنساناً فتبقى ملهمة للأجيال ومجسدة للراهن الذي نحاول أن ننشره في صفحات هذه المجلة، وفي كل أنشطة المركز، وفعالياته، ومؤتمراته، وندواته، لعلنا بذلك الفعل نسكب قطرات من ندى في مياه حضرمية صافية جارية ترتحل بعشق في قنوات التاريخ، ونهر الحاضر لتخضر مراعي المستقبل.





6

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

## مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر يواصل تجديد الرسالة التنويرية ويفعل المشهد الثقافي والعلمي والبحثي

مجلس إدارة المركز يعقد اجتماعه الثالث لعام ٢٠١٧م



عقد مجلس إدارة مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر اجتماعه الدوري الثالث للعام الحالي ٢٠١٧م برئاسة أ.د. عبدالله سعيد الجعدي - رئيس المركز، وناقش عدداً من النقاط المتعلقة بعمل المركز منها :

- إقرار النظام الأساسي للمركز - تعديل مسميات إدارات المركز  
- جائزتنا المركز السنوية - فتح آفاق الكتابة أمام مجلة ( حضرموت الثقافية ) الصادرة عن المركز.

### مركز حضرموت للدراسات بالتنسيق مع مؤسسة الأمل للتنمية ينظمان محاضرة بعنوان : ( قراءة في التاريخ الحديث لمدينة بروم )

نظم مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر في إطار خطته لسنة ٢٠١٧م، وفي إطار اهتمامه بالنزول الميداني إلى مواقع مختلفة، محاضرة في مدينة بروم يوم الثلاثاء الموافق ٢٠١٧/٤/١١ مساءً وبالتعاون مع مؤسسة الأمل للتنمية، قدمها الدكتور خالد حسن الجوهي الذي تعرض لمحطات مهمة من تاريخ بروم الحديث تتعلق باهتمام الاستعمار البريطاني بموقعها الاستراتيجي المهم وإيفاد القبطان هنس لتقصي ذلك ولدور الصوفي مزاحم بن أحمد باجابر في لفت الانظار إليها مستعرضاً أوضاعها الاقتصادية والسياسية والجغرافية والاجتماعية في تلك الفترة من القرن التاسع عشر موطن الدراسة. وقد أعقب المحاضرة عددٌ من المداخلات والنقاشات والاسئلة من قبل الحاضرين.

حضر المحاضرة أ.د. عبد الله سعيد الجعدي رئيس المركز والأستاذ عبدالله بازعة مدير مؤسسة الأمل للتنمية ببروم وعددٌ من الأخوة مديري الدوائر بالمركز والأساتذة وجمع من المثقفين والمهتمين والطلبة.



مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

### ينظم ندوة علمية عن صحيفة ( الرائد ) الحضرمية

نظم مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر وبالتعاون مع (نادي متطوعون) ندوة بعنوان (حسين محمد البار.. رسالة صحيفة ورؤية أديب) في المدة من ٢٦ - ٢٧ / مارس / ٢٠١٧م بمدينة المكلا.



اشتملت الندوة على اثنتين وعشرين ورقة بحثية أسهم بها أكاديميون ودارسون مهتمون تناولت صحيفة (الرائد) ومؤسسها حسين محمد البار من جوانب فكرية، وسياسية، ومهنية، وفنية، وثقافية، وشخصية. حيث أبرزت الأبحاث عدداً من المواقف القومية والحقوقية والسياسية والاجتماعية والإعلامية والإخراجية المعاصرة لصحيفة (الرائد) الحضرمية التي صدرت في المدة من عام ١٩٦٠ - ١٩٦٤م.



حضر الندوة عددٌ من المهتمين بشؤون الصحافة والفكر والتاريخ الحضرمي، وصدر عنها عدد من القرارات والتوصيات منها:

- دعوة السلطة المحلية بمحافظة حضرموت للاهتمام بالثرات الصحفي الحضرمي ورواده.
- تسمية بعض القاعات بكلية الآداب جامعة حضرموت بأسماء رواد الصحافة الحضرمية.
- دعوة مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر للاهتمام بطباعة النشاط ( التاريخي والسياسي ) العام لرواد الصحافة الحضرمية .

- أن يتبنى مركز حضرموت للدراسات التاريخية التوثيق والنشر تنظيم مؤتمر علمي عن تاريخ الصحافة في حضرموت ( الخطية والمطبوعة ) في الداخل والخارج .





7

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

## مركز حضرموت ينظم محاضرة عن دور علماء حضرموت العلمي والاجتماعي في مدينة عدن من القرن السادس إلى العاشر الهجريين.

نظم مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر بالتنسيق مع رباط بحر النور للتربية الإسلامية محاضرة للدكتور طه حسين هديل بعنوان دور علماء حضرموت العلمي والاجتماعي في مدينة عدن من القرن السادس إلى العاشر الهجريين، وقد



حضر المحاضرة عدد من الأساتذة بجامعة حضرموت والأحقاف وعدن وجمع من المثقفين والمهتمين والطلبة حيث أسهم الجميع بالنقاشات الجادة والعميقة التي أثرت المحاضرة النوعية في مجالها والتي تعرضت لاستعراض عدد كبير من أسماء العلماء الحضارم الذين أسهموا في النشاط العلمي والاجتماعي في عدن منذ القرن السادس حتى القرن العاشر الهجريين في مجالات التدريس والإفتاء والتأليف والتصوف فضلا عن إسهام بعضهم في المجال التجاري إلى جانب نشاطه العلمي.. الجدير بالذكر أن هذه المحاضرة التي قدمها الأستاذ الدكتور طه حسين هديل أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية التربية جامعة عدن ورئيس قسم التاريخ تعد فاتحة لسلسلة من المحاضرات في مجالها عن إسهام العلماء الحضارم في النشاط العلمي والاجتماعي في لحج والضالع وغيرها.

### اللجنة العلمية بالمركز تعقد اجتماعها الدوري الثالث



عقدت اللجنة العلمية بمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر اجتماعها الدوري الثالث بتاريخ ٢٠١٧/٥/٢م برئاسة الدكتور عبد الله كرامة التميمي رئيس اللجنة العلمية بالمركز ناقشت فيه عددا من القضايا المتعلقة بأدارات المركز ونشاطاتها المختلفة خلال شهر إبريل المنصرم، بالإضافة إلى مناقشة جائزتي المركز وهي جائزة (البحث التاريخي) وجائزة (الفيلم التسجيلي)، وقد حظي الاجتماع بمناقشات مستفيضة والخروج بعدد من التوصيات القاضية بتطوير عمل المركز ونشاطاته المختلفة.

## مركز حضرموت يقوم بزيارة علمية استطلاعية إلى وادي دوعن



قام أ.د. عبد الله سعيد الجعدي رئيس مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر والأستاذ عادل حاج باعكيم مدير إدارة الوثائق والمخطوطات يرافقه الدكتور عبد القادر باعيسى مدير إدارة الثقافة والإعلام في المدة من ١٣ إلى ١٥ إبريل بزيارة علمية استطلاعية إلى وادي دوعن للتعرف عن كُتب على بعض المواقع والمكاتب التي تضم أكبر قدر من المخطوطات بغية تصويرها والاحتفاظ بها ضمن المكتبة الشاملة للمركز التي يزمع أنشاؤها



قريبا، حيث قام الوفد أولاً بزيارة المنصب السيد أحمد بن حسن بن حامد المحضار إلى بيته ببلدة القيورة الذي أعطى صورة وافية عن مكتبته القديمة في منزلهم، مبدئياً استعداداً للتعاون مع مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر في السماح بتصوير المخطوطات التي بحوزتهم بما فيه خدمة حضرموت وتاريخها كما تم زيارة المنصب عبد الله بن طاهر البار والسيد أحمد بن عبد الله البار في بلدة القرين بدوعن حيث عرضوا على السيدين المذكورين رغبة المركز في الحفاظ على تراث حضرموت في المخطوطات وقد أبدى السادة آل البار ترحيبهم بالفكرة وتفاعلهم معها وسمحوا للوفد بالاطلاع على مكتبة مسجد السيد عمر بن عبد الرحمن البار في القرين التي تضم عددا من المخطوطات القيمة، وفي السياق نفسه زار الوفد مركز دوعن العلمي ببلدة الخريبة والتقوا بالأستاذ حسن أحمد مكنون الذي أعطى صورة وافية عن المركز وقام الأستاذ عادل باعكيم مدير إدارة الوثائق والمخطوطات بتفحص عدد من المخطوطات فيما تحدث رئيس المركز الأستاذ الدكتور عبد الله سعيد الجعدي عن أهمية جمع التراث للحفاظ عليه وأن هناك جهودا خيرة تبذل بصدق وتфан للحفاظ على هذه المخطوطات من التلف والضياع، كما قام الوفد بزيارات إلى مناطق أثرية وتراثية متعددة بالوادي.







## زيارة أ.د. خالد يسلم بلخشر مدير إدارة العلاقات العامة والترجمة إلى إندونيسيا في المدة من ٤ - ٢٥ إبريل ٢٠١٧م للمؤتمر العلمي الدولي (فعالية دور الحضارة في إندونيسيا)



بناءً على الاتفاقات التي تم التوقيع عليها في العاصمة الإندونيسية جاكارتا في أكتوبر ٢٠١٦، وخاصة الاتفاق على عقد مؤتمر علمي بالتنسيق والتعاون المشترك بين مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر والمعهد الإندونيسي للعلوم (ليبي) ومركز منارة بجاكارتا وبناءً على تكليف أ.د. خالد يسلم بلخشر مدير إدارة العلاقات العامة والترجمة بالمركز منسقا لهذا الموضوع فقد تم سفره إلى العاصمة الإندونيسية جاكارتا في المدة من ٤-٢٥ إبريل لإجراء التحضيرات الأولية للمؤتمر العلمي الذي يزمع إقامته هناك تحت عنوان (فعالية دور الحضارة في إندونيسيا) حيث التقى د. خالد بلخشر بعدد من الأساتذة من جامعات إندونيسية مختلفة وبالباحث في مجال الانثروبولوجيا أريو دانوسيري من جامعة هارفارد وهو أحد المهتمين بدراسة الحضارة في إندونيسيا وخلال اللقاء وزع د. بلخشر على الأساتذة نسخاً من أعداد مجلة حضرموت الثقافية وبعض إصدارات المركز.

الاجتماع الثاني لفريق معهد ليبي مع أ.د. خالد يسلم بلخشر في الساعة التاسعة صباحاً حيث تم إقرار البروشور الذي تضمن المواعيد الخاصة بالمشاركات البحثية، وأهداف المؤتمر، ومحاور المؤتمر، واللجنة التوجيهية، كما تم تداول التفاصيل الخاصة بالمؤتمر من توزيع المحاور ورئاسة الجلسات، والمتحدثين في الجلسات، وحجز الفندق والقاعة والجانب اللوجيستي للمؤتمر على أن تكون هناك كلمات لشخصيات اعتبارية كوزير الشؤون الدينية، ومحافظ جاكارتا، والبروفسور علوي شهاب، وقد شددت السيدة تري نوك بوجستوتي نائب رئيس معهد ليبي على ضرورة التعاون المستمر بين مركز حضرموت ومعهد ليبي، كما أبدت استعداد معهد ليبي في التعاون الكامل مع الفعاليات المشتركة كافة في قادم الأيام.

هذا وقد غادر د. بلخشر جاكارتا يوم الجمعة ٢١ إبريل ٢٠١٧م ووصل إلى سيوون بسلامة الله عصر يوم الاثنين ٢٤ إبريل ٢٠١٧م ومنها إلى المكلا. الجدير بالذكر أن د. خالد بلخشر رئيس إدارة العلاقات العامة والترجمة قابل في أثناء إقامته في القاهرة في طريقه إلى جاكارتا المشرف العام على المركز الشيخ محمد سالم بن علي جابر وناقش معه عدداً من الموضوعات منها المؤتمر الدولي والتحضير له، نشاط المركز، والمجلة وطباعتها، وافتتاح المكتب الإعلامي في القاهرة وإسهاماته المستقبلية في خدمة المركز في جوانب تقويم أفلام المسابقة السنوية، وأفلام الرصد التاريخي للمركز، وفي جانب التصميم والجرافيك.

هشام (باحث) ود. سونارتي مدير مركز الدراسات الاجتماعية والثقافية بمعهد ليبي ود. أحمد نجيب برهاني منسق المؤتمر من معهد ليبي ود. عدلين سيلا (ممثلاً لوزير الشؤون الدينية) ود. نسالجونوهيودي (باحث) ود. إنداق ترمدي (باحث) ود. كاهيو بامقوكاس (باحث) ود. محمد عزام منان (باحث) ود. وهيود اكالياس (باحث) والفريق الإداري المصاحب للأساتذة، حيث تم في الاجتماع الاتفاق على توجيه دعوات لمؤلفين وباحثين عالميين للمشاركة في المؤتمر منهم د. مارتين سلاما (النمسا)، ومايكل فندر



(سنغافورة)، وإسماعيل العطاس (أميركا)، ومارتن فينيورسون (هولندا)، وحيدر بامعلم (جاكارتا)، وكلاين سميث، وفروند ياكبسون، وأوركي فريثاك، وفريد العطاس.

وتخلل الاجتماع عدد من المداخلات والنقاشات التي تصب في مصلحة العمل المشترك بين مركز حضرموت وليبي ووزارة الثقافة الإندونيسية ومركز منارة، من أجل المضي بخطوات حثيثة ومدرسة لاستكمال الأمور كافة الخاصة بعقد المؤتمر. وفي يوم الخميس ١٣ إبريل تم عقد

وفي يوم الاثنين ١٠ إبريل ٢٠١٧م انعقد اللقاء التشاوري المشترك بين مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر ومعهد ليبي الإندونيسي لترتيب الإجراءات الخاصة بالمؤتمر العلمي الدولي (فعالية دور الحضارة في إندونيسيا) المزمع انعقاده في جاكارتا في المدة من ٢٣-٢٢ نوفمبر من هذا العام، وقد حضر هذا اللقاء بالإضافة إلى أ.د. خالد يسلم بلخشر مدير العلاقات العامة والترجمة بمركز حضرموت الأستاذ الدكتور محمد





# مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر



## جائزة أفضل بحث تاريخي لعام 2017م

### موضوع الجائزة: (الأوقاف في حضرموت)

للأوقاف دلالات عميقة عند المسلمين، كما تعد سجلاً يحمل مضامين حضارية وتاريخية وثقافية، وتزخر حضرموت - كغيرها من المجتمعات الإسلامية - بأنواع متعددة من هذه الأوقاف التي تبدأ من خدمة بيوت الله ودور العلم مروراً بالمنفعة الاجتماعية العامة ووصولاً إلى أوقاف الرفق بالحيوان ومن هنا يكمن اختيارنا لهذا الموضوع من خلال دراسة وثائقية لأبعاده الدينية والحضارية والإنسانية .

#### الشروط العامة للتقدم للجائزة :

- أن تمتاز الأبحاث بالجدة والأصالة وسلامة المنهج
- أن لا يكون البحث المقدم قد سبق نشره.
- ألا تقل عدد صفحات البحث عن ( 40 ) صفحة.
- أن يكتب البحث بلغة عربية سليمة وصحيحة طباعياً ولغوياً. حجم الخط ( 16 )، الهامش ( 14 ) نوع الخط ( Simplified Arabic ) .
- يجب على الباحث تقديم نسخة من بحثه بصيغة ( Word ) على قرص ( DVD ) وتسليمها لإدارة المركز على العنوان التالي: (حضرموت-المكلا - منطقة بديري - عمارة بن سواد تلفون 350135)، أو يرسلها عبر البريد الإلكتروني: hc.cd529@gmail.com
- يقدم المشارك سيرة ذاتية مختصرة يذكر فيها عنوانه الحالي ورقم هاتفه للتواصل.
- البحوث الفائزة تصبح ملكيتها الفكرية للمركز، ويحق له طباعتها ونشرها وتوزيعها وبيعها.
- آخر موعد لاستلام الأبحاث 30 سبتمبر 2017م.
- موعد إعلان الفائزين بالجوائز 19 ديسمبر 2017م ( في حفل خاص ) .

**جوائز المسابقة:** تمنح الجائزة سنوياً باسم مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر وهي جائزة تشجيعية ومالية موزعة على النحو الآتي:

- الجائزة الأولى ( 300 ألف ريال يمني ) + درع الجائزة.
- الجائزة الثانية ( 250 ألف ريال يمني ) + درع الجائزة.
- الجائزة الثالثة ( 200 ألف ريال يمني ) + شهادة الجائزة.

## جائزة أفضل الأفلام الوثائقية والتسجيلية لعام 2017م

### موضوع الجائزة: ( ذاكرة مكان )

وذلك بالتركيز على المعالم الأثرية والعمارة التقليدية وإبراز قيمتها التاريخية والفنية

**المستهدفون بالجائزة:** المختصون والمهتمون والهواة في مجال العمل السينمائي والتلفزيوني (فرقاً وأفراداً).

#### الشروط العامة للتقدم للمسابقة:

- لا تقل مدة الفيلم عن 5 دقائق ولا تزيد على 15 دقيقة .
- ألا يكون العمل قد فاز في مسابقة محلية أو خارجية.
- لا يحق للمتقدم المشاركة إلا بعمل واحد فقط.
- يتم تحميل الفلم بدقة عالية على الوسائل المتاحة كاليوتيوب وغيره على رابط مغلّق للاطلاع الخاص فقط وإرساله عبر الإيميل التالي : ( hc.cd529@gmail.com )، أو تسليمه على قرص ( DVD ) في مقر المركز على العنوان التالي : (حضرموت-المكلا - منطقة بديري - عمارة بن سواد تلفون: 350135).
- الأفلام الفائزة بجوائز المسابقة تصبح ملكاً حصرياً للمركز.
- آخر موعد لاستلام الأعمال 30 أكتوبر 2017م .
- موعد إعلان الفائزين بالجوائز 19 ديسمبر 2017م ( في حفل خاص ) .

#### المعايير الفنية للأفلام التسجيلية المشاركة:

- وضوح فكرة العمل وتميز المعالجة الفنية.
- جودة السيناريو وتماسكه فنياً وتاريخياً.
- دقة التصوير والإضاءة والمونتاج.
- نقاء الصوت ( تسجيلاً وتعليقاً وحوارات ) .
- تناسم المؤثرات الصوتية مع المشاهد التصويرية.

**لجنة التحكيم:** سيشرف على التحكيم لجنة فنية مكونة من ثلاثة أعضاء من أساتذة المعهد العالي للسينما بجمهورية مصر العربية، إضافة إلى لجنة علمية محلية مكونة من ثلاثة أكاديميين لتحكيم النص .

**جوائز المسابقة:** تمنح الجائزة سنوياً باسم مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر وهي جائزة تشجيعية ومالية موزعة على النحو الآتي:

- الجائزة الأولى : ( 400 ألف ريال يمني ) + درع الجائزة.
- الجائزة الثانية : ( 300 ألف ريال يمني ) + درع الجائزة.
- الجائزة الثالثة : ( 200 ألف ريال يمني ) + شهادة الجائزة.



# من وثائق تاريخ حضرموت

(اتفاق بين الجمعدار عبدالله بن عمر القعيطي  
والمشايخ آل باعمر العموديين ١٢٩٩هـ / ١٨٨٢م)

إن الوثائق مثل النجوم  
تستمد ضياءها من  
ذاتها، لكنها لا تبخل  
بنورها على من اقترب  
منها، وحاول استنطاقها



أ.د. عبدالله سعيد الجعدي

## نصوص الوثائق

### (وثيقة ١)

(صحيح عبدالله بن عمر القعيطي)  
الحمد لله لما كان يوم الخميس ١٢  
في شهر ربيع آخر عام ١٢٩٩ (١) فقد  
حصل الاتفاق ما بين الدولة المكرم  
عبدالله بن عمر بن عوض القعيطي (٢)،  
والشيخ أحمد وأخيه عبد الله أبناء  
عبدالرحمن باعمر العمودي ساكنين  
ثلة (٣) بواسطة السيد أحمد بن حسين  
بن شيخ العيدروس، والشيخ محمد بن  
عبدالله بن عبد الرحيم بن قويره باوزير  
والاتفاق في صلاح مزارجت (٤) المشايخ  
فيما يدعي به المكرم عبد الله بن عمر  
بن عوض على المشايخ من مساعدتهم  
مع الكسادي واستيلائه على ثله والسبب  
تقربت المشايخ فيما يضر آل عمر بن  
عوض ويصلح الكسادي، وأجابوا  
المشايخ بأن مساعدة الكسادي وتقريبه  
إلى ثله من قبائليهم بني حسن وعكبري  
ليس منهم وبعد ذلك طلبوا المتوسطين  
التكفاه (٥) من المكرم عبدالله بن عمر

بن عوض القعيطي، ومن المشايخ أحمد  
وأخيه عبدالله أبناء عبدالرحمن باعمر  
وكفوا الكل من المذكورين السيد أحمد  
بن حسين بن شيخ، والشيخ محمد بن  
عبدالله بأن ماعرفوه ونظروه فيما يصلح  
مابين بين المذكورين نظرهم قاطع  
حق، وشرع، وفرع، وليس عاد لأحد من  
المذكورين خيرته فيما استمدوه وعرفوه.  
جاء ذلك بحال الرضا والاختيار من غير  
إكراه ولا إجبار وكفى بالله شهيد.

توقيع الشهود

### (وثيقة ٢)

الحمد لله وكفا: لما كان يوم الجمعة  
١٣ خلت من شهر ربيع آخر عام  
١٢٩٩هـ (٦) الذي عرفوه المتكفيين  
وهم: السيد أحمد بن حسين بن شيخ  
العيدروس، والشيخ محمد بن عبدالله  
بن عبد الرحيم بن قويره باوزير. على ما  
تكفوا فيه مابين الدولة المكرم عبدالله  
بن عمر بن عوض القعيطي، والشيخ  
أحمد وأخيه عبدالله أبناء الشيخ  
عبدالرحمن باعمر العمودي فيما ادعى  
به المكرم عبدالله بن عمر على الشيخ  
أحمد وأخيه عبدالله وفيما أجابوا به على  
الدعوى الذي عرف للمتكفيين بأن جميع  
ما بناه الكسادي من زبون (٧) فهو إلى  
المكرم عبدالله بن عمر المذكور، وفيما  
حصل من تقربت الكسادي ومساعدة  
المذكورين معه باطن أو ظاهر، ومن  
جميع ما حصل من المشايخ من تقديم  
أو تأخير عرفوا للدولة المكرم عبدالله بن

عمر بن عوض على المشايخ أربع  
حشامات (٨) والحشامة مائة وعشرين  
قرش صح جملة ذلك أربع مائة وثمانين  
قرش شلوا المتكفيين حشامتين مائتان  
وأربعين قرش (٩). الباقي مائتين  
وأربعين قرش بنظر المتكفيين والذي  
عرفوه للشيخ أحمد، وأخيه عبدالله على  
المكرم عبدالله بن عمر بن عوض  
المذكور بأن يعطي للمشايخ بيتهم  
الذي استبداه الكسادي منه إكرام لهم  
وما كان للمشايخ من مال في ثله  
مشتري أو بهبة ونذيره من مالك يملكه  
فهو لهم وما كان مستبدينه من غير  
حقيقة منهم أو غيرهم ليس لهم ذلك  
ومرد ذلك للمكرم عبدالله بن عمر بن  
عوض القعيطي، وعلى المشايخ الجهد  
في كل ما يصلح آل عمر بن عوض بن  
عبدالله القعيطي في قبائليهم ومن حيث  
يصل نفعهم قرب أو بعد ليس يعتذرون  
ويرون ما يصلح لآل عمر بن عوض كما  
يرونه لأنفسهم. هذا ما عرفوه ونظروه  
المتكفيين فيما يصلح بين المذكورين  
وعلى الكل الله حميل، وكفيل بما شمل  
ذلك الخط وكفا بالله شهيداً

توقيع الشهود

### (وثيقة ٣)

وبعد لما كان يوم الأحد ١٥ خلة من  
شهر ربيع آخر ١٢٩٩هـ (١٠) فقد حصل  
الطلاب فيما عاده متبقي من ناصفة  
الحشامة، وهي الحشامتين مائتين  
وأربعين ريال (١١) طلب الشيخ أحمد





وأخيه عبد الله أبناء عبد الرحمن باعمر العمودي ومقدمين الذكر المتوسطين السيد أحمد حسين والسيد أبوبكر بن سالم آل العيدروس ، والشيخ محمد بن عبد الله ، والشيخ عمر بن غوث آل باوزير ، ومبارك باسعيد باقديم ، ومن حضر في المجلس المسامحة فيما عاده متبقي وصار السماح للمشايخ ولمن ذكر ، ومن المكرم عبد الله بن عمر بن عوض المذكور وليس عاد بقي شي مما ذكر بطرف المشايخ المذكورين قال ذلك وأقر بما ذكر أعلاه.

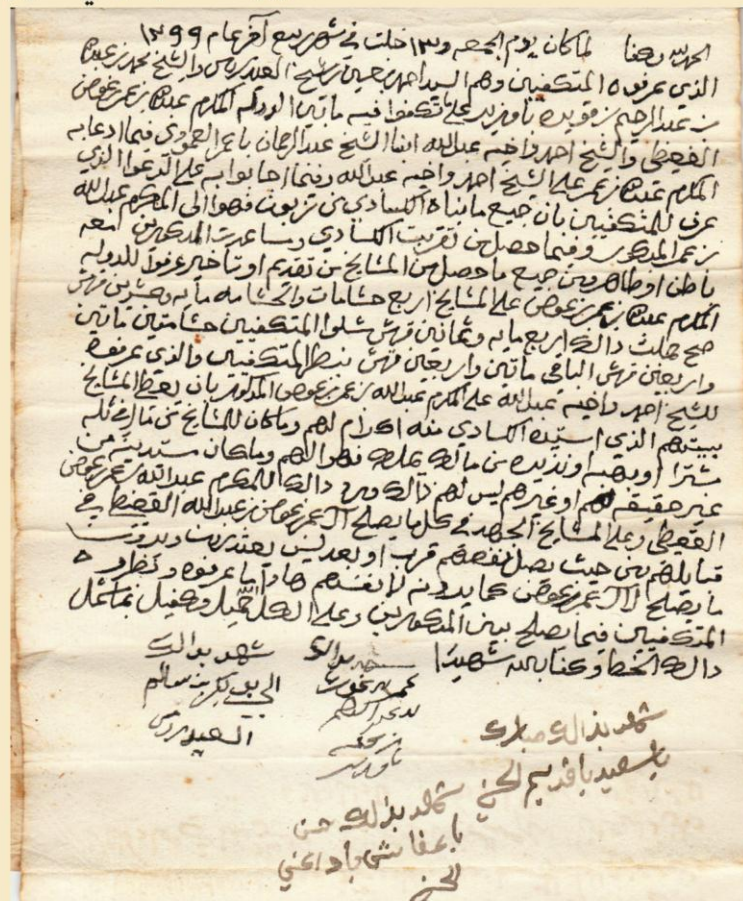
عبد الله بن عمر بن عوض القعيطي

### التحقيق والتعليق

عثرنا على هذه الوثائق الثلاث ضمن الأرشيف الخاص للمنصب الشيخ محمد حسين سعيد باعمر العمودي (شيخ قبائل العكايرة وبني حسن) وهي نسخ أصلية ، وقد نشرت الوثيقتان الأولى والثانية بحسب تسلسل تاريخها في ملاحق كتاب (المكلا عروس البحر

التناول التاريخي العام لموضوع الكتاب بعد التطورات السياسية التي شهدت سقوط مدينة المكلا بيد القعيطيين في نوفمبر عام ١٨٨١م ، وليس بغرض دراستها وتحقيقها ، وعند المقارنة بين نسخ وثائق المنصب العمودي وبين نسخ وثائق المركز اليمني لاحظنا اختلافاً يسيراً بينهما فيبدو أن كل نسخة كتبت على حدة وذلك لانعدام آلات النسخ وقتئذ لكنها احتفظت بمضمونها ، وفي أرشيف المنصب باعمر العمودي وجدنا وثيقة ثالثة مكملة للوثيقتين ، وتندرج في السياق نفسه ، لهذا رأينا من المناسب ضم هذه الثلاث الوثائق في إطار واحد لأنها من جهة تقدم إضاءات لمرحلة مهمة من تاريخ حضرموت وبخاصة لمدينة المكلا وأريافها ، ومن جهة أخرى لوحدة موضوعها والسياق الزمني شبه المتصل إذ لا يفصل بين زمن توقيعهما إلا يوم أو يومان وهو انقطاع اقتضته طبيعة الاتفاق كما سوف نرى .

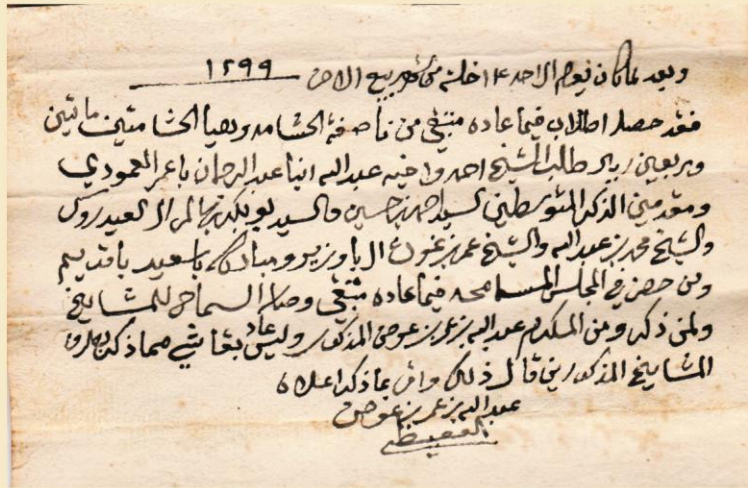
الضرورية (١٢) ومصدرها المركز اليمني للوثائق بالمكلا رقم (٢٣ / ٨ - ٢٧ / ٢) ووردت هذه الوثائق في سياق







12

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

وفيما يتعلق بالجانب الشكلي في النشر فقد سمحنا لأنفسنا في النسخة المطبوعة للوثائق بالتدخل بتصويب بعض الأخطاء الإملائية بما لا يخل بنص الوثائق، ووضعنا علامات الترقيم ليسهل قراءتها ثم إننا حرصنا على نشر أصول الوثائق زيادة في الفائدة ولتسهل العودة إليها، والمقارنة بين النص المطبوع، والنص الأصلي.

وبالنسبة للمجال التاريخي لهذه الوثائق فإنها تعود إلى المرحلة التي شهدت فيها حضرموت احتدام الصراع

## سجلت هذه الوثائق تسليم بقايا الحكم القديم (الكسادي) من أملاك وحصون في أرياف مدينة المكلا إلى الحكم الجديد (القعيطي) وهي بهذا أشرت إلى بروز مرحلة جديدة في تاريخ حضرموت ببرزوغ نجم أسرة حكم فنية ، وأقول أخرى .

السياسي بين القوى القبلية والسياسية المتنافسة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي وبخاصة الصراع بين القوة القعيطية الصاعدة، وبين الإمارة الكسادية وحلفائها الذين وجدوا في المشروع السياسي القعيطي تقويضا لتحالفاتهم ومصالحهم، وقد تناولت الأدبيات التاريخية الحضرمية تفاصيل هذا الصراع الذي تكلل بنجاح القعيطيين في السيطرة على مدينة المكلا ثم على كل مناطق النفوذ الكسادي في الساحل الشرقي لحضرموت ومنطقة دوعن، وفي هذه الأوضاع التي شهدت بدايات ترسيخ دعائم الحكم القعيطي أبرمت هذه الاتفاقيات لتعزيز السيطرة

القعيطية على مدينة المكلا وأريافها. تضمنت الوثيقة الأولى الدعوى التي تقدم بها (الجمعدار) عبد الله عمر القعيطي على المشايخ آل باعمر العموديين، وذلك باتهامهم بمساندة الكسادي ضدهم، ورد آل باعمر الرافض لهذا الاتهام. ثم قبول الطرفين لحكم الوسطاء بشكل نهائي. أما الوثيقة الثانية فقد ورد فيها نص الحكم في القضية المشار إليها في الاتفاقية الأولى الذي جاء على النحو الآتي:

- التأكيد على أن ما بناه الكسادي من زبون (حصون صغيرة) فهو للقعيطي.  
- الإدانة الضمنية بمساعدة آل باعمر للكسادي وتغريمهم ٤٨٠ ريال مارياتريزا.  
- تسليم القعيطي بيت آل باعمر

العموديين لهم الذي وصفته الوثيقة بالبيت الذي استبد به الكسادي.

- احتفاظ آل باعمر بأماكهم الخاصة سواء ذلك بحكم الشراء أو الهبة أو النذر.  
- التزام آل باعمر بكل ما يصلح القعيطيين. وشملت الوثيقة الثالثة تأكيد قبول القعيطي إسقاط ما تبقى من الغرامة على آل باعمر، وإذا اخترلنا موضوع هذه الوثائق بكلمات معبرة فإنها تدور حول موضوع واحد بمفاهيم ثلاثة: (الدعوى - الحكم - العفو) وقد تعمد الوسطاء مرور الاتفاق على ثلاث مراحل أو وثائق لتأخذ العدالة مجراها - ولو بصورة شكلية - وإلى نهاية يبدو أنها متفق عليها، وكما تعكس لنا هذه الطريقة في التقاضي وحل المنازعات بساطة المجتمع الحضرمي، فإنها تشير إلى منظومة القيم الاجتماعية المتعارف عليها وأثرها القوي في تقريب وجهات النظر في مجتمع غابت سلطة الدولة عنه خارج المدن والحوضر لهذا كان الحكم أقرب إلى الاتفاق بين القعيطيين وآل باعمر أكثر منه دعوى يريد منها القعيطي إثبات حق يدعيه أو فرض شروط ملزمة. كما إنه اعتراف ضمني من آل باعمر العموديين وحلفائهم بالعهد الجديد الذي فرضه الانتصار القعيطي على أمير المكلا النقيب عمر الكسادي.

وقد زخرت الوثائق بمصطلحات وألفاظ عامية لها دلالاتها في الثقافة المحلية





13

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

تقسيمها على ثلاث اتفاقيات - كما أشرنا - لتكتمل عناصر الاتفاق بالشكل المنطقي أو السلس وإذا ألمحت الاتفاقيات إلى رغبة عند آل باعمر العموديين للقبول بالأمر الواقع بما يحفظ كرامتهم ومكانتهم الاجتماعية فإن عدم تشدد الحكام الجدد وتنازلهم عن الغرامة المستحقة لهم ينطلق من رؤية سياسية سليمة تؤسس لما بعد هذا الاتفاق .

#### الهوامش:

- ١- يوافق ٣ مارس ١٨٨٢م
- ٢- عبد الله بن عمر القعيطي: من أبرز أبناء الجمعدار عمر بن عوض القعيطي كان له دور كبير في وضع اللبنة الأولى لتأسيس الحكم القعيطي في حضرموت توفي في نوفمبر ١٨٨٨م.
- ٣- ثلة: من ضواحي مدينة المكلا تبعد عنها ما يقارب خمسة عشر ميلا وهي تنسب لآل باعمر العموديين الذي نزحوا من وادي دوعن إلى ساحل حضرموت في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي واستقروا في البداية في قرية (بويش) التي كانت تسمى حوطة الشيخ باعمر ثم نزحوا منها إلى قرية (البيب) ليستقروا بعدها حتى اليوم في قرية ثلة.
- ٤- مخارجت: إنهاء مشكلتهم
- ٥- التكفاه: الموافقة المسبقة على حكم الوسطاء.
- ٦- يوافق ٤ مارس ١٨٨٢م
- ٧- زبون: الحصن الصغير (الكوت)
- ٨- حشامة: مصطلح ظهر لنا من خلال السياق بمعنى الغرامة، وقد تكون لفظة محلية متعارف عليها تصف المبلغ المستحق عند التحكيم عندما يصل إلى ١٢٠ ريال بالحشامة.
- ٩- قرش: العملة المتداولة وقتئذ هي الريال النمساوي وهو عملة الملكة (ماريا تريزا) ويعرف محليا بالريال الفرنسي وأحيانا (الفرانصة) أو القرش وقد حظيت هذه العملة بالقبول العام وذلك لمحتواه الفضي، واستمر استخدامه في منطقة الشرق الأوسط منذ نهاية القرن الخامس عشر الميلادي واستمر التداول به في حضرموت حتى الحرب العالمية الثانية .
- ١٠- ٦ مارس ١٨٨٢م
- ١١- ريال: ينظر: هامش ٩.
- ١٢- ينظر كتاب: سالم عمر الخضر وعبد الله بن بدر، المكلا عروس البحر الحضرمية دراسة جيوبولوتيكية.

ذلك من أهداف إصلاحية واعية لأهمية وجود الدولة أو ما يرمز إليها في مناطق الأرياف.

٢- سجلت تسليم بقايا الحكم القديم (الكسادي) من أملاك وحصون في أرياف

## زخرت الوثائق بمصطلحات وألفاظ عامية لها دلالاتها في الثقافة المحلية



المنصب محمد حسين باعمر العمودي

مدينة المكلا إلى الحـكم الجديد (القعيطي) وهي بهذا أشرت إلى بروز مرحلة جديدة في تاريخ حضرموت بيزوغ نجم أسرة حكم فتية، وأقول أخرى.

٣- حافظت نصوص الاتفاقيات على التوازن في العلاقات بين الأطراف فقد مزجت نصوصها بين التأكيد على هيبة الحكم الجديد واستحقاقاته، وإظهار مرونة قراراته (العفو عند المقدرة) وفي الوقت نفسه حافظت على رمزية منصبة المشايخ ومكانتهم بوصفهم واجهة اجتماعية من المهم كسبها أو في الأقل تحييدها وتشير النهاية السعيدة لهذا الاتفاق إلى حكمة المحكمين ورؤيتهم المستقبلية في التركيز على ديمومة السلام المجتمعي لهذا حرصوا على سرعة التسوية بين الطرفين في ثلاث جلسات خلال أربعة أيام اقتضى السياق

مثل (مخارجت- الدولة المكرم- الشيخ - السيد- التكفاه - زبون - حشامات- قبائلهم-)... الخ .

وقد عرفنا بعض هذه الكلمات في الهامش، وتجدر الإشارة إلى دور

الوسيط في حل المنازعات الذي تقوم به أسر من تراتبية سادة حضرموت، ومشايخها وذلك لما لتلك الأسر من مكانة اجتماعية معترف بها وتحترم وساطتها وقراراتها، وتحيل لفظة السادة غالبا في الثقافة العربية الإسلامية إلى من ينتسبون إلى آل البيت النبوي أما (مصطلح) المشايخ في حضرموت فيشير إلى دلالة تراتبية للأسر التي ترفع أنسابها إلى الصحابة أو إلى الدوحة الهاشمية وهم يقومون بالدور نفسه الديني والتعليمي والإصلاحـي في المجتمع. أما لفظة الدولة المكرم فهو لقب تفخيمي غير رسمي لكنه يحيل إلى مكانة افتراضية عليا في السلطة قبل أن يتخذ القعيطيون لأنفسهم اللقب الرسمي (السلطان) ابتداء من عام ١٩٠٢م بموافقة السلطات البريطانية في عدن.

وتكمن الأهمية التاريخية لهذه الوثائق في الآتي:

١- أسست للبدليات الصحيحة في خطوات القعيطيين الطموحة في تحقيق مشروعهم السياسي وذلك بالتعامل المرن مع الجوار القبلي ورموزه لمدينة المكلا. وهي سياسة سار عليها القعيطيون في امتداداتهم الجيوسياسية لتوسيع نفوذهم في مناطق واسعة من حضرموت، ومما عزز من تلك السياسة اعتمادهم على رموز من سادة حضرموت ومشايخها الذين غالبا ما يتحركون في





# القضاة الحضارم في مصر

من ٤٠-١٣٢هـ

بعد أن شارك الحضارمة بمختلف قبائلهم في عمليات الفتح الإسلامي في كل من العراق و الشام و مصر، واستقرارهم في تلك الأمصار المحررة، تقلد العديد منهم مناصب رفيعة في الجهاز الإداري و القضائي ... و لكفاءتهم الإدارية و معرفتهم الواسعة في تشريعات الفقه الإسلامي و خبراتهم الحضارية، فضلاً عن اتصافهم بالصدق، والأمانة، و مكارم الأخلاق.. كل ذلك جعلهم على رأس الجهاز الإداري فكانوا هم المتولين لأهم منصب بعد منصب الخلافة و هو منصب القضاء . و هذا البحث المتواضع يتناول الحضارمة الذين تولوا منصب القضاء في مصر خلال تسعين عاماً.

منصب القضاء منصب إسلامي بحت ، فبعد انتشار الإسلام في مصر ، ظهر هذا المنصب ، الذي تمتع شاغله (القاضي) باحترام كبير جداً؛ لأنه يمثل حامي الشريعة و الناطق باسمها، و ما يصدر عنه من قول أو فعل إنما هو مطابق للشريعة و لأجل خدمتها، و من هنا جاءت أهمية هذا المنصب.

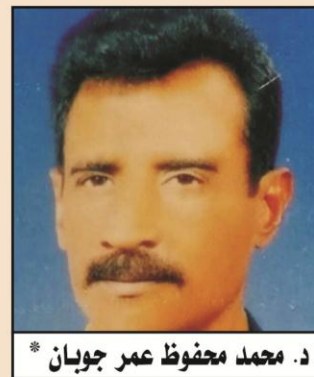
إليه معاوية النظر في الخراج، ثم يرفع ذلك إلى صاحب الديوان، و بذلك فهو أول قاض يقوم بهذه المهام.(٩) و يعود له الفضل في أنه أول من نظم و وضع (أرشيفاً) للقضايا، و كان السبب تلك الحادثة التي قضى فيها بين مختصمين في ميراث لهم، فبعد أن قضى بينهم، فما لبث أن اختلفوا و تناكروا، فعاد إلى القاضي سليم فقضى بينهم و كتب كتاباً بالحكم الذي أصدره ثم طلب من شيوخ الجند أن يشهدوا و يسجلوا اسماءهم، وهكذا يكون أول قاض في مصر سجل سجلاً بقضائه في المواريث.(١٠).

ظل سليم بن عمر قاضياً لمدة عشرين عاماً (٤٠ - ٦٠ هـ). كل هذه السنوات كان مثلاً للنزاهة والعدل، و إمامه بالكتاب والسنة النبوية الطاهرة، و مما قيل فيه إنه كان يصلي بالليل و يختم القرآن الكريم ثم يأتي أهله ثم يعود و يختم القرآن ... و مما قالت زوجته فيه "رحمك الله فقد كنت ترضي ربك و تسر أهلك"(١١)

النبوي الشريف من سيد الخلق و خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. و يكفي ان معاوية بن خديج التجيبي كان رسول عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي حمل له بشري فتح الإسكندرية.(٤). فكانت مشاركة الحضارمة في عمليات الفتح في مصر. و هذا البحث سيتناول القضاة الحضارمة، و ليس عمليات الفتح و الاستقرار و الخطط التي استقرت فيها قبائل حضرموت.(٥). عندما أصبح معاوية بن أبي سفيان (ت ٦٠ هـ) خليفة للمسلمين عام ٤٠ هـ و كان أول قاض لمصر هو:

## سليم بن عمر التجيبي:

و هو من صحابة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم؛ وكان قبل ذلك يتولى القصص، ثم جمع له معاوية بن أبي سفيان القضاء والقصص.(٧). و في رواية الكندي أن سليم بن عمر كان قاضياً للجند زمان عمرو بن العاص، و ممن شارك في فتح مصر.(٨). و لكفاءته و قدراته أضاف



د. محمد محفوظ عمر جويان \*

## القضاة الحضارمة في مصر:

القضاء : قال ابن خلدون: (هو منصب للفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي و قسماً للتنازع)(١). وهو من الأمور الخاصة بالخلافة، وتأتي مرتبة القاضي من حيث الأهمية بعد مرتبة الخليفة؛ لأنها تمثل الشرع(٢). فالجيش الذي حرر مصر ضم العديد من أبناء القبائل الحضرمية، و فيهم العديد من الصحابة من أهل حضرموت، الذين استقوا الشريعة الإسلامية و الحديث





سبباً و عاملاً من عوامل سقوط الخلافة الأموية سنة ١٣٢ هـ (٢٥).

ومما يؤكد مصداقية و نزاهة توبة، وإدراكه خطورة العصبية القبلية بوصفها وضعاً سياسياً تعيشه الدولة العربية الإسلامية عامة، و مصر خاصة، كون معظم قبائل جنوب الجزيرة العربية كانت موجودة في مصر، خاصة التي شاركت في تحرير مصر، في حين أن معظم القبائل المضربة والعنانية كانت في الشام. وعلى ضوء ذلك وخوفاً على أحكامه القضائية و عدم تأثرها بذلك الوضع السياسي، استدعى توبة زوجته (عفيرة الأشجعية) وقال لها: "... جزاك الله من عشير خيراً. قال فاسمعي لا تعرضي لي في شيء من القضاء، ولا تذكريني بخصم ولا تسأليني عن حكومة، فإن فعلت شيئاً من هذا فأنت طالق، فإما أن تقيمي مكرمة و إما أن تذهبي ذميمة" (٢٦).

ففي الوقت الذي طور القضاة الحضارمة الذين سبقوه من عمل للأرشي و غيره، فقد أنشأ توبة ديواناً جديداً، عندما وضع يده على الأحباس و عمل لها ديواناً خاصاً، و أكد الكندي ذلك بقوله: "إنه أول قاض بمصر يضع يده على الأحباس في زمن هشام، وإنما كانت الأحباس في أيدي أهلها و في أيدي أوصيائهم، فلما كان توبة قال: "ما أرى مرجع هذه الصدقات إلا إلى الفقراء والمساكين، فأرى أن أضع يدي عليها حفظاً لها من الاتواء والتوارث" (٢٧).

كان كريماً سخياً، لا يملك شيئاً إلا وهبه ووصل به إخوانه، وعندما أصبح قاضياً أراد أن يحجر على المسرفين والمبذرين، فكانت له قصة مع غلام بلغه أنه مبذر لا تحوي يده شيئاً إلا وهبه و بذره. (٢٨)

كان يتحرى الدقة والعدل والشهادة في ما يصدره من احكام، وعرف عنه أنه كان يقضي بيمين صاحب الحق مع شاهده في الشيء اليسير. (٢٩)

#### خير بن نعيم الحضرمي:

بعد وفاة توبة بن نمر عام ١٢٠ هـ تولى خير بن نعيم القضاء من قبل والي مصر حنظلة بن صفوان الكليبي، وكان خير فقيهاً، هذا ما أكده فقيه وقارئ مصر آنذاك (ورش) (٣٠) الذي قال فيه "ما أدركت من قضاة

يبدو أنه بعد وفاة عبدالعزيز بن مروان، تولى ولاية مصر (عبدالله بن عبد الملك ٨٦ - ٩٠ هـ) أراد استبدال عمال عبدالعزيز وعزلهم، فعندما أراد ذلك لم يجد عليه مقالاً و متعلقاً، أي لم يجد ثغرة أو زلة على القاضي عبدالرحمن بن حديج، فولاه مرابطة الإسكندرية، حتى صرف عن قضائهما في رمضان سنة ٨٦ هـ بعد أن وليها ستة أشهر (١٨).

#### عبدالواحد بن معاوية بن حديج التجيبي:

تولى القضاء من قبل عبدالله بن عبد الملك سنة ٨٩ هـ و كان عمره خمساً وعشرين سنة (١٩)، وقال فيه الكندي: "... فما علق عليه شيء" (٢٠). ثم أضاف إليه عبدالله الشرط، و لكن قررة بن شريك الذي عين والياً على مصر، من قبيل الخليفة الوليد بن عبد الملك (٩٠ - ٩٦ هـ) صرفه عن القضاء سنة ٩٠ هـ (٢١).

#### يحيى بن ربيعة بن ميمون الحضرمي:

ولاه الخليفة هشام بن عبد الملك (ت ١٠٥ هـ) و لكنه عزله إذ لم يكن محمود السيرة، فقد جاءه طفل يتيم يشكو عريف قومه فلم ينصفه، رغم الشهود الذين أكدوا للقاضي أن الطفل مظلوم، ولكنه لم ينصفه فكتب اليتيم شعراً، ومما قاله: أكدوا حكمك بباطل لم تأت حقاً و لم يسمع بحكم مثل ذلك.

فبلغ يحيى بن ميمون ما قاله من شعر فقام بسجنه، فعلم الخليفة هشام بأمر اليتيم فقرر صرفه عن القضاء (٢٢)، و مما قاله الخليفة لواليه في مصر: "أصرف يحيى عما يتولاه من القضاء... و تخير لقضاء جندك رجلاً غنياً تقيماً سليماً من العيوب لا تأخذه في الله لومة لائم" (٢٣).

#### توبة بن نمر الحضرمي:

من أعظم قضاة الحضارمة في مصر، كان قوياً في الحق محمود السيرة وكان لا يقبل شهادة الأشراف، و لا شهادة مضري على يمانى، ولا شهادة يمانى على مضري، كان كاتبه مغيت مولى حضرموت. (٢٤) أما عن عدم قبول شهادة الأشراف والمضريين على اليمانيين و العكس فيعود إلى اشتداد العصبية القبلية التي أذكاهما الخليفة الوليد بن عبد الملك (ت ١٢٥ هـ)، و ظلت نارها مستعرة، فكانت

#### يونس بن عطية الحضرمي:

ولاه عبدالعزيز بن مروان (ت ٨٦ هـ) القضاء و الشرطة سنة ٨٤ هـ. و هو من سادات حضرموت، هاجر مع أبيه و أعمامه من حضرموت في عهد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه). (١٣).

أما سبب توليه القضاء، إثر الحادثه التي وقعت في الشام و اختلاف فقهاءهم و قضائهم في نفقة المبتوتة، و هي المرأة المطلقة من الرجل، فيقال بت الرجل طلاق امرأته، فأرسل الخليفة عبد الملك بن مروان (ت ٨٥ هـ) إلى اخيه عبدالعزيز بن مروان والي مصر آنذاك قائلاً له: "فاكتب إلي بما عند أهل مصر فيه..".

جمع عبد العزيز بن مروان فقهاء و مشائخ مصر، و كان يونس جالساً في آخر المجلس غير أن فقهاء مصر لم يعطوا حكماً في قضية نفقة الزوجة المطلقة، فقام يونس فأجاب على تلك المسألة، فأعجب برأيه عبدالعزيز و الحاضرون، فسألهم عنه فأخبروه، فولاه القضاء.

#### أوس بن عبدالله بن عطية بن أوس:

ابن أخي يونس، تولى القضاء من قبل والي مصر عبدالعزيز بن مروان، بعد مرض يونس عام ٨٤ هـ، و أضاف إليه الشرطة، و في رواية إن من تولى الشرط هو عبدالرحمن بن معاوية بن حديج (١٤)، لم يمكث طويلاً في منصبه سوى حوالي شهرين و نصف الشهر، ثم صرف عام ٨٦ هـ. أي في السنة ذاتها.

#### عبدالرحمن بن معاوية بن حديج التجيبي

#### و يقال له (السكوني):

و هو ابن القائد الذي أرسله عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بخبر الفتق، و كان أحد الأربعة الذين وزعوا القبائل العربية في الفسطاط و أنزلوا القبائل في خططها. (١٥).

قبل أن يتولى القضاء كان متولياً منصب صاحب الشرطة، ثم جمع عبدالعزيز بن مروان له القضاء و الشرطة عام ٨٦ هـ (١٦).

وهو أول قاض. اهتم و نظر في أموال اليتامى و ضبطها، عن طريق عريف كل قوم، و كتب كتاباً بذلك، بمعنى أنه أسس و عمل ديواناً، و وضع له من يقوم بمراقبة أموال اليتامى. (١٧).





مصر أحداً أفقه من خير بن نعيم".

يذكر الليث بن سعد عن خير أنه كان يقضي فيمن اعترف لرجل بحق عليه ثم ادعى بأنه قد قضاه إياه ولا بينه عنده.

عزل عن القضاء سنة ١٢٧ هـ من قبل والي مصر آنذاك "حوثره بن سهل الباهلي" المعين من قبل الخليفة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين (١٢٧ هـ - ١٣٢ هـ) وحوثره الباهلي كلفه مروان بن محمد بالقضاء على فتنة (خلع مروان سنة ١٢٨ هـ). في هذه الفترة كان والي مصر هو حفص بن الوليد الحضرمي الذي طلب من الخليفة أن يعفيه فعفاه (٣٢).

\* أستاذ مشارك بجامعة حضرموت/ كلية الآداب قسم التاريخ.

#### الهوامش:

١. عبدالرحمن بن محمد الحضرمي "ت ٨٠٨ هـ".

المقدمة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١، ص- ١٨٢.

٢. المصدر نفسه.

٣. عن قبائل حضرموت في عمليات الفتح يرجى مراجعة: عبدالله بن عبدالرحمن، فتوح مصر والمغرب تحقيق شارلز توري بالهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ١٩٦١م، ص١٢٣. - البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، حققه وشرحه وعلق على حواشيه وأعد فهرسه وقدم له عبدالله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٧، ص٢٩٨.

٤. ينظر: الكندي: محمد بن يوسف، ولاية مصر وقضاها، تحقيق الدكتور حسين نصار، دار صاور، بيروت، د/ت، ص-٣٢. - اليعقوبي: أحمد بن واضح، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت د/ت، ج ٢ ص١٥٤.

٥. عن الحفظ التي سكنها الحضارة بمختلف قبائلها يرجى مراجعة: المقرئزي: أحمد بن علي بن عبدالقادر، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار "المعروف بالخطط المقرئزية" منشورات مكتبة العرفان البنان د/ت، ج ٢ ص-٦٠-٦١-٤٨١.

٦. هو سليم بن عتر بن سلمة بن مالك بن عتر بن وهب بن عوف بن معاوية بن الحارث بن أيدعان، توفي في دمياط عام ٧٥ هـ وهو من قبيلة تجيب.

٧. الكندي، ولاية مصر وقضاها ص٢٢٩-، السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٢، ج ١ ص١٢٩.

٨. الكندي، القضاة ص٢٢٩.

٩. نفسه، ص٢٣٢.

١٠. السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص١٢٩.

١١. الكندي، المصدر السابق، ص٢٣١.

١٢. وكيع، أبوبكر محمد بن خلف بن حيان بن صدفه الضبي، أخبار القضاة، حققه وصححه وعلق عليه وخرج أحاديثه عبدالعزيز مصطفى المراغمي، الطبقة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ١٣٦٦ هـ- ١٩٤٧ م، ص٣٢٥.

١٣. الكندي، القضاة، ص٢٤٢، السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص١٣٠.

١٤. نفسه، ص٢٤٤، وهو من الأشياء من حضرموت القبيلة الكندية، وكيع، أخبار القضاة، ج ١، ص٣٢٥.

١٥. ينظر، اليعقوبي، البلدان (مطبوع مع كتاب رشقة العلاقات النفسية، ليدن، ١٨٩١، ص ٣٣٠. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء) نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، د/ت، ج ٣، ص٣٢٥.

١٦. الكندي، ولاية مصر، ص٧٥.

١٧. نفسه والصفحة.

١٨. عبدالله بن عبدالمالك (٩٦ هـ) وهو لأم ولد. ينظر: الزبيدي: أبو عبدالله المصعب بن عبدالله، نسب قريش، عني بنشره لأول مرة وتصحيحه والتعليق عليه أ. ليفي. بروفنسيال، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١، ص١٨٤.

١٩. وكيع، أخبار القضاة، ج ٣ ص٣٢٥، ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني، رفع الأصر عن قضاة مصر، تحقيق الدكتور حامد عبد المجيد، مراجعة الأستاذ إبراهيم الإبياري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ١٩٦١م، ص-٣٧٣.

٢٠. القضاة، ص٢٤٨.

٢١. ابن حجر، رفع الأصر، ص٣٧٣.

٢٢. الكندي، القضاة، ص٢٥٧-٢٥٨.

٢٣. الكندي، القضاة ص٢٥٧-٢٥٨.

٢٤. نفسه والصفحة.

٢٥. عن العصبية و الصراع العدناني القحطاني انظر المسعودي، أبو الحسن علي الحسين، التنبيه والاشراف، عني بتصحيحه و مراجعته عبدالملك عبدالله إسماعيل الصاوي القاهرة ١٩٣٨م، ص١٩٥. - المقرئزي: أحمد بن علي بن عبد القادر، البيان والأعراب مما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبدالمجيد عابدي، القاهرة ١٩٦٤، ص٧٨.

جوبان: محمد محفوظ، "دور قبائل يمن الشام في تأسيس الحكم الأموي" (٤٠-٦٥ هـ) دراسة تاريخية وسياسية، مجلة دراسات تونسية-كلية العلوم الإنسانية، جامعة تونس، العدد (٢١-٢٢) تونس ٢٠٠٧، ص٢٢.

٢٦. انظر الكندي: القضاة، ص٢٥٨. - ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٠. وكيع، أخبار القضاة، ج ٣ ص-٣٢١.

٢٧. القضاة ص٢٦٠. - ابن عبد الحكم، المصدر السابق والصفحة. ينظر: عبدالرحمن أحمد عوض، الوقف في العهد الإسلامي، مجلة كلية الأمة، الطبعة الأولى، العدد ١١٩ لسنة ٢٧ قطر، ٢٠٠٧، ص-٤٢.

٢٨. عن قصته مع هذا الغلام يرجى مراجعة: الكندي، المصدر السابق ص٢٦١. - باحنان: محمد علي بن عوض بن زاك، جواهر تاريخ الأحقاف، مراجعة حسن جاسم، تصحيح وإشراف محمد عبدالله الدبوي، مطبعة الفجال الجديدة، ١٩٦٢، ص-١٢١.

٢٩. البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، التاريخ الكبير، تحقيق مصطفى عبدالقادر أحمد عطا، الطبعة الثانية- دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠٠٨، ج ٤ ص-١٢١.

٣٠. هو يزيد بن حبيب الملقب بورش لشدة بياض بشرته، كان أبوه من النوبة أخذ أسيراً سنة ٣١ هـ، وأعتق وأنجب يزيد المعروف بورش (ت ١٣٧ هـ). ينظر الكندي، القضاة، ص٢٦٢. - البري: عبدالله خورشيد، القرآن وعلومه في مصر (٢٠-٣٥٨ هـ)، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠، ص١٩٥ و ما بعدها.

٣١. الكندي، المصدر نفسه ص٢٦٢.

٣٢. وقال ابن عبد الحكم إنه عزل سنة ١٢٨. فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٠. السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص٩٠. و عند قيام الخلافة العباسية أعيد خير بن نعيم قاضياً على مصر في سنة ١٣٥ هـ. ثم تولى القضاء بعده كاتبه غوث بن سليمان الحضرمي (ت- ١٦٨ هـ). - ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب في ٢٤١-٢٤٢.





# أدوار عولقية

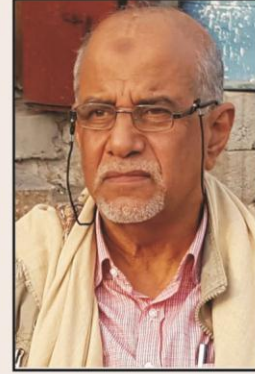
## في التاريخ السياسي الحديث لحضرموت

(1500 - 1900)

طالب بن حسين الهمامي (العولقي) و علي بن قطيان الكربي و قبائلهم و السادة المحاضير في ضمن قبائل شتى جلبتهم يافع من القبلة و كان ذلك طمعاً في الجمعدار عمر القعيطي لا بغضاً للدولة (١). وفيما بين عامي ١٨٤٧ و ١٨٤٨ تنافس آل كثير و القعيطيون على كسب العوالق في الحرب فيما بينهما و تمكن سلاطين آل كثير من إحضار بضعة آلاف من العوالق المقاتلين ، فتمكنوا مع آل كثير و غيرهم من القبائل من طرد يافع من تريم و في الأخير سيطروا على تريم في عام ١٨٤٧م وعلى سيئون في عام ١٨٤٨ وجعلوا منها عاصمتهم. أي عاصمة السلطنة الكثيرة (٦). وفي عام ١٨٥١ وصلت أقوام من أشراف مارب و عوالق و كرب ودهم و فيهم السلطان محمد بن ناصر العولقي و علي بن عبدالله السليماني العولقي (١).

ومنصبهم، كما أن السلطان بدر بوطويرق قد مد نفوذه إلى أرض العوالق عندما غزا قرية يشبم في حوالي عام ١٥٤٩م. وفي حوالي عام ١٧٠٤م (١١١٦ هـ) وصل مكتب (رسول يحمل رسالة) من صالح بن منصر العولقي بأن بدر بن السلطان محمد و يافع وصلوا إلى عتق و لم نجد ذكراً لسبب وصولهم إلى عتق .. وفي عام ١٨٠٨م وصل السلطان عمر بن جعفر الكثيري و معه السلطان صالح بن منصر العولقي و أولادهم في حوالي ٦٠٠ نفر من العوالق و تبعهم السلطان حسن بن الهادي الواحدي في نحو ٢٠٠ نفر و حارب هؤلاء يافع جنبا إلى جنب الشنافر (١). و في منطقة قعوضة تقع ما يسمى بحدبة العوالق... وربما أن العوالق في تدفقها إلى حضرموت كما أسلفنا خيمت هناك.

في عام ١٨٤٣م (١٢٦٤ هـ) تقريباً كان



محمد عيّدروس علي السليماني \*  
Mohammad.aidrus@gmail.com

### الحضارم في الهند :

لقد ازداد تدفق الهجرات الحضرمية إلى الهند في القرن الثالث عشر الميلادي مع زيادة ترحيب حكام الولايات الهندية وأمرائها بهم، وعملوا على تعيين قضاة لعموم العرب فيما بينهم لحل الخلاف بينهم ولذلك يمكن القول إن مسلمي (كن كان) وطائفة (المابيل) في المليبار (والجماعتين) في (غجرات) ينحدرون من أصول حضرمية.. وكان أمراء المسلمين الهنود دائمي الالتماس إلى علماء حضرموت للحضور للهند للإسهام في نشر العلوم الدينية كالقرآن الكريم والحديث والفقه في مختلف الممالك والسلطنات المسلمة كأحمد أباد وباروش وسورت ودولت وأحمد نجر وبيجاور وبليجام وحيدر أباد وبيدار وبراد وجولكنده وغيرها من المناطق والأقاليم الهندية. (٥)

### العوالق في الصراع الكثيري

#### اليافعي في وادي حضرموت :

في حوالي عام ١٥٠٠م تعلّم الشيخ عبيد با نافع العولقي في تريم، وعلى مر السنين صار فقيه العوالق العليا



صورة لوفد حيدر أباد الذي زار أوروبا سنة ١٨٧٦م، برئاسة رئيس الوزراء مير تراب علي خان الملقب مختار الملك وسالارجنك. ويظهر فيها ثلاث شخصيات من جنوب الجزيرة العربية الذين قد يعدون أوائل أبناءها الذين زاروا البلاد الأوروبية خلال تلك الفترة. فيبدو ضمن الجالسين محسن بن عبدالله العولقي الملقب مقدم جنك (الثاني من اليسار). والأول من اليمين غالب جنك - عم مسلم بلعلا، وضمن الواقفين والخامس من اليسار مسلم بلعلا المشتهر بلقب مسلم جنك، الذي كان قام ببناء جسر كبير يحمل اسمه عبر نهر موسى بحيدر أباد .



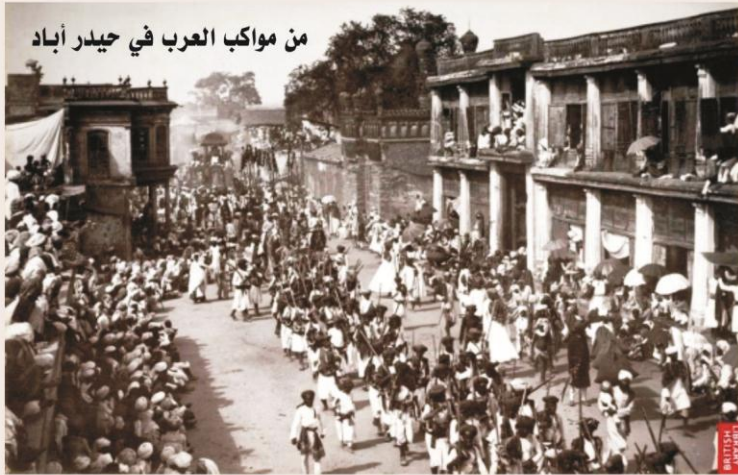
## بريطانيا و النفوذ العربي في

### حيدر أباد:

كانت حيدر أباد جزءاً من إمبراطورية المغول من عام ١٦٨٧م حتى عام ١٧٢٤م وهو العام الذي استقل بها أصف جاه الوالي من قبل المغول. وخلال القرن التاسع عشر سيطرت بريطانيا على الشؤون الخارجية لحيدر أباد. واشتهر النظاميون (دولة نظام حيدر أباد) بأنهم كانوا من أكثر الشعوب ثراء في العالم. وعندما تم تقسيم الهند في عام ١٩٤٧م، رفض النظاميون الانضمام إلى أي من الباكستان أو الهند، وأعقب ذلك مصادمات بين الهندوس والمسلمين. وفي عام ١٩٤٨م، أقامت الهند حكومة عسكرية في حيدر أباد، وحين قسّمت ولاية حيدر أباد أصبحت مدينة حيدر أباد عاصمة لولاية أندرا برادش. وكانت فترة الحكم البريطاني للهند (الهند البريطانية) تسمى "الراج البريطاني" British Raj أي الحكم البريطاني في اللغة الهندية، الذي انتهى باستقلال الهند في ١٥/٨/١٩٤٧م.

كان مسلمو نظام حيدر أباد بسبب قلة عددهم مثل سابقهم من سلاطين البهمن المسلمين، يشعرون بعدم الأمان وسط بحر من الهندوس والدرافيديان في جنوب الهند، ولذلك فقد شجعوا المسلمين من أي جنسية أو عرق للسكن في أرض الدكن. وهكذا دخل العرب من الحضارة وغيرهم من جيرانهم فوجدوا التشجيع من حكم نظام حيدر أباد (Hyderabad) و كان أهلنا ينطقونها "حيدر عباد"، فمنحوا الرتب العسكرية والإقطاعيات من الأراضي، وهكذا اغتنى الكثير منهم. ومن برز منهم في الخدمة العسكرية منح الألقاب الفخمة مثل: جنيز جنج (المحارب الجسور)، شمشير الدولة ( سيف الدولة)، مقدم جنج (المقدم في الحرب).... وفوق ذلك وجدوها أرضاً خصبة وفيرة الخيرات مقارنة بأرضهم القاحلة التي أتوا منها.

ولم يأت عام ١٨٥٤م إلا وأصبح كل من يريد نفوذاً في حكومة نظام حيدر أباد، إلا واستعان بمسليحين عرب لحراسته و سلامته و جمع ديونه و إيجاراته، أو لتأمين خزانته. ومن العائلات العربية المستوطنة



### مشروع الدولة العولقية بحضر موت:

في الجيش العربي التابع لنظام حيدر أباد بالهند كانت تتنازع السلطة والنفوذ ثلاث شخصيات هي: الحاج عمر بن عوض القعيطي وكانت رتبته العسكرية (شمشير الملك)، وعبدالله بن علي العولقي، وكانت رتبته العسكرية (سيف الدولة)، وغالب بن محسن الكثيري، وكانت رتبته العسكرية (غالب الدولة). ثم تطوروا وحمل كل منهم لقب "جمعدار" أي قائد لألفي مقاتل، وكانت هذه الشخصيات الثلاث مقرّبة من نظام حيدر أباد، وكان لكل منهم أتباعه وأنصاره في أوساط المهاجرين اليمنيين بالهند، غير أن القعيطي كان أكثرهم أنصاراً ومالاً وأوسعهم نفوذاً. وكان هؤلاء الثلاثة يمتلكون الإقطاعات الواسعة في ولاية حيدر أباد، وكان التنافس بينهم شديداً. وبسبب (الحسد) السائد بينهم، كَوّن العولقي والكثيري جبهة ضد القعيطي الذي كان أكثر طموحاً في التسلط والرئاسة من منافسيه، وقد بلغ به التهور درجة جعلته يتناول حتى على النظام نفسه. وفي سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م)، عندما كانت ثورة الجيش الهندي (Indian Mutiny) على أشدها ضد الإنجليز في الهند، خطّط القعيطي للقيام بانقلاب عسكري في حيدر أباد؛ لإسقاط حكم النظام والاستيلاء على مملكته وإقامة دولة (حضرمية) في الهند، وكادت الخطة أن تنجح لولا أن خبراً عن المؤامرة القعيطية تسرب إلى خصمه العولقي الذي كشف أسرار الخطة للنظام، وفشلت المؤامرة. وقد أعدم النظام مئات من المتآمرين ولكنه لم يستطع أن ينال من

في حيدر أباد، والتي كانت تتصارع على النفوذ السياسي في حضرموت برز كل من القعيطي، والكثيري، والعولقي. فأرسلوا الأموال والجنود والقيادات لإنشاء دول تحمل أسماءهم. فأما دولة العولقي فلم تصمد كثيراً، وأما دولتا الكثيري والقعيطي فقد بقيتا حتى خروج بريطانيا من الجنوب بنهاية عام ١٩٦٧.

وفي عام ١٨٧٤م كانت بريطانيا تنظر بعين عدم الرضى للصراعات العربية في حيدر أباد وتأثيرها على حضرموت، فقامت في عام ١٨٧٦ بعمل هدنة لمدة عامين بين السلطان القعيطي ونقيب المكلا الكسادي الذي كان مناصراً للعولقي، وبعدها بعام عقدت اتفاقاً بين العولقي والقعيطي في حيدر أباد أنهى الخصومة بينهما (٧).

كان نفوذ العرب (والعوالق في ضمنهم) في نظام حيدر أباد - الدكن يقلق شركة الهند الشرقية (كانت السلطة البريطانية تعمل تحت اسم الشركة هذه) الواقعة في مدينة كلكتا، وكان في حيدر أباد ممثل مقيم لبريطانيا. فكانت ترى أنهم لا يحترمون السلطة البريطانية، وحتى أنهم كانوا يفاخرون بمظهرهم من لبس الجنابي وحمل بنادق أبو فتيلة، وتري أنهم أيضاً يرون أنفسهم أعلى من السكان المحليين. وفي منتصف القرن التاسع عشر رأت فيهم خطراً داهماً ليس على حيدر أباد فحسب، بل على النفوذ البريطاني في الهند ككل. فغزمت أن تكسر شوكتهم. وبعد ضم حيدر أباد إلى الهند في عام ١٩٤٧م تم ترحيل وطرد حوالي ٧٠٠٠ عربي منها.





19

العدد (4)  
أبريل  
يونيو  
2017م

بستين ألف ريال فرنصة في السنة ليملكه من الصمود في وجه الأطماع القيعطية. وقد دخل العولقي في تحالف عسكري مع الكسادي والكثيري لزعزعة القيعطي عن مدينة الشحر. وقد قام هذا التحالف سنة ١٢٩١ هـ (١٨٧٤ م) بغزو الشحر، ولكن القيعطي هزمهم في وقعة (المشرف) المشهورة ٢.

## نهاية مشروع الدولة العولقية

### بحضر موت:

استنجد محسن بن عبدالله العولقي في عام ١٨٧٤ م بالعوالق لنصرة أصحابهم في ساحل حضرموت، فوصل العاقل فريد بن ناصر اليسلي، و فريد ابن السلطان عوض بن عبدالله العولقي صاحب نصاب (١)، إلى جانب عساكره من حيدر أباد وغيرهم من حلفائه من آل عمر باعمر العوابثة وآل كثير. وكان عدد المقاتلين العوالق يصل إلى ألف مقاتل.

بعد موقعة المشرف ابتدأ القيعطي يتحرك بسرعة ضد (المشروع) العولقي. فهو بعد أن وطّد نفسه في الشحر راح واحتل (شحير). ثم داهم غيل باوزير واحتلها بعد أن طرد آل عمر باعمر منها، ثم داهم حصن العولقي بقرية الصّداع، ولكن «الحصن» قاوم الهجوم القيعطي، فاكتفى القيعطي بضرب حصار حوله دام عدة أشهر وخلاله قطع عنهم ماء الغيل فأحتفروا آباراً للمياه، واضطرت حامية من رجال العوالق البواسل خلال مدة الحصار إلى أكل الجلود وشرب دماء الحيوان، ثم بعد طول معاناة إلى الاستسلام. وعندها نسف الجمعدار عوض حصن العولقي بالبارود وأحاله إلى كوم من التراب كما هو مشاهد اليوم (انظر الصورة). وأخذ بعض ترابه وحثاه في وجه محسن بن عبد الله العولقي في حيدر أباد. وتبخرت أحلام العولقي في تكوين دولة عولقية بحضرموت و كان ذلك بسقوط الحصن في ٢٦ / ٨ / ١٨٧٦ م، وبذلك انتهى حلم إقامة دولة عولقية في حضرموت الذي لم يدم إلا ١٣ عاماً. كانت بريطانيا منزعة من الصراع المسلح في حضرموت فتدخلت في عام ١٨٧٦ ورتبت لهدنة لمدة عامين بين السلطان القيعطي

ومتاريس للمدافع وكان حصناً استثنائياً في ذلك الوقت، فكل الحصون المجاورة كانت فيها فتحات في جوانبها للبنادق أبو فتيلة السائدة أيامها. ومات الحاج عمر بن عوض القيعطي سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) وخلفه أبناؤه الخمسة وعلى رأسهم الجمعدار عوض بن عمر القيعطي وكان هو الآخر ضابطاً كبيراً بجيش النظام العربي، وكانت رتبته العسكرية به (نواز جنج).



عدد من الوجاهات العولقية في زيارة الحصن الصّداع بدعوة من وجاهات حضرمية في عام ١٩٩٧ - بنصور الغلب

## مشروع الدولة العولقية بعد

### وفاة علي بن عبدالله العولقي:

توفي عبد الله بن علي العولقي سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م) وخلفه ابنه محسن الضابط بجيش النظام العربي برتبة (مقدم جنج). ولم يكن العولقي متستراً على عدائه للقيعطي، بل إنه كان يجاهر به وأنه سوف يعمل لإجلاء يافع عن حضرموت ساحلها ودخلها، وكان القيعطي يتوعد العولقي بأنه سوف يحطم آماله في الحكم، وأنه سوف يدمر حصنه الكائن بالصّداع وسيأتي ببعض تراب أنقاضه إلى حيدر أباد لينثره في وجهه. وراح كل جانب يغزل الدسائس والمؤامرات ضد الجانب الآخر. واستطاع العولقي كسب صداقة قبيلة آل عمر العوابثة التي كانت مسلحة ولها شأنها في غيل باوزير، وعندما جرى النزاع بين النقيب عمر بن صلاح الكسادي و الجمعدار عوض بن عمر القيعطي على اتفاقية مناصفة مدينة المكلا، كان محسن العولقي أول من حرّض الكسادي على نقض هذه الاتفاقية (المفروضة) وأمدّه

القيعطي بسوء نظراً للعصبية العربية والهندية القوية التي كانت تسنده. وعلى أي حال فإن افتضاح أمر القيعطي على يد العولقي زاد نار الخصومة اشتعالاً بين القيعطي من جهة ومنافسيه العولقي والكثيري من جهة أخرى، وقد فكر الكثيري في الانسحاب من هذه المعركة، وكان يخشى أن يطرده النظام من حيدر أباد ويستولي على إقطاعاته بسبب المؤامرة القيعطية التي جعلت النظام يتوجس خيفة

حتى من أقرب المقربين إليه من الرؤساء الحضارم. وبدار الكثيري وباع جانباً كبيراً من إقطاعاته بأثمان بخسة ووظف الحصيلة في إحياء الدولة الكثيرية. لم تكن هذه الشخصيات الثلاث قائمة بالخدمة العسكرية بحيدر أباد وامتلاك الضياع الواسعة بها في كنف النظام فحسب، بل إن كل واحد من هؤلاء الثلاثة كان يحلم أيضاً بالملك، وكان يسعى سعياً حثيثاً إلى إنشاء دولة له في حضرموت (٢).

عندما اشترى الحاج عمر بن عوض القيعطي قرية (الريضة) في القطن من السادة سنة ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) تمهيداً لإنشاء الدولة القيعطية، واشترى غالب بن محسن الكثيري قرية (الغرف) من آل تميم سنة ١٢٦١ هـ (١٨٤٥ م) تمهيداً لإحياء الدولة الكثيرية، وقام العولقي بشراء قرية (الصّداع) وهي من ضواحي بلدة غيل باوزير، من آل بريك حكام الشحر ونواحيها سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) وأقام بها حصناً متين البنية عالي الأركان توطئة منه للاستيلاء على الغيل وإقامة دولته العولقية بها، وقد بنى في الحصن أبراجاً





والنقيب الكسادي اللذين كانا طرفي الحرب وبمساعدة متبادلة ما بين العولقي والكسادي ضد القيعطي. كما عقد المقيم البريطاني في حيدر أباد اتفاقاً بين القيعطي و محسن بن عبد الله العولقي، أنهى المشاحنات بينهما (٧).

## من هو الأمير علي بن عبد الله العولقي؟

هو عبد الله بن علي بن محمد بن ناصر العولقي من قبيلة العسكر في نصاب من العوالق العليا. والعسكر هؤلاء هم في الأصل من فئات ومناطق مختلفة أعوان للدولة آل عوض بن عبد الله وهم سلاطين نصاب، وعلى مر السنين اندمجوا مع بعضهم البعض وكونوا عصبية قوية لا يستهان بها، على الرغم من أنهم شبه جنود فإنهم ليسوا نظاميين (١). أما دولة نصاب فهم سلاطين العوالق العليا. ولا بد أن طموحه الذي لم تسعه أرضه لا بينته القبيلة هو الذي قاده إلى أن سافر من نصاب إلى قعوضة طلباً للخدمة وتحسين معيشته، فنصحوه آل عجاج بأن يسافر إلى حيدر أباد في الهند إن أراد ذلك ٤ ولا بد أن هذا كان في عام ١٨٤٠ م أو قبله قليلاً فقد ورد ذكره لأول مرة في الهند في عام ١٨٤٣. هناك التحق العولقي جندياً بجيش نظام حيدر أباد الدكن وترقى في مختلف المناصب العسكرية إلى أن صار قائداً لأحد ألوية جيش النظام، وأحس صدور العرب وأعيانهم بحيدر أباد وكان ذا شخصية قوية وطموحاً إلى الملك وله مجموعة أشعار شعبية مطبوعة. ويقال إنه كان له مصلى بجانب قصره في حيدر أباد يصلي فيه التراويح كل ليلة في رمضان والسيوف حوله والفتائل مشعلة، ثم لا يقوم من مجلسه إلا وقد أنفق مبلغاً من المال وهو أول من مهد الخير للعرب بحيدر أباد وفتح لهم السبيل (٣). وأطلق عليه الكتاب الحضارم لقب "الأمير العولقي".

كانت للأمير العولقي عدة مراكز شرعية في البحر تعمل على نقل ما يحتاجه من الهند ويحضرها إلى قرية الحزم والصداع. وكان العولقي كثير المال، كريم النفس، شجاع القلب، فطفق يرسل إلى حضرموت

بكثير من الأموال، لمواصله العلويين، ولبناء المساجد والسقايا وما أشبه ذلك. لكن في بلده نصاب من أرض العوالق لم يبن إلا مسجداً صغيراً فقط. وكانت بعض الشخصيات العولقية تسافر إليه في الهند طمعاً في كرمه. مثل رويس بن فريد بن ناصر اليسلمي العولقي، الذي أعجبه المقام في حيدر أباد لكنه تذكر وطنه فأشند قائلاً:

منا الوطن غالي ما با فرقته

ولا المحلة خير في حيدر عباد.

## محسن بن علي بن عبد الله العولقي (٢):

كان ولده محسن، على قدر أبيه جوداً ونجدة وشهامة، ولكنه لم يكن مثله ولا بقرب منه، لا في العلم ولا في الدين. ومن محاسنه وقفه لمدينة شحير الآتي ذكره بموضعه، وقد أثرت على حياة محسن حادثه الهزيمة في الحزم والصداع، ولا سيما أن آل القيعطي أحضروا سدة حصن الصداع إلى حيدر أباد، ووضعوها في الطريق الواسعة، فمات غيباً في سنة ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م) عن ولد يقال له حسين، لم يكن دون أبيه في الشجاعة، ولكنه مات بعده وشيكاً بسم - حسبما يقال - دس له، وبموته انقرضوا عن غير وارث ثابت، فصارت نقودهم المقدرة بأكثر من عشرين ألف ألف روبية فضلاً عما يناسبها من المجوهرات والعقارات الكثيرة طعمة لبيت المال. وكان عوض حسن من عسكر نصاب وأحمد هنيد من أهل لحذب من المصينعة (مديرية الصعيد) للذان توفيا في حوالي التسعينات في ضمن صحبة محسن بن عبد الله بن علي العولقي. وصف المرحوم الكاتب محمد عبدالقادر بامطرف العولقي بأنه انتهزي لأنه لم يقيم دولته في نصاب من أرض العوالق بدلاً من حضرموت. ولم يدر بامطرف أن العولقي هو من قبيلة العسكر التي أفرادها أعوان لدولة نصاب وبالتالي لن يسمحوا له بإقامة أي شكل من أشكال السلطة لا في نصاب ولا في أي منطقة عولقية ٩. ومن جهة أخرى فإن العديد من العوالق اللذين كانوا بصحبة العولقي قد استوطنوا في ساحل حضرموت و ذابوا في

المجتمع الحضرمي، ومن هؤلاء الأستاذ حسن كندسه العولقي.

## طموحات العولقي خارج حيدر أباد (٧):

كان عبد الله بن علي العولقي طموحاً للملك والسيادة، ففي عام ١٨٥٦ م فاوض سلطان لحج على شراء منطقة بئر أحمد فلم ينجح، وبعد أربع سنوات حاول شراء ميناء بلحاف الواحد، لكنه بعد ذلك حوّل انتباهه إلى ساحل حضرموت فاشترى منطقة الصداع في عام ١٨٦٣ م وبنى فيها حصنه الشهير. أما ابنه محسن فقد أقرض السلطان العبدلي في عام ١٨٦٩ مبلغ ١٢٥,٠٠٠ ريال فرنسة من أجل خطة السلطان لغزو الحجرية في منطقة تعز الشهيرة بإنتاج البن، لكن هذه الخطة لم تتم.

ملاحظة: \* - العولقي أيضاً.

المصادر:

١. تاريخ حضرموت، الشيخ العلامة سالم بن محمد بن سالم بن حميد الكندي، مكتبة الإرشاد صنعاء ١٩٩١،
  ٢. المختصر في تاريخ حضرموت تأليف: محمد عبدالقادر بامطرف،
  ٣. إدام القوت، العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله ابن محسن السقاف،
  ٤. عبد الرحمن جعفر بن عقيل.
  ٥. الهجرات الحضرمية الحديثة إلى الهند وتأثيراتها.... الدكتور جمال النظاري، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ١٩٩٩،
  ٦. Western Arabia and the Red Sea. by Naval
  ٧. Aden Under British Rule. Gavin.
  ٨. تأملات عن تاريخ حضرموت، السلطان غالب بن عوض القيعطي.
  ٩. في سبيل الحكم، محمد عبدالقادر بامطرف.
- \* نبذة عن الكاتب:
- مولود ومقيم في محافظة شبوة، العمر ٦٦ عاماً، درس الابتدائية إلى الثانوية في مدارس عدن، بكالوريوس علوم زراعية - من ليبيا ١٩٧٥، وماجستير في الزراعة المروية من الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٧٩. مختص في التنمية الريفية والزراعية والإدارة. عاش في سينون لمدة سبع سنوات متصلة (١٩٩٨ - ٢٠٠٥)، العمل الحالي مستشاراً للعلاقات المجتمعية والتنمية المستدامة بالشركة اليمنية للغاز الطبيعي المسال.
- ملاحظة: كل رقم في المتن يحيل إلى رقم المرجع في الهامش. (المجلة).





# الحياة العلمية في وادي دوعن حتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري



(١)

مع انتشار نور الإسلام، سارع وفدٌ من أهل الصدف وهم فرعٌ من قبيلة كندة التي استوطنت وادي دوعن، إلى مبايعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والانضمام تحت لوائه وكانوا في طلائع الفاتحين في جيوش المسلمين في المشرق والمغرب الأقصى. وليس لدينا بعد ذلك مصادر نعتد عليها في أخبار وادي دوعن خلال حروب الردة، وعصر الخلفاء الراشدين وخلال فترة حكم الأمويين والعباسيين، فقد أهملت مصادر التاريخ الإسلامي الأحداث الواقعة في هذه الرقعة من الدولة الإسلامية خلال الفترة الزمنية من القرن الأول الهجري إلى القرن التاسع الهجري تقريباً، وليس لدينا من شيء مدون سوى إشارة موجزة إلى الثورة الإباضية بقيادة عبد الله بن يحيى الكندي (ت ١٣٠هـ) زعيم الإباضية، والذي اتخذ من دوعن مُنطلقاً لدعوته ثم حاربه الأمويون حتى قضاوا عليه.

ووصل في التاسع من رمضان سنة ٩٤٨هـ إلى (قيدون) العاصمة الروحية للعموديين فخر بها، ثم حاصر (بضه)، ولكن العمودي تمكن مع حلفائه من القبائل من دحر بدر بوطويرق عن وادي دوعن بشكل عام. (٢) ولم يدم الاستقرار طويلاً، فقد بادر النقيب صلاح بن محمد الكسادي إلى الانقضاض على دوعن، واستولى على الخربة سنة ١٢٨٦هـ، ولكن سرعان ما جمع العمودي جنوده وأعاد وحلفاؤه مرة أخرى ترتيب صفوفهم، ودارت معركة بين العمودي والكسادي أفضت إلى اندحار الأخير عن وادي دوعن بعد أن خسر كثيراً من رجاله. وفي مطلع القرن الرابع عشر الهجري قرر السلطان القيعطي ضمّ الوادي إلى سلطانه وإنهاء معاناة سكانه، فبادر إلى جمع عساكره، وهاجم وادي دوعن الأيمن واستولى عليه، ثم أسند تصريحاً شؤونه إلى المقدم عمر بن أحمد باصرة (ت ١٣٥٢هـ) والذي أسهم بدوره في تثبيت سلطان القيعطي، وضمّ الوادي

متفرقة عن تاريخ وادي دوعن، وكشفت الستار عن التقلبات السياسية وتأثيرها على الحياة الاجتماعية. فقد كان وادي دوعن لميزاته الجغرافية، ولثرواته الاقتصادية محلّ أنظار الطامعين، وغدا مسرحاً لصراع محتدم بين عدة قوى متنازعة كانت تسعى للسيطرة على الوادي، وضمّه إلى نفوذها، وقد ذاق الأهالي جراء هذه النزاعات صنوفاً من القهر والأذى والخوف والقلق. فقد تداول على حكم الوادي العديد من الحكومات والسلطنات، كان من أبرزها إمارة آل العمودي التي أسسها عثمان بن سعيد العمودي في منتصف القرن العاشر الهجري، وجاء بعده الرجل الأقوى في الدولة الشيخ عثمان بن أحمد العمودي (ت ٩٨٦هـ) الذي أرسى أركان الدولة، واتخذ من قرية (بضه) مقراً لحكمه، وكانت الحرب بينه وبين السلطان الكثيري بدر بوطويرق (ت ٩٧٧هـ) سجلاً. وكان الأخير يرغب في ضمّ وادي دوعن إلى سلطانه.



عبدالله بن أحمد قنيوي\*

وقد كان جلياً هذا القلق من شخ المصادر التي صنفت عن وادي دوعن، على لسان مؤرخ الوادي الثقة المحقق علوي بن طاهر الحداد حيث قال في الشامل: (فإن تاريخ الجهة الدوعنية وولاتها وحداثاتها وفقهاؤها وصلحائها قد أهمل إهمالاً غريباً). (١) ولكن ومنذ منتصف القرن العاشر تقريباً، بدأ تصنيف مؤلفات عن تاريخ حضرموت، ودونت تراجم لأهم أعلامها، واحتوت تلك الأسفار على إضاءات





الأيسر لاحقاً، وبذلك أصبح الوادي بفرعيه (الأيمن والأيسر) تحت حكم السلطنة القيعطية وأطلق عليه (لواء دوعن). (٢)

لقد كان يطلق على وادي دوعن وادي الفقهاء، فقد أنجبت أرض هذا الوادي المباركة جهابذة من العلماء الأجلاء بلغت شهرتهم الآفاق، فقد ذكر الشلي في كتابه (المشرع الروي) أنه وجد بهذا الوادي من العلماء العارفين ما يعجز عنهم وصف الواصفين. (٣) وكانت (الهجرين) عامرة بالفقهاء حتى قيل إنه اجتمع فيها في ليلة واحدة ستون مفتياً، وكانت بلدة (صبيخ) مهد علم ومغرس معارف، ويروي المؤرخون أنه اجتمع فيها أربعون عذراء يحفظن إرشاد ابن مقرئ. وهذا يشكل بذاته ظاهرة تستدعي البحث والدراسة.

وقد تركّز نشاط أغلب هؤلاء الفقهاء الذين ذاع صيتهم في حواضر الوادي، التي كانت تشع بنور العلم، فقد كان الغرض الرئيس مثلاً من تأسيس (رباط باعشن) هو نشر العلم، وصارت هذه الميزة هي الغالبة على هذه البلدة، وكان بها مصابيح العلوم من آل باعشن وهم بيت علم، ومغرس فضل ومنبسط صلاح، ومن مشاهيرهم: الإمام العارف أحمد بن عبد القادر باعشن (١٠٥٢ هـ) إمام أهل العرفان في عصره، وشيخ الأولياء في قطره. أيضاً الفقيه سعيد بن عبد الله باعشن (١١٧٢ هـ) أما أجلهم وأكثرهم نبوغاً فهو الشيخ العلامة الفهامة سعيد بن محمد باعشن (١٢٧٠ هـ) صاحب كتاب (بشرى الكريم بشرح مسائل التعليم) فقيه دوعن وعالمها، وله التصانيف النافعة التي انتشرت في الآفاق، وبعضها يدرس في الجامعات العربية.

وكانت (الخريبة) محط رجال العلم من قديم الزمان، ومن أشهرهم: عالم الخريبة وقاضيه: سليمان باحويرث وابنه محمد الذي نشأ في حجر أبيه، وكان فقيهاً جليلاً. والقاضي عمر بن أبي بكر باحويرث (١٣٦٦ هـ). ومن أفاضها الشيخ عبد الله بن أحمد بأسودان (١٢٦٦ هـ)، كان من أهل العلم والتعليم والدعوة وكان مقصد طلاب العلم من جميع الأنحاء، وجعل الخريبة في عهده مستقراً للعلم وكعبة للمستفيدين، ومن بعده ابنه محمد بن

عبد الله بأسودان (١٢٨١ هـ) الفقيه الورع الزاهد، لزم والده وحصل علماً عظيماً وأخذ عنه جمع لا يحصون من فقهاء الوادي.

ولا يحصى من أنبته (الهجرين) من رجال العلم، ومنهم: الفقيه عبد الله بن أحمد بامخرمة (ت ٩٠٣ هـ): وهو الإمام الجليل، والخبير العظيم، ولد بالهجرين، ونشأ يتيماً في حجر والدته، كان مشهوداً له بالتقدم في الفقه، طلب العلم في عدن واستقر مقامه بها وأصبح قاضياً. وكذلك العلامة القاضي: محمد بن عمر باقضم بامخرمة (ت ٩٥١ هـ) ولد بمدينة الهجرين ونشأ بها ثم ارتحل في طلب العلم إلى عدن ثم إلى زبيد، وقد تصدر للفتيا في عدن فصار الإمام المشار إليه، والعالم المعول عليه. ومنهم عبد الله بن عمر بامخرمة (ت ٩٧٢ هـ) الملقب بالشافعي الصغير، ولد بالهجرين، وكان نسيج وحده، وفريد عصره في الفقه وسائر العلوم، ولي قضاء الشحر، ثم أقام بعدن. وكان فصيحاً بليغاً في الأدب. ومن آل بن عفيف: الفقيه النحوي الأريب عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عفيف (ت ٩٤٨ هـ). والفقيه محمد بن أحمد باعلي بن عفيف (ت ١٠١٥ هـ).

وكانت (قصيدون) منارة علمية، ومركز إشعاع فكري، وكان فيها عدد ليس بالقليل ممن يحفظ كتاب الله عن ظهر قلب. ومن خيرة علمائها: الشيخ العلامة عثمان بن محمد العمودي (ت ٩٤٨ هـ) سافر لطلب العلم، وتلقى عن جهابذة العلماء، ثم اشتغل بنشر العلم في دوعن، وتصدر للتدريس والفتوى في قيدون، وارتحل إليه جماعة من الطلاب، وانتفع بعلمه خلق كثير. وابن أخيه الشيخ عمر بن أحمد العمودي (ت ٩٤٨ هـ) ولد في قيدون، ونشأ في حجر عمه، وتلقى عنه وانتفع بعلمه، وكان من العلماء الصالحين المتقين، وكان أكثرهم الاعتناء بطلبة العلم والقراء، والقيام بكفائتهم، قيل إنه اجتمع في زمانه في قيدون ستون طالباً، وأربعون قارئاً. ومن المتأخرين العلامة علوي بن طاهر الحداد (١٣٨٢ هـ) وصف بأنه: الخطيب المصقع والفقيه المحقق، والمحدث النقاد، وقد أسس برفقة أخيه عبد الله (رباط قيدون) سنة ١٣٢٧ هـ ومضياً في نشر العلم، ورفع الجهل، فانتفع به خلق كثير.

وكان في غير هذه البلدان من وادي دوعن من الفقهاء والصالحين من أشار إليه بنان الدهر بالفضل وسعة العلم، فلمع في (القرين) نجم آل البار، ومن أشهر علمائهم: الإمام أحمد بن عبد الله البار (ت ١٣١١ هـ) أخذ عن علماء مصر والشام والحجاز، وكان يعد مسند دوعن في زمانه، وكانت له مجالس علمية في مساجدها. وكان في (قرحة باحميش) فقيه دوعن وعالمها: الإمام علي بن أحمد باصبرين (ت ١٣٠٥ هـ) كان جبلاً من جبال العلم، نشر العلم في دوعن، وأقبل عليه أفواج الطلاب من كل صوب، وله مصنفات جلية تروى على ثلاثة وثلاثين كتاباً. وأنجبت (القوية) الإمام أحمد بن محمد المحضار (ت ١٣٠٤ هـ). كان آية في العبادة وتلاوة القرآن، وصيته بعيد، وفضله شهير. وفي (الرشيد) الفقيه سالم بن محمد الحبشي (ت ١٣٢٩ هـ) كان إماماً فاضلاً، وعالمًا عاملاً، ناسكاً نبيهاً.

وكان من علماء وادي دوعن الأيسر: الفقيه أحمد بن محمد باشميل (١٢٧٠ هـ)، من فقهاء (العرسمة)، وتولى قضاء دوعن، حسبة لله، وهو من أفضل قضاة العدل، وله أربعون مؤلفاً ضاع أغلبها، وفي (الحجي) كان الإمام عبد الله بن سعيد باجنيد (١٣٥٩ هـ) ولي قضاء دوعن، والمكلا عدة مرات، ومن علماء (الدوفة) الشيخ عبد الله بن عثمان بن أبي بكر العمودي، وفي قرية (حوفة) كان العلامة الشيخ: حسن بايماني العمودي الذي اتقن علم الأصول والفقه واللغة العربية، وبلغ مرتبة كبيرة من العلم. وفي (ضري): الشيخ الفقيه المعمر، أبو بكر بن أحمد باحميد. ومن فقهاء (تولبة) الفقيه علي بن علي بايزيد الدوعني (ت ٩٧٥ هـ): الولي الصالح، تلقى الفقه عن علماء دوعن، ثم تولى التدريس في المدرسة البدريّة في الشحر وله مصنفات جلية، وانتفع بعلمه خلق كثير.

(٣)

لقد كان لوجود هذا العدد الكبير من العلماء، عظيم الأثر في إثراء الحركة العلمية في الوادي، فانتشرت الأربطة وزوايا العلم في العديد من القرى وقصدها الطلاب من داخل الوادي ومن خارجه، وكان يعقد بها العلماء حلقات علمية،





الباحثين إلى التنقيب في هذه الأماكن، لظفروا بدرر غالبية من المخطوطات. وإن كثيراً منها قد أصابها التلف بسبب تأثر المواد التي تدخل في تكوينها بالتحلل، نتيجة الرطوبة أو الحرارة. فهل من الباحثين والمهتمين بالتراث من سيعي هذا الخطر وينطلق ليجمع هذه الكنوز الثمينة؟! وحالياً هناك أجهزة متطورة لحماية المخطوطات، وتغليفها، وهناك طرق متعددة للحفاظ على المخطوطة كصويرها مثلاً بالميكرو فيلم ومن ثم تخزينها على أقراص مدمجة. وبالنسبة للمخطوطات التي يمتلكها الأفراد في بيوتهم فإنه في حالة موافقة مالك المخطوطة من الممكن تصويرها وضماً ضمن فهرس موحد للمخطوطات. من ثم إعادة المخطوط الأصل لصاحبه. وإن بعض من ورث هذه المخطوطات لا يعي مقدار الخسارة الفادحة التي ستحل على تاريخنا العتيق حين تصاب هذه الدرر الثمينة بالتلف بسبب حشرات (الأرضة) أو غيرها، وكما قلت سابقاً هناك كثير من المخطوطات في البيوت، ولكن للأسف لم توضع بعد فكرة شاملة لجمع أو تصوير أو صيانة هذا التراث. وقد زرنا بعض هذه المكتبات ورأينا الترتيب والتنظيم في بعضها والإهمال واللامبالاة في بعضها الآخر. وكما نأمل أن يتم تدارك هذا التراث العظيم، ويصان بأيدي أبنائه، قبل أن تذهب هذه الكنوز الثمينة أدراج الرياح، وتبتعد بها موجات نهر الزمن بعيداً.

الهوامش:

- \* باحث دكتوراه في جامعة الملك سعود - كلية الآداب - الرياض
١. علوي بن طاهر، الشامل: ص ١٥. وينظر: باحان، تاريخ جواهر الأحقاف، جدة: دار المنهاج الطبعة الأولى ٢٠٠٨م ص ٦١
  ٢. باوزير، سعيد، صفحات من التاريخ الحضرمي، عدن: دار الوفاق الطبعة الثالثة ٢٠١٢م، ص ١٩٨.
  ٣. السقايف، عبد الرحمن بن عبيد الله، جدة: طبعة دار المنهاج، ص ٣٤٨
  ٤. عبد النور، محمد، الحياة العلمية في حضرموت في القرن السابع والثامن للهجرة، صنعاء: وزارة الثقافة، ط ١٠-٢٠١٠م، ص ١٦٢.
  ٥. باحمدان، محمد: التعليم الأهلي في دوعن إشارات ووقفات، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ١٢٤٩٠، ٥٠، ٢٨، ٢٣، ١٩

ومبادئ القراءة والكتابة والخط والحساب، وكان يُعقد أغلبها في البيوت أو المساجد، وقد أنشئت كذلك في منتصف القرن الهجري الماضي العديد من المدارس الأهلية التي كان لها بصمات واضحة في مسيرة التعليم وتطوره، ومن أشهر تلك المدارس: مدرسة البار بالخريبة ١٣٤٦هـ، والمدرسة الإرشادية بقيدون ١٣٥٣هـ، ومدرسة الرباط ١٣٥٩هـ، ومدرسة السعادة بالخريبة ١٣٦٠هـ، والمدرسة الأهلية بنسرة ١٣٦٠هـ، ومدرسة الفلاح بصيف ١٣٦٣هـ، ومدرسة عورة الأهلية ١٣٧١هـ، ومدرسة النصر بالهجري ١٣٧٨هـ، ومدرسة المحضار بالقويرة ١٣٨١هـ، والمدرسة الأهلية بلجرات، ومدرسة حوفة ١٣٨٢هـ، ومدرسة صبيخ ١٣٨٢هـ، والمدرسة الأهلية ببضة ١٣٨٣هـ. (٥)

(٤)

وقد حظي الوادي بإنشاء عدد من المكتبات العامة والخاصة، وهو أمر يدل على أصالة علمائه، إذ أدرك العديد من أولئك أن شخصية الفقيه تستلزم وجود عوامل تساعد على سعة الاطلاع والإلمام بأراء العلماء في مختلف الأقطار. وقد أحصى الباحث المؤرخ جعفر السقايف خلال منتصف القرن الرابع عشر في زيارته للوادي العديد من تلك المكتبات التي تحتوي بعضها على مخطوطات نفيسة صنّفها علماء دوعن، ومن تلك المكتبات:

١. مكتبة أحمد بن حسن العطاس بحريضة.
٢. مكتبة الشيخ عبد الله باسودان بالخريبة.
٣. مكتبة عمر العطاس برباط باعشن.
٤. مكتبة أسرة البار بالقرين.
٥. مكتبة حامد أبوبكر المحضار بالقويرة.
٦. مكتبة آل باحميش بالقرحة.
٧. مكتبة السيد سالم الجبشي بالرشيد.
٨. مكتبة عبود أحمد خرد ببضة.
٩. مكتبة آل بالخير بغيل بالخير.
١٠. مكتبة آل باشميل بالعرسة.
١١. مكتبة حسن علي العطاس بصبيخ.
١٢. مكتبة محمد زاكح باحان بصيف.

وتحتوي هذه المكتبات - كما أسلفنا - على العديد من المخطوطات والكتب القيمة، يضاف إلى ذلك آثار التراث العلمي في بيوت بعض الأسر، وخلف عتبات كثير من المساجد العتيقة. ولو اتجهت أنظار

فيلقون الدروس، ويمنحون الإجازات، ويستفتون في المسائل. ونشطت خلال القرنين الهجريين الفاتنين في الوادي حركة علمية واسعة بينما كانت جهات أخرى من حضرموت يكتنفها سياج الجهل والتخلف. وكان من أشهر الأربطة: (رباط باعشن) الذي أسسه الشيخ محمد بن أبي بكر باعشن في القرن العاشر الهجري، و (رباط الخريبة) الذي أسسه العلامة عبد الله بن أحمد باسودان سنة ١٢١٣هـ وتلاه في التدريس فيه ابنه محمد بن عبد الله باسودان، وتوسعت فيه الحركة العلمية، وكان مقصداً للطلاب القادمين من وادي حضرموت ويافع والعواليق والبيضاء، و (رباط قرحة باحميش) الذي أسسه الإمام علي بن أحمد باصبرين سنة ١٢٨٠هـ، وكان يشرف على التدريس فيه، ويقد عليه العديد من طلاب العلم، و (رباط القويرة) الذي أسسه السيد أحمد بن محمد المحضار سنة ١٣٣٠هـ، وخلفه للتدريس فيه السيد مصطفى بن أحمد المحضار، و (رباط قيديون) الذي أسسه العالمان علوي وعبد الله آل الحداد سنة ١٣٣٣هـ، وكان منارة لتلقي العلوم الدينية، وعلم الحساب. (٤)

ومما يتصل بهذا المجال نشأة الزوايا العلمية، والزاوية: هي الغرف الملاصقة للمسجد، والتي تعد غالباً للعبادة وإيواء طلبة العلم والمحتاجين وإطعامهم وتزويدهم بما يلزمهم وما يحتاجونه، وفيها تلقى الدروس، ويوقف عليها الأهالي من أموالهم، ومن أشهر الزوايا في وادي دوعن: زاوية أبي الأوعار في الهجريين، أسسها الشيخ أحمد بن سعيد بن عفيف أبو الأوعار (ت ٦٣٢هـ)، وكانت بمسجد الجامع، وخصصت لتلاوة القرآن والذكر والدروس. وزاوية الشيخ سعيد بن عيسى العمودي (ت ٦٧١هـ) التي أنشأها بنفسه في مسجده بقيدون وأوقف عليها مالا، وأشرف عليها ذريته من بعده. وأيضاً زاوية الشيخ يوسف بن أحمد باناجه (ت ٧٨١هـ) في الرشيد، وزاوية (الغزالي) في العرسة وكان آل باجخيف لهم عناية بها، وقد عمرها الشيخ علي أحمد باجخيف (ت ١٣١٣هـ).

وكان للكاتب دور في تنمية الحركة العلمية في الوادي، والكتاب: هو مؤسسة تعليمية أهلية أنشئت لغرض تعليم الناشئة القرآن الكريم والمعارف الدينية





# سوق الخريبة القديم

وعام ١٣٥٦ هجري ولكن قد يكون أقدم من ذلك بكثير .

ثم أخذ يتحدث عن السوق وتجاره قائلاً إن السوق كان سوقاً مليئاً بالخيرات، وأهله أخير؛ وكان يزيد عدد المحلات التجارية على ستة وثلاثين محلاً تجارياً باستثناء البسطات، يأتي إليه الناس لقضاء حاجتهم منه، فكان هناك التجار الكبار بائعو الجملة والتجزئة وتجار صغار بائعو التجزئة، ومن أهم التجار أمثال الباعبيد

تحريفها إلى تسمية منطقة الخريبة.

وهي منطقة مسورة ذات بيوت متلاصقة بعضها ببعض، وكانت هناك أبواب (سدد) تغلق عليها بما فيه سوقها القديم من العدو الخارجي.

ثم تحدث عن قدم السوق فقال إن سوق المنطقة تزامن مع ولادتها فهو قديم جداً، وعند تصويرنا السوق القديم وجدنا على أحد أبواب المحلات التجارية تاريخ صناعة هذا الباب يعود إلى عام ١٣٤٢ هجري،



صالح باحيدرة

تحركت في صباح يوم جميل إليها أحمل في خبايا أوراقي الكثير من الأسئلة، وعند وصولي إلى المنطقة أخذت شيئاً من الراحة ليس لطول ومشقة المسافة ولكن لأخذ فكرة بسيطة عن المنطقة وسوقها الجديد ومقارنته بالسوق القديم.

وبعد ذلك قصدت بيت الوالد والأستاذ الحبيب حامد أبوبكر الجفري أمد الله بالعافية والصحة، وهو شاهد عيان على ازدهار سوق الخريبة القديم في تلك الأيام.

فأضاف وأفادني بالكثير من المعلومات، فهو ذو طبع وعطاء كريم لم ييخل علي بمعلومات، فتحدث عن تسمية المنطقة بذلك الاسم المعروف حالياً الخريبة قائلاً إنه يعود إلى امرأة سكنت المنطقة، فأتى أحد السادة وسألها عن سبب سكنها بها؟ فقالت: إن الخير بها وبأهلها، ومن هنا تم







سوق عمر بالحيدرة  
عمر محسن بالحوكوت

والمشتري من الوادي ومن خارج الوادي من المرتفعات البادية والأودية المجاورة كوادي عمد وحريضة ووادي العين فيأتي إليه الناس من كل حذب وصوب لتبادل السلع على مدار أيام السنة، والدولة التي كانت تنظم حركة البيع والشراء وحماية السوق وحراسته الدولة القعيطية، فقد كان هناك حراس من يافع يقومون بحراسة السوق، وكان هناك مقر لهم في بداية مدخل السوق كما أنهم كانوا يحرسون المنطقة بل الوادي ومقرهم الحصون الموجودة في بطن الوادي، وكذلك الحصون الموجودة في مرتفعات أعالي الوادي كحصن الحبل وحصن الكوبة، كما كانت هناك بعض الحرف التي تمارس في السوق فأسرة الباقلي في لحام الحديد برصاص الكير، وأسرة الباعثمان في الفضة، وأسرة الباخيضر والباعفي والباعيسى في عصر الزيت الجلجل معاصر السليط، وأسرة العي وبين حميد في دباغة الجلود. وكانت العملة المتداولة في السوق قبل وجود الدولة القعيطية كانت عملة تنسب لأسرة الكاف وهي أسرة معروفة بثرائها في وادي حضرموت، وهي عملة شبيهة بالفضة، ثم تلتها عملة الدولة القعيطية، ثم تعاقبت الحكومات بعدها بعملاتها المعروفة.

كما يبرز في السوق الدل فهم جزء لا يتجزأ من السوق، وهم وسيط بين البائع الذي يأتي من خارج السوق والمشتري وهم أصحاب السوق؛ حيث كان هناك تخصص في دلالة السلع، فكان منهم متخصص في سلعة الحطب والصخر النباتي المحروق والجدور وهي جذوع النخيل بعد تقطيعها ليستفاد منها في بناء أسقف البيوت. متخصص في ذلك سعيد باقلب ثم خلفه ابنه سالم سعيد باقلب، وفي دلالة الأغنام والجمال والأبقار الباخريبة، وفي دلالة الحبوب والبصل وملح شبوة وغيرها من الأطعمة التي يستخدم فيها المكيال عمر عوض العي. وأما عن شهرة السوق فهو سوق معروف له سيط، مسموع يأتي إليه البائع

والباقادر والبار والباعيسى وآل الوزير وبادويلان وبانبيلة والباهارون وباقلب وبن جويهر وآل خنبش وبركان وباطاهر وغيرهم.

أما عن أهم السلع التي تباع في السوق فهناك سلع محلية من إنتاج الوادي كالتمر والطعام والحبوب وغيرها، وهناك حرف محلية البعض تصنع في البيوت من قبل النساء والبعض الآخر لها محلات تجارية بداخل السوق كأدوات المنزل من أوان فخرية وأخرى معدنية تستخدم لطباخة وحفظ الطعام، وأدوات الزراعة المحراث والمنجل والفأس وأدوات تستخدم للحيوانات، وغيرها من الحرف المحلية المشهور بها الوادي في ذلك الوقت وهناك سلع مستوردة كتمر وادي حجر والقمح البر الآتي من الضليعة ووادي حضرموت وكذلك البصل وملح شبوة حيث يذكر أنه في بعض الأشهر تأتي قافلة مكونة من عشرين جملاً محملاً بملح شبوة، وكذلك الأغنام ولها مسميات بأسماء المناطق التي أتت منها فأغنام القبلة تأتي من الضليعة، وغنم سيباني من شرق تأتي من كور سيبان، وغنم مشقاصي من شرق (مشقاص)، حيث تنقل كل هذه السلع المستوردة عبر قوافل الجمال قبل وصول المركبات، وتطرح حمولتها في السوق في مكان يعرف من أول إلى الآن بـ (المحاويك) نسبة إلى الحوكة. منها ما يسلك العقبة القبلية عقبة الخريبة من جهة الغرب ومنها ما يسلك عقبة الحبل من جهة الشرق إلى بطن الوادي وهناك قوافل تمر في وسط الوادي آتية من أسفل وادي حضرموت.







# حصون نوح وسيبان ولبنة والحيسر تحت المجهر



تعد الحصون من أهم المعالم الأثرية لمعظم قبائل حضرموت ؛ إذ يُعدُّ حصناً حصيناً ضد أي هجوم مباغت من قبل أي قبيلة أخرى ، فقد كانت القبائل في ذلك العصر تعيش صراعات وتناحراً قُبلياً وشارات ، لذا كان لزاماً على كل قبيلة أن تبني لها حصوناً تحتمي بها من الهجمات المباغتة أو لأي طارئ كان ، وتعد حصون نوح وسيبان على مرتفعات هضبة حضرموت من أهم تلك المعالم الأثرية التي لم يتطرق لها باحث أو مؤرخ وقد قمت بهذا الأمر منذ سنوات بكتابة كل ما

أستطيع من عاداتهم وتراثهم وتقاليدهم وأشعارهم وللاطلاع انظر كتابنا الموسوم ( المقدم الشاعر سعيد بن سالم بانهم المرشدي وشعراء آخرون وعادات وتقاليدهم من سيبان ) .

والقوة والجمال ، وقد بني عام ١٥٦٠ م وله قصة تاريخية يتداولها مقادمة وشيوخ آل باصريح وهم من قبائل آل سيبان ذات الصيت والشهرة والتاريخ العريق ، وقد ذكرت هذه القصة في مجلة شعاع الأمل العدد ١٥٩ لعام ٢٠١٥م ، وهذا نصها ( وهناك حصن الخضراء الذي تم بناؤه عام ١٥٦٠م على يد المقدم حمد بن ريشان باصريح المرشدي السيباني وهو من أروع وأجمل الحصون الأثرية وأقواها وأمتنها ، ويعد تحفة في التصميم والهندسة المعمارية في ذلك الزمان ولبناء هذا الحصن قصة يتداولها الناس تشبه قصة قصر الملك النعمان مع المهندس المعماري سنمار التي ذهبت مثلاً ( جزاء سنمار ) تقول القصة : إن آل سيبان حرصوا عند بنائهم لهذا الحصن ، أن يكون تحفة متفردة ولا يماثله أي حصن مهما كلف الأمر ، فجاءوا

هضبة حضرموت من دوعن إلى (رأس حويرة) ، وتبنى من مادة (القرف) بفتح القاء والراء وهي مادة جيكية متحجرة تستخرج من الهضاب بنية اللون شبه صلبة ، وأما سقوف بيوتهم فمن مادة (الصروف) وهي مادة جيكية متحجرة تستخرج من الجبال تشبه ألواح خشب الكنتر ، وبدأت هذه المهنة تختفي ، وذلك بعد أمطار ٢٠٠٨م فقد تأثرت الكثير من البيوت فتم الاستعانة بالكنتر الخشبي والإسمنت لسقف بيوتهم ، فرب ضارة نافعة .

وجميع موادهم من أرضهم كالطين ويتم خلطه (بالزيد ، والتبل ) وهي من مخلفات المحاصيل الزراعية مثل حبوب (الطهف) والقمح ، تستخدم مع الطين لتعطي متانة وقوة للمبنى . ويعد حصنها من أجمل الحصون وأروعها من حيث التصميم والمتانة



سالم محمد بجود باراس

## معالم أثرية :

من أهم تلك الحصون الأثرية حصن الخضراء الذي يتوسط قرية الخضراء ، وهي إحدى قرى مرتفعات هضبة حضرموت مديرية دوعن ، وتبعد عنها حوالي ٤٥ كيلومتراً ، ويسكن هذه القرية الصغيرة آل باصريح من آل سيبان . ويبلغ سكانها قرابة ٥٠٠ نسمة . وغالب بيوت هذه القرية من طابق واحد ، وتكاد تكون هذه سمة في كل مرتفعات





27

العدد (4)  
أبريل  
يونيو  
2017م

بأن أجدادنا يجعلون الإبل ترتقي الحصن محملة بالزاد والطعام والذخيرة، حتى الطابق الأخير ..

وفي كل طابق في الحصن ، هناك مساحة عند الدرج تقدر بخمسة أذرع، خصصت للضيوف وللحراسات الليلية ، وعقد الاجتماعات والمشاورات في كل شؤون القبيلة ، وتقابل هذه المساحة فتحة تقدر بـ ٤٥ سم طولاً وبعرض ٤٥ سم تشرف مباشرة على السدة من كل طابق من طوابق الحصن تسمى (مرادم) ومفردها (مردم) ، لذلك ترابط الحراسات عندها لصد أي هجوم على سدة الحصن إما برميها بسلاح ( بوفيلة) وهو أقدم سلاح قديم ، أو رميه بالحجارة ، أو استخدام (الغريز) وهو الرمح .

ومساحة الحصون كلها تكون متقاربة في المقاييس (فحصن الخضراء) مساحته كالتالي :

٨ أمتار طولاً وبعرض ٨ أمتار وأما الارتفاع فـ ١٢ متراً . وهكذا بقية كل حصون نوح وسيبان ما عدا حصن لبنة فهو في اعتقادي أقرب ما يكون لقلعة ، وهو الوحيد المغاير عن كل الحصون في مناطق قبائل نوح وسيبان فمساحته تقريباً الطول ١٤ متراً والارتفاع ١٢ متراً وأما العرض فـ ٨ أمتار .

تم بناء الحصن من مادة ( القرف ) وتم اختيار مادته ونوعيته بدقة كبيرة من قبل المعلم ، فيختار (القرف) ذو النوعية الصلبة والقوية ، وكل مساكن مرتفعات هضبة دوعن من هذه المواد سواء بيوتهم أو حصونهم ، أو السرين وهي غرف تستخدم لحفظ طعام المواشي أو كحظيرة للأغنام والدواب لتحفظ من الوحوش الضارية ، وكانت تستخدم سكناً لهم قبل عشرات السنين ، وارتفاع هذه السرين لا يتجاوز المترين وبطول ١٢ متراً وعرض مترين ، فلا تكاد تستطيع تقف فيها إلا منحني الظهر .. والسرة التي تحت الحصن وتبعد عنه ٣ أمتار بنيت مع بناء الحصن للضيوف والعمال وعقد المشاورات القبلية في ذلك الوقت .

لرمي الحجارة لأي عدو يحاول مهاجمة الحصن ، ويوجد فوق سدة الحصن مباشرة فتحة تشرف من كل طابق على السدة مباشرة ، مهمتها صد أي هجوم للعدو سواء بالحجارة أو بالرمح ، لمنعه من كسر أو تفجير سدة الحصن .

توجد في كل جوانب الحصن فتحات تسمى ( العكر ) بضم العين والكاف ، على شكل مثلث تعد قمة في الهندسة والإبداع فلها خصائص حربية لمواجهة العدو من كل الاتجاهات ، بحيث يصعب على المهاجم إصابته المتمترس بالحصن ، حتى ولو كان يمتلك قناصاً حديثاً ، وذلك لميلانها بأشكال هندسية عجبية صممت لهذا الغرض ، فالحرص المرابطون في الحصن هم المسيطرون على كل مهاجم يرون في كل الاتجاهات ، والعدو عاجز عن رؤيتهم ، والعكر من الداخل بطول ٤٥ سم وعرض ٣٦ سم تقريباً ، ومن الخارج على شكل مثلث قاعدة المثلث بعرض ٢٠ سم وبطول حوالي ١٢ سم .

وتحيط بالحصن فتحات مربعة للتهوية ودخول الشمس والضوء لكل حجرات الحصن والدرج ، طول هذه الفتحات ٣٠ سم وبعرض ٢٢ سم ، وهذا يدل على عبقرية البنائين ومهارتهم في ذلك العصر ، وتعد هذه الهندسة المعمارية تراثاً وتاريخاً يستحق الدراسة من قبل المهتمين بهذا التاريخ العريق .

عيدان الحصن كلها من أشجار أرضهم ما عدا (الصم) بضم الصاد فهو يجلب من منطقة روبة مديرية حجر على الجمال والحميز ، وكذلك جذوع النخل تجلب من دوعن وحجر وغيرها من المناطق التي تشتهر بزراعة النخل ، وما تبقى فمن أرضهم مثل : (عود السدر ، والضرور ، والصرح ، والقرض ، والصر) وهي عيدان صلبة تقاوم كل عوامل الطبيعة ، ولا زالت رغم كل تلك السنين قوية ومتينة . وكانت تقطع هذه العيدان في فصل الشتاء ، كي لا تدخلها (الأرضة) ويظل قوياً شديداً الصلبة والمتانة .

وقال الشيخ عبدالله بن حسن باصريح :

بعبد من أمهر المعالمة ( البنائين) ولما شارف على إكماله سألوه : عم إذا كان يستطيع بناء أجمل منه ؟ فقال : نعم .

فتهاشم القوم وأضرموا قتله فوراً فأخذوا يرتجزون ( وأعط المعلم ما طلب ، وأعطه من لحم الجلب ، وأعطه دفره وانقلب) ثم رموه من قمة الحصن فسقط صريعاً... ) .

## حصن الخضراء :



في شهر فبراير ٢٠١٧ م التقيت بأحد مقادمة آل باصريح الشيخ عبدالله حسن باحكم باصريح - وهو من قبيلة آل سيبان التي لها تاريخ موغل في القدم - ففتح لنا باب الحصن الواقع جهة الغرب ، الذي يعد تحفة نادرة ، فهو مصنوع من شجرة السدر ، ولا زال منذ بنائه صامداً ، وبه نقوش وزخرفة تدل على مهارة صانعها في ذلك الوقت ، وعند ولوجنا الحصن شاهدنا درجاً بطول ذراعين وعرض ذراع ، وأول ما يلتفت انتباهك غرفة صغيرة على يمينك ، وأخرى على يسارك ، وعدد طوابق هذا الحصن أربعة طوابق وعدد درجاته ٨٠ درجة ، وفي كل طابق أربع غرف صغيرة ، منها ماهو مخزن للطعام ، ومنها ماهو للسكن والحراسات للضيوف ، في أعلى الحصن توجد قبة قال الشيخ عبدالله بأنها تسمى (قبيلة) تقع مباشرة فوق الدرج بعرض مترين وطول ثلاثة أمتار ولها باب من جهة الشرق ، وفي سطح الحصن توجد فتحات في الجهات الأربع ،





28

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

## حصن الدهماء :



هو أحد حصون آل سيبان قام ببنائه آل باصريح عام ١٦٦٤م وتم ترميمه عام ٢٠٠٢م على يد الشيخ المرحوم سالم بن أحمد باصريح .

وقد عملنا استطلاعاً عن قرية الدهماء في مجلة شعاع الأمل العدد ١٥٩ لعام ٢٠١٥م فليرجع إليه لمن أراد المزيد من المعلومات عن هذه القرية .

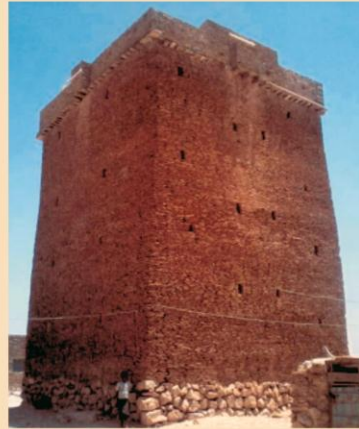
ويسكن قرية الدهماء قبيلة آل باصريح والمشايخ آل باراس ويبلغ عدد سكانها ٤٠٠ نسمة ، وتبعد عن دوعن ٥٠ كم، ومجمل بيوتها من طابق واحد وتنطبق عليها أوصاف قرية الخضراء التي تبعد عنها قرابة ١٠ كم .

وعلى بعد ٤ كم جهة الشرق يوجد حصن آخر لقبيلة سيبان في قرية صرب القديمة وقد قام ببنائه آل بلعجر السومحي، ويعد معلماً من معالم التراث السيباني، وقد بني عام ١٦٦٤م، علماً أن هذين الحصنين حصن الدهماء وحصن قرية صرب القديمة تم تصويرهما من قبل أحد الرحالة الأجانب عام ١٩٣١م .

## حصن آل سيبان :

حصن آل سيبان أشهر من نار على علم ، يجهله الكثير من هذا الجيل الجديد ، لذا كان لزاماً علينا تدوين هذا التاريخ والتراث الأصيل، واشتهر الحصن باسم القرية فيقال له : ( حصن بريرة الحصن ) ،

ويعد حصن آل سيبان الحد الفاصل بين قبيلة الجماسرة ( نوح ) وقبيلة آل سيبان ، ولقد اشترك في بناء هذا الحصن آل سيبان كافة ، ويعد معلماً أثرياً مهماً يحكي حقبة من تاريخ آل سيبان ، ويعد تحفة بحكم موقعه الفريد المطل على تلة صغيرة وبنائه الجميل ، فلقد كلف الحصن قبيلة آل سيبان جلب عيدانه من منطقة (روبة) مديرية حجر ، وقد تكفل بذلك العمل الشاق عبد الله عبيد باراسين من آل سيبان الملقب باسم (بن عبيد) يفتح العين والباء وتشديد الياء مع الفتح ، حيث اشتهر هذا الرجل بقوة عجيبة في الجسد، وصيت لا يضاهيه أحد حيث قام هذا الرجل بحمل عيدان (الصم) بضم الصاد) على إبله من هذه المنطقة البعيدة ، وكان يملك إبلاً قوية



لهذا العمل الشاق ، واشترط أن تكون له غرفة خاصة في أعلى الحصن مكافأة لجهده بعد اكتمال بناء الحصن ، ولا زالت غرفة باراسين مشهورة ليومنا هذا ، وتم بناء الحصن عام حوالي ١٥٥٥م .

ويبلغ سكان قرية بريرة الحصن ٢٥٠ نسمة ، كانت معظم هذه القرى تعج بساكنيها ولكن نتيجة للهجرة للمدن ، ولعدم توافر الأعمال بأريافهم ولعدم وجود الخدمات العامة ، ولكن يظل القلب والعقل معلقاً بعشه ومسقط رأسه وإن كان الجسد هناك نتيجة ظروف قاسية .

ويسكن هذه القرية آل السومحي ، وشيوخ آل بن مالك، وتبعد عن دوعن حوالي ٤٧ كم .

وذكر الشعراء بريرة في أشعارهم فقال الشاعر :

كم لي ونا خائل شروح أبريرة  
وارجع مغب ما شربي إلا من حنور  
وبريرة في اللغة العربية هي حبوب الأراك الحمراء وهي صغيرة ، ومعظم الطيور تتهاافت على أكلها ، وهي طيباً فاتحة للشهية ولها فوائد كثيرة .

## قرية الحيسر :

قرية الحيسر تعد الثانية من حيث عدد السكان كثافة بعد قرية لبنة، حيث يبلغ عدد سكانها ٢٥٠٠ نسمة، وتبعد عن دوعن حوالي ٤٥ كم من جهة الجنوب، وتبعد عن قرية الخضراء ٣ كم فقط، وسكانها هم من آل بارشيد بفتح الشين وهم من قبائل نوح .

يوجد بها عدد من الحصون الأثرية التي بنيت عام حوالي ١٦٦٤م .

ولقد امتدح الشاعر المرحوم علي سعيد السومحي حصونهم في أحد الأعراس فقال :

وسلام لك يا حصن محكوم العكر  
يا ذي سواك مستقلة للبرود  
والناس لمع الناس والكون اعتمر  
والبرد يحتاج الحطب من كل عود  
(والعكر) بضم العين والكاف هي الفتحات التي تحيط بالحصن وقد شرحناها في حصن الخضراء .

## أهم معالم القرية :

مجمل بيوت أهل الحيسر من طابق واحد وتمتاز بكبر مساحتها وروعة تصميمها وتنسيق شوارعها ، ويوجد بها مدرسة بنيت عام ١٩٦٥م وتم تجديدها على حساب أهل الخير والصندوق الاجتماعي عام ١٩٩٧م، وعدد الطلاب الدارسين فيها ٤٠٠ طالب . ويتوسط القرية مسجد الجامع الذي بني عام ٢٠٠٥م وتضم قرية الحيسر ستة مساجد إضافة إلى الجامع الكبير الذي بناه رجل الأعمال فيصل بن زعيان ويتسع لأكثر من ٨٠٠ مصل .

وينتشر بقرية الحيسر عدد من الدكاكين الصغيرة لتلبي حاجات





29

العدد (4)  
أبريل  
يونيو  
2017م

والخضروات وقضاء الحوائج للمواطن من أطعمة وملابس وكل ما يطلبه من متطلبات الحياة تجده هناك .

وهناك سوق السبت بالضليعة وغيرها من الأسواق الأسبوعية المنتشرة في طول البلاد وعرضها .

### لبنة وحصنها الكبير :

قرية لبنة من أكبر القرى على هضبة مرتفعات حضرموت بدوعن حيث يبلغ سكانها ٥٠٠٠ نسمة حسب إحصائية عام ٢٠٠٨م، وسكانها هم آل بارشيد، وتبعد عن دوعن حوالي ٥٥ كم، وتبعد عن الحيسر قرابة ٤ كم فقط .  
التسمية : حيث جاء في قاموس المعاني اللبنة : واحدة اللبن قالب مربع



حصن لبنة التاريخي

أو مســـــــــ تطيل مضروب من الطين يستعمل للبناء .ولبنة : ذات لبن وشاة لبون بمعنى ذات لبن كثير وغزير .  
ولست أستبعد أن تكون سميت لبنة لجمال بيوتها واهتمامهم بطليلها بالطين الأبيض من الداخل والخارج كلما تعرضت للأمطار أعيد ترميمها .  
فالناظر إليها يشاهد لؤلؤة بيضاء تتلألأ، ويعكس بياضها لوناً فضياً فيخالط أشعة الشمس فيضفي جمالا على جمال ومنظراً خلاباً .

وأول ما يشد زائر القرية الكبيرة حصنها الكبير ، الذي يخيل للزائر بأنه قلعة لشكله الجذاب رغم تصدع بنائه ، واعتقد أنه بني في زمن يسير يظهر سرعة بنائه، لذلك لم تُراع فيه صلابة



قرية الدهماء

### أهم أسواقهم :

انتشرت أسواق أسبوعية في معظم مناطق محافظة حضرموت ، منذ التسعينات وواضح أنها جاءت من شمال اليمن لتضع بصمتها في جنوبه .

المواطنين وأشهرها على الإطلاق (دكان باحميش ) فهو أشهر من نار على علم للغريب وعابر السبيل، ففيه كل ما يحتاج إليه المواطن من كل القرى المجاورة من مواد غذائية ومواد كهرباء وأعشاب طبية وغيرها ، وأهل باحميش عرفوا بالكرم وحسن الضيافة للغريب وعابر السبيل ، وهم معروفون بأخلاقتهم وحسن تعاملهم مع الجميع .  
وعلى بعد عدة أمتار توجد (محطة باجحيش) ودكانه لقطع غيار السيارات، وبهذا يوجد شبه اكتماء للخدمات الضرورية بقرية الحيسر .

### خدمات طبية :

تعد عيادة الدكتور عبدالله أحمد بارشيد الملقب ( باقديم) الحاصل على تمريض مهني ، خدمة جلية يقدمها لقريرته وعمل إنساني لكل المرضى ، ويديرها وحده، ففيها صيدلية ومختبر وغرفة ترقيد ، ويستفيد من هذه العيادة الخاصة أكثر من ١٥٠٠٠ مواطن من كل القرى المجاورة ومن بطون الأودية والجبال والسهول ، وله جهود جبارة في خدمة كل الناس إلى جانب عيادة أسنان تم افتتاحها عام ٢٠١٤م للدكتور عمر باحميش .

ولا ننسى الطبيب العربي لتجبير الكسور محمد علي بارشيد الملقب (بأعمر) الذي عالج الكثير من المرضى مجاناً لوجه الله . وهذه القرية هي مسقط رأس التاجر المقاول المعروف عبدالملك محمد بن مالك صاحب مؤسسة وشركة ابن مالك للمقاولات.

ذكر الكاتب محمد بن صويلح في استطلاع في مجلة دوعن العدد ١٤ لعام ٢٠١٥م بعنوان (دوعن الأرض والإنسان) فقال ما نصه : (تقام بوادي دوعن أسواق أسبوعية أهمها سوق الثلاثاء ( سوق الثلوث ) والذي يقام بمنطقة مدهون بالوادي الأيسر ، وسوق الأربعاء ( سوق الربوع ) ويقام بمنطقة بضة بوادي دوعن الأيمن والذي تأسس عام ١٩٩٣م والذي كان سابقاً سوقاً سنوياً ويعد أكبر سوق يقام بالمديرية... ) .

وإضافة لما ذكر الكاتب هناك سوق الاثنين بالفرضة الذي أقيم حوالي عام ١٩٩٥م ويبعد عن الحيسر ٤ كم فقط، وهو سوق للجلب ( المواشي )





30

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م



حصن السرين في لبنة

### عادات وتقاليد موروثة :

تكاد تكون معظم العادات والتقاليد متشابهة في مرتفعات هضبة حضرموت كلها بين القبائل الشيوخ جميعها وكل طوائف المجتمع . فأكرام الضيف وعابر السبيل ، وإغاثة الملهوف ومشاركة الناس أفراحهم ومواساتهم عند حزنهم وخاصة عند تقارب المسافات هي صفات تعد من النخوة والقبولة التي ولدت وعاشت معهم . التحاكم لمقدم القبيلة في كل شؤون حياتهم هو روح تماسكهم وسر قوتهم . ولكل قبيلة قـوانين ونواميس يتحاكمون إليها في السراء والضراء لتنظيم شؤون حياتهم ، وفرض النزاعات بين وبين القبائل الأخرى ، ولمزيد من المعلومات عن هذه القوانين والنواميس القبلية، انظر مقالنا في مجلة شعاع الأمل العدد ١٥٠ لعام ٢٠١٤ م بعنوان ( قبائل سيبان تحت المجهر وعادة حسن والجويد ماذا تعني وما مضمونها !!! ) . بهذا نكون وضعنا لمحة شاملة عن حصون قبائل نوح وسيبان وعاداتهم وتقاليدهم واستطلاع لكل مناطقهم التي توجد بها حصونهم ، ليأخذ القارئ فكرة شاملة عن هذه القبائل التي تعد من القبائل ذات الشهرة والصيت في حضرموت ، وما هذا إلا غيض من فيض من هذا الإرث التاريخي الأصيل .

أهم المصادر والمراجع :

- \* كتاب ( المقدم الشاعر سعيد بن سالم بانهم المرشدي وشعراء آخرون مع عادات وتقاليد من سيبان ) .
- \* مجلة شعاع الأمل العدد ١٥٩ لعام ٢٠١٥ م .
- \* مجلة دوعن العدد ١٤ لعام ٢٠١٥ م .
- \* مجلة شعاع الأمل العدد ١٤٦ لعام ٢٠١٤ م .
- \* مجلة شعاع الأمل العدد ١٥٠ لعام ٢٠١٤ م .

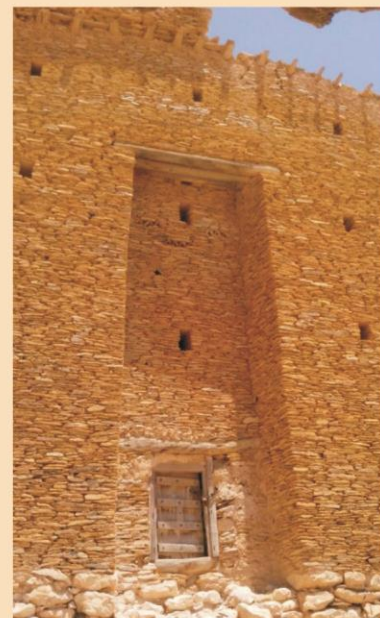
البناء واختيار مواده، وقد بني عام ٨٦٠ هجرية .

وعلى جهة الجنوب تقـع عينك على (حصن السرين ) الذي بني عام ٨٦٠ هجرية وقد أثرت عليه السنون فانهار الجزء العلوي منه عام ١٣٤٠ هجرية وتم ترميمه في عام ١٤٢١ هجرية .

ويتوسط قرية لبنة مسجد الجامع الذي جدد سنة ٢٠٠٤م ويتسع المسجد لأكثر من ١٥٠٠ مُصلٍّ، وعلى مسافة من المسجد الجامع تم بناء مدرسة للبنين عام ١٩٦٢م ووجدت عام ٢٠١٢م، وتعد من المدارس القديمة بأرياف مديرية دوعن، ويدرس فيها ٧٠٠ طالب، وعلى بُعد أمتار منها توجد مدرسة للبنات وقد بنيت في التسعينات لتلحق الفتاة بزميلها الطالب وتنهل من نبع العلم وتقضي على التخلف والجهل، وعدد الطالبات بهذه المدرسة ٤٠٠ طالبة .

وعلى رتبة تم بناء مستوصف لبنة عام ٢٠٠٥م وتم افتتاحه رسمياً عام ٢٠١٣م بطاقم طبي متواضع جداً لا يتجاوز عددهم سبعة أفراد ومديره الدكتور عبدالله أحمد بارشيد، ويستفيد من هذا المستوصف أكثر من ١٥٠٠٠ مواطن من كل قرى المناطق المجاورة، بل حتى من مديرية حجر رغم شحة الإمكانيات .

### حصن ظماً للجماسرة :



حصن ظماً أحد الحصون القديمة للجماسرة وهم من قبيلة نوح ، ويبعد حصن ظماً عن قرية الحيسر ١ كم فقط وهو منفرد على هضبة، ويبدو عليه تصدعات وهدم، وبني تقريباً عام ٨٥٠ هجرية ، وعلى ذكر الجماسرة فـقرية الخضراء واقعة في أرضهم ولكن تم وهبها لباصريخ ، ولذلك قصة مفادها أن كلاً من الجمسري وباصريخ تزوج أخت الآخر وصار بينهما صهارة وقربانة ، ودارت الشهور فرزق الجمسري بمولود من أخت باصريخ ، فلما علم بذلك (قهواه بجمال ) .. (والقهوة) بالعرف القبلي هي البشارة سواء كانت نقوداً أو أي شيء يدخل السرور للطرف الآخر . ودارت الدائرة فرزق باصريخ من أخت الجمسري بمولود ، فانتشر الخبر بين الناس أن باصريخ كانت قهوته للجمسري جملاً ، وكان الجمل في ذلك الوقت أغلى ما يباع ويوهب ، فتشاور الجماسرة وكانوا يمتلكون أراضي شاسعة وكبيرة ، ولابد من رفع رؤوسهم عند القبائل ، فذهب الجمسري لباصريخ وقال له : ( بالأمس قهويتني ببعار ( بغير ) بضلوعه .. واليوم أنا أقهويك شعب بفروعه .. ) . ووهب له شرح الخضراء الذي كان أرضاً ميتة ، فأحياها بعد ذلك وأصبحت ملكاً من أملاك آل باصريخ .

ومن أهم المقادمة الذين يتمتعون بذاكرة حديدية لعاداتهم وتقاليدهم المقدم أحمد سالم سويد باصريخ وهو أحد مقادمة آل سيبان، انظر اللقاء الذي أجريناه معه في مجلة شعاع الأمل العدد ١٤٦ لسنة ٢٠١٤م .





د. سعيد الجريري

# الليل يمحو كتابة النهار

مثلاً، مثلاًن هما: "من خدمها ليل شكرها نهار" و"كلام الليل يمحيه النهار". وبعيدا عن خلفية كل منهما فهما يضيئان معنى الليل في ذاتي. فالأول لا يطاوله القول الفصيح "ومن طلب العلا سهر الليالي" في سياقه التربوي المدرسي، وأذكر أنني كنت، أيام الطلب، لا أميل إلى التحضير للامتحانات ليلاً، مستعنياً عنه بساعات نهارية، وكان الزملاء يعجبون كيف أقضي المساء في نزهة حرة بلا قلق امتحاني، ثم لا أعكف على المدارس ليلاً، لأن بعضهم لا يفهم معنى الليل الخاص بي. فالليل ليس لحظة كد ذهني أو إجهاد. إنه زمن الإبداع والتأمل والتجلي والابتهاال بكل معانيه وظلاله الروحانية.

أما المثل الآخر "كلام الليل يمحيه النهار" فهو عكسي الدلالة في وعيي تماماً، فكلام النهار يمحوه الليل. الليل محو مثلاً هو كتابة. ولعله لذلك كان من المنسوب إليه دينياً مثلاً للترقي في تجليات الروح أن يقوم المرء/ المرأة الليل. على أن القيام هنا ليس محصوراً في الصلوات وحدها، وإنما في حالة الانسراب التي يتمها في فيها الروح مع لحظة الصفاء الكوني في أعلى درجات نقائها.

وانسجاماً مع الدلالة العكسية للمثل، فإن كتابة الليل لا يمحوها النهار، وكثيراً ما محا الليل مكتوب النهار.

\* \* \*

سألت طبيباً في بغداد عن سهرى الليل منذ ما يزيد عن ربع قرن باعتباره نظام الفوضى الذي اتبعه، فقال لي بعد عدة تساؤلات: تلك ساعتك البيولوجية، فلا تكسر نظامها، ولا بأس على شأنك الصحي، كانه قائل مع عمر الخيام:

فما أطال النوم عمراً

ولا قصر في الأعمار طول السهر

لا أدري، لكنني منذ وعيت كان الليل والكتابة، ليلاً وقمر، بهاجس الصحراوي القديم. تسألني: متى أكتب؟ أقل، غالباً، في الليل، وفي الهزيع الأخير منه، فالليل زمن الكتابة عندما يهدأ الكون بعد المنتصف، حتى لكان الكتابة ندى يهمني من عالم لا مرئي. ولعل مما لا أجده تأويلاً أنني لم أكتب شيئاً بالنهار ثم رضيت عنه ليلاً. هل الليل لحظة كتابة على نسق رتيب؟ كلا. لكن الليل لا يعني لي الكتابة فقط، ولكن الكتاب أيضاً، إذ أقرأ عادة، وأكتب، حتى لكان سحابة نهارى ليست أكثر من لحظة تكثيف للهجوس والحدوس. ويستوي في ذلك ما كان إبداعياً أم نقدياً. تلك هي علاقتي بالليل منذ ثلاثة عقود خلت، فأنا من الكائنات الليلية، إذ لا أنام إلا على حافة الصباح الحادة.

الليل خلود إلى كائناته المدهشة التي تجد في خلود العالم إلى سريريه، منسرباً نحو من ينتظرون إشاراتها الخاصة. وكلما فككت شيفراتها كان الانثيال.

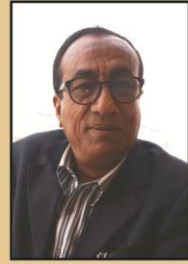
\* \* \*

ولليل في المدونة الثقافية العامة فصول في مديحه وذمه، لا يحيط بالإشارة إليها المقال والمقام، لكنني ذاكر منها ما تداعى إلى الذاكرة عفواً، عن غير قصد مسبق. فثمة ليلة نابغية منذ جاهليتنا الأولى، يجاورها ليل الأعشى، وليل امرئ القيس، وليل أبي فراس، مروراً بالمعري والمنتبي والحصري القيرواني، وصولاً إلى جبران والسياب والبردونى، مثلاً لا حصراً. وفي الأغاني تعلق حجرة أم كلثوم وفيروز وشريفة فاضل، حتى ليلة عبد الرب إدريس.

\* \* \*

وكما في الشعر والأغاني، هناك في الأمثال ما يستوقفني، في السياق الليلي الموصول بالكتابة. ففي الأمثال الشعبية الحضرية

## الهمارات حضرمية



سالم العبد الحمومي

لا يختلف اثنان على أن الحضارم شديداً الاعتزاز بحضرميتهم التي توارثوها عبر أجيال عديدة ولفترات مديدة من تاريخ حضرموت الطويل والناصح وهو اعتزاز يكرس قـيم النجاح والتميز ومفاهيمه وإثبات الوجود الإيجابي حيثما حلوا وارتحلوا في مهاجرهم البعيدة والقريبة دونما عصبية أو مفاخرة تتسم بالتعالي أو الترفع على الآخرين في المجتمعات التي اندمجوا فيها وأسـهموا في تطورها ونموها وبناء مستقبلها الناصع.

ثمة ملاحظة كانت ومازالت تثير جدلاً لم ينته بعد تتلخص في التساؤل التالي .. كيف نجح الحضارم في مهاجرهم بينما ظل التعثر يرافقه هم في وطنهم الأم حضرموت؟! ولعل الدكتور عبد الله الكاف رئيس جامعة ابـن خلدون أذكى هذا التساؤل القديم الجديد عندما أكد في حديثه الممتع والمفيد خلال أعمال الندوة العلمية في نادي متطوعون يوم الاثنين ١٧ / ٤ / ٢٠١٧م عن اسهام الحضارم الاقتصادي والاجتماعي في المحيط الهندي حينما أكد بجزم أن منشأ هذا الاعتزاز الملتبس بالحضارم حول موطنهم وتميزهم القيمي والعلمي والاقتصادي منبعه ومصدره ودفعه وطني حضرمي من داخل حضرموت ببـعدها الجغرافي والتاريخي والثقافي الخ .. ولو لم يكن من الداخل لتنوعت الشخصية الحضرمية بتنوع أوطانها المختلفة والمتباينة!!

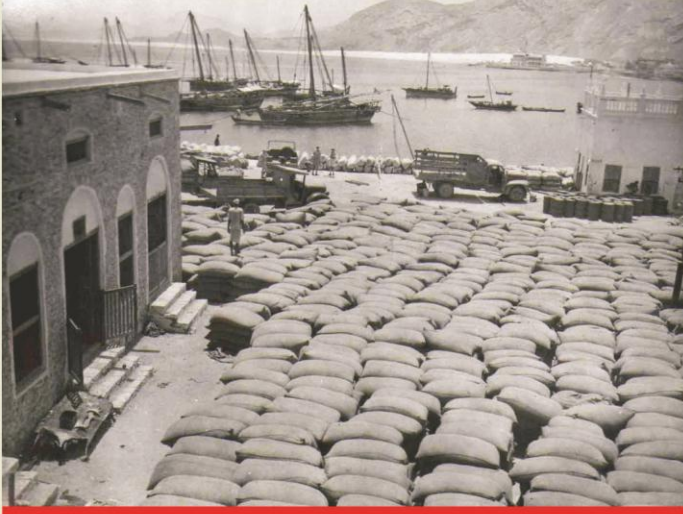
إذن فلم هذا الإخفاق في الداخل؟ وهل مفهوم الهجرة يجب أن يعاد صياغته جوهرأ ومفهوماً ودلالات، بحيث نعتمد في صياغة حضرموت الوطن الأم وبنـاء مستقبلها على مفهوم جديد للهجرة ولكن نحو الداخل هذه المرة؟؟؟

إن الظروف والمتغيرات الجديدة التي شهدتها حضرموت ومازالت تعيشها من ٢٤ / ٤ / ٢٠١٦م قـمينة بوضعنا جميعاً أمام مسؤولياتنا الحاسمة اتجاه حضرموت ومستقبلها الذي نرجوه لها نحن ويليـق بها دون شطط أو نقصان، فهل نحن فاعلون؟!



# الأمن الغذائي

## في المهورث الثقافي الحضرمي



التغيرات المناخية التي تعرضت لها حضرموت منذ الألف الثالث قبل الميلاد وضعت الحضارم أمام تحديات كثيرة ومتنوعة ومن بين تلك المشاكل التي برزت في حضرموت متحديّة الإنسان الحضرمي في صميم حياته وبقائه مشكلة إنتاج الغذاء، التغيرات المناخية مست كل مقومات الحياة الاقتصادية وخاصة الزراعة التي تشكل العمود الفقري للاستقرار البشري.

القراءة الجغرافية لهذا الموروث الشعبي الذي يركز على الحبوب الغذائية نجد فيه معالجة لمشكلة الغذاء التي سببتها التغيرات المناخية في مستويين: المستوى الأول إمكانية زراعة أكثر من محصول زراعي في السنة و المستوى الثاني نظام الدورة الزراعية .

فأما المستوى الأول وهو زراعة أكثر من محصول زراعي فأولها محصول الذرة البيضاء أو الرفيعة (السرغوم) التي تعد من أهم الحبوب الغذائية في حضرموت ويبدأ موسم زراعتها في نجم الزبرة حسب التقويم الزراعي الحضرمي. والزبرة تبدأ من ٧ مارس وتنتهي ٩ مارس، ومن سماته يزيد النهار بمعدل دقيقة واحدة في اليوم وفي ثامن يوم فيه يتساوى الليل والنهار في حضرموت، وعقب ذلك يبدأ النهار في الزيادة والليل في النقصان هذا يتوافق مع شروط نمو الذرة لأن الزراعة المبكرة تجنب المحصول ضعف النمو ونقص كمية الإنتاج بسبب ارتفاع درجة التبخر،

مشكلة الأمن الغذائي بفعل التغيرات المناخية في حضرموت ذكرت في كتابات الإغريق، يقول استرابون (إن حضرموت في وقت سابق منتج لكثير من النباتات العطرية والتمر واللبن والتوابل والقرفة، أما الإنتاج في الوقت الحاضر فهو الذرة ونخيل التمر والسمسم، كما أن الزراعة في حضرموت تعتمد على المياه الجوفية هذا الاختلاف في أنواع المنتجات يفسر اختلاف الظروف المناخية للرطوبة في الماضي والجفاف حالياً الذي بدأ في القرن الثالث قبل الميلاد وبلغ ذروته في بداية القرن السادس الميلادي).

إن أزمة الغذاء التي تعرضت لها حضرموت لم يستسلم لها الحضارم بالأمس بل دخلوا في عصف ذهني أثمر في حدوث ملاءمة بين المعطيات المناخية الجديدة والواقع الجغرافي . جاء في الموروث الحضرمي :

**صيفك الزبرة وبرك الحوت**

**وشتاك البلدة إن بغيت قوت**



د. رزق سعد الله الجابري\*

إذا أخذنا المناخ الذي يعد أهم عناصر الإنتاج الزراعي فقد أصبحت حضرموت في ضمن المناطق الحارة ولكن أهم مشكلة ناجمة عن التغيرات المناخية هي الجفاف المستديم الذي خيم على حضرموت وأثر في كل منظومة الحياة الاقتصادية، فندرة الموارد المائية في ظل تدني تكنولوجيا الإنتاج الزراعي المحصلة النهائية انخفاض المساحة الزراعية والإنتاج الزراعي، وقد حصل هذا وهو ما يفسر عملياً حدوث مشكلة غذائية أو تعرض الأمن الغذائي للخطر.





ويكشف الموروث الثقافي ذلك الالتزام حيث يقول:

#### الطرف والجبهة حصاد لبرار ( القمح )

بعملية حسابية لمحصول القمح من بداية غرس البذور إلى الحصاد المدة الزمنية للقمح صنف العبادي المفضل في حضرموت وحتى النوع العراقي الذي

الذهن أن الأرض الزراعية تتعرض للإجهاد، وبالتالي انخفاض خصوبتها وهو ما يعرف في الاقتصاد بتناقص الغلة. ولكن ما يحصل عكس ذلك التصور. المتبوع للزراعة قبل نكبة حضرموت الزراعية في سبعينات القرن الماضي يلاحظ أن الزراعة كانت في

كما أن الزراعة المبكرة تمكن المزارعين من ري جذور المحصول بعد الحصاد التي تسمى محلياً عكظة وتستخدم علف للحيوان .

وأما زراعة البر ( القمح ) فإن الموروث الثقافي الحضرمي يشدد على زراعته في نجم الحوت الذي يبدأ في ١٤ أكتوبر. وهذا يتوافق تماماً مع انخفاض درجات الحرارة التي تصل إلى أدنى معدلاتها في نجم الذراع، فانخفاض الحرارة والجفاف يؤديان إلى جودة المحصول وحمايته من الآفات وخاصة صدأ القمح المعروف محلياً بالحمار الذي تسببه الرطوبة .

وأما المحصول الثالث الشتا وهو نوع من أنواع الحبوب الغذائية ويشبه الذرة البيضاء أو الرفيعة ( السرغوم ) غير أن حبوبها أصغر منها. يشير الموروث إلى أن موسم زراعة المحصول في نجم البلدة الذي يبدأ من ١٥ يوليو، وحسب التقويم الشبامي الحضرمي يكون الفصل خريفاً، ولكن درجة الحرارة مرتفعة ومناسبة لزراعة هذا الصنف من الحبوب، وتتزامن زراعته مع بداية موسم التمور .

وأما المستوى الثاني الذي جاء في المورث الثقافي الذي فصحه عنه بيت الشعر هو نظام الدورة الزراعية ، فعلى الرغم من تعدد محاصيل الحبوب الغذائية التي تزرع فإنه يتبادر إلى

## صيفك الزبزة وبرك الحوت

### وشنالك البلدة إن بغيت قوت

تم زراعته فيما بعد فإن عدد أيام النمو ١٢٠ يوماً، ولهذا فإن من ١٤ أكتوبر نجم الحوت وحتى أول أيام نجم الطرف ٩ فبراير هي ١٦ يوماً.

اليوم حضرموت تعاني من انخفاض إنتاج الحبوب الغذائية بل التمور، فهي مكشوفة غذائياً فلا يوجد فيها أمن غذائي لمدة زمنية محدودة، إن تغير هذه المعادلة الغذائية وتحقيق أمن غذائي يمكن أن تكون بوابة استلهاهم التراث الحضاري لحضرموت أحد المداخل لأن هذا يعمل على إيجاد ملائمة بين المعطيات المناخية والمكان الجغرافي.

\* أستاذ جغرافية السكان المشارك كلية الآداب جامعة حضرموت.

أفضل حالاتها، بل إن حضرموت منتجة للحبوب الغذائية وتصدر الفائض إلى الخارج، بل هي تطعم سكان إمارات الخليج والشاهد على ذلك سوق شبام للحبوب حيث تأتي قوافل الإبل فارغة من ساحل الخليج عبر الصحراء أو من وادي النعر القادمة من ساحل حضرموت إلى شبام وتعود محملة بكل أصناف الحبوب التي تزرع في حضرموت .

هذا الإنتاج الوفير والأمن الغذائي في حضرموت في الماضي بالرغم من الجفاف وتخلف تكنولوجيا الإنتاج الزراعي، فالري بالسناوة أو الأمطار والسيول الصيفية غير المنتظمة أو مياه الغيول والينابيع وهي محدودة، ما كان هذا ليتحقق في ظل الظروف الصعبة إلا بسبب الالتزام بالمواعيد الزراعية .



# دان جيبوتي

## وخصوصيته الحضرمية

حضر موت مهد الحضارات القديمة وقد انعكس تاريخها على ثراء تراثها وفي إبداعات مبدعيها وذلك من خلال تراثهم العملاق الذي نال إعجاب واستحسان كل من تعرف على هذا التراث الحضرمي لا سيما أن الحضارم أضافوا إلى تراثهم ما تعرفوا عليه من مواطن اغترابهم من تراث الشعوب الأخرى ثم نقلوا تلك الإبداعات ومنحوها الصبغة الحضرمية حتى انسلخت من جلدتها الأصلية واكتست بحلة حضرمية واندجت في تراثهم الحضرمي الأصيل حتى أصبحت جزءاً من هذا التراث الجميل ، ومن هذه الإبداعات صوت دان جيبوتي :

يُعرّف الدان أو الصوت (ألا يا دان يادانة إلى آخره) وبأنه الميزان الشعري الذي يوضع عليه الشعراء كلماتهم .

عبدالله سبيتي و الشاعر خميس الكندي، كما أن بعضهم ظل يتردد عليها بين حين وآخر، من أمثال ابن الطلي وعلوي المقدي وعبدالله باعمرو، إلا أن ابن السبيتي قضى معظم سنوات شبابه فيها، ومن المساجلات التي كانت تروى أنه كان ينصح بالعودة إلى مسقط رأسه عبر السجال كقول الشاعر باعمرو ناصحاً:

**لجئت باتنصح الإنسان في ذا الزمن**

**يعطيك في الظاهرة زينة**

**وان غبت عنه**

**يطعم كلامك صبر في الفم ما ينداق**

**أجابه ابن السبيتي :**

**نصحنا وانا بانتصح**

**والرأس عادل ميازينه**

**كردح جبل**

**في الكفف باعدله بالواق**

كما أن الشاعر الناخوذة ابن الطلي عندما عاتبته أحد المعجبات عن سرعة سفره فأجابها قائلاً:

**إن غبت في غبت قلبي عندك مطروح**

**لا يا عسل في جبوح**

**لا يا دواء كل مجروح**

### مميزات دان جيبوتي

دان يعتمد على مقام واحد كما ذكرنا سلفاً مقام الحجاز. كما أن له أوزاناً أو تفعيلات ثابتة لا تتغير.

اليزيدي شقيق الشاعر عوض علي بن الطلي .بدأت رحلة الدان المكوكة من مستودع الدكان أو ما يسمى البخار حيث يتجمع النواخذ و البحارة من أبناء حضرموت ومن بين هؤلاء الحاضرين الشعراء ابن الطلي وعوض السبيتي وعبدالله سعيد باعمرو وابن عبود العامري وعوض سلم وغيرهم . وفي ذلك الوقت كانت عدن مقصد كل أبناء الوطن بشماله وجنوبه وقد ارتبط هؤلاء بعلاقات حميمة مع بعضهم بعضاً . حيث تحي ليالي سمر ، يتم فيها الغناء والسجال الشعري، وقد أثمرت هذه العلاقة عن ولادة دان جديد أسموه فيما بعد بدان جيبوتي ووجدوا في هذا الدان سهولة وسلاسة أفضل من دان الهبيش وخصوصاً في مناطق اغترابهم ومهجرهم .

وأول مغني لهذا الدان (علي عوض العقري) من أبناء منطقة الوهط اللحية وهو أخ لصاحب محل عطارة يتزود منه البحارة عند سفرهم . وبعد تعرفه عليهم وارتباطه بهم ، سافر معهم على متن السفن الشراعية وكانت أول رحلة لهم إلى جيبوتي ، وأهدوها هذا الدان و أسموه باسمها (دان صوت جيبوتي).

### جيبوتي واغتراب شعراء حضرموت

فقد كانت جيبوتي موطن اغتراب مجموعة من شعراء حضرموت، منهم الشاعر عوض



د. عبدالباسط سعيد الفرابي

### مقام الحجاز وصوت جيبوتي

لحن دان جيبوتي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمقام الحجاز الذي فيه شجن وروحانية تسمو بالروح وترتقي بالنفس البشرية وقد اعتمد المتصوفة على هذا المقام كثيراً في ترتيل أناشيدهم ومواويلهم غالباً على الحجاز لما له من تأثير روحاني في طقوسهم التعبدية .

وهذه الميزة في دان صوت جيبوتي غير موجودة في أنواع الدان الحضرمية الأخرى التي تتنوع فيها المقامات وقد ذكر الناقد والأديب صلاح الحوثي (٢٠٠١) أن دان جيبوتي صوفي لحجي المنشأ ديسي الممارسة والتطوير .

### التسمية :

لماذا سمى بدان جيبوتي؟ يجب عن هذا السؤال الأستاذ أحمد الحداد (٢٠٠٩) كانت البداية من مدينة عدن وبالأخص من معلا دكة ومن دكان الشيخ عبيد علي





(المساهن يا عذابه) في سبعينات القرن الماضي ثم الفنان محمد سعيد بن زغيو العامري بصوته القوي أن يبدأ بدان جيبوتي قبل أن يدخل في أغنية الشاعر علي صالح السباعي (صوبتنا سهام المحبة) وهي من ألحان الفنان سالم جبران ثم تبعه سعيد نصيب بأغنية المعلم حميدان (يا من تجافيني) ألحان عبد الله حسين الطفي . كما أن الفنانة بلقيس فتحي قدمت رائعة الفنان محمد سعد عبدالله (إذا فصل ساعة خطر) مسبوقة بدان جيبوتي بالرغم من تحفظي على أدائها للدان إلا أنها نسبته بالخطأ إلى الدان اللحجي .

وهناك بعض الأغاني من دان جيبوتي مثل أغنية الشاعر مبارك بن عبود العامري التي تغني بها الفنان صالح باعيسى ثم عاد تسجيلها الفنان علي بن محمد :

الماء بجنبي وأنا ساكن بجانب الماء

عاطش وهالك ظماء

وأنا تفرج على الماء

وكذلك قصيدة ابن سبتي التي غناها الفنان فيصل علوي يقول فيها:

حبيب حبك محبة وانت ماترحم

تسمع كلام الظلم

لي يخربوا كل ما تم

\* \* \*

لي قصدهم بالبناء يخرب ويتهدم

ذولا آوادم لئام

ما شيء يبوا الدار يسلم

\* \* \*

مالك ومال الشواني حط بوهم ثم

يا زين داوي الألم

ذي في فؤادي تحكم

\* \* \*

بنيت لك دار في قلبي حجارة صم

والساس حقه نشم

وأصبح حجاره مرجم

لي شيدوها مسوا في ضيقات اللحاد

أهل الطغا والفساد

أقوام شداد بن عاد

\* \* \*

ثم أخذوا هذا الدان إلى مسقط رأسهم حضرموت (الديس الشرقية) وانتشر كثيراً واستوطن بها وأصبح من أهم أنواع الغناء التي تمارس فيها وبرز العديد من شعراء دان جيبوتي من أمثال : ابن سبتي وسيد علوي وباعمر و ابن الطلي و ابن عبود وعوض عبد الصمد وعبد الله محمد بن سلم والمعلم عوض حميدان وكذلك حسين المحضار وغيرهم ومن مغني هذا الدان من الرعيل الأول الشيخ أبوبكر محمد بن سلم شقيق الشاعر عبد الله محمد والفنان محفوظ مبارك باغويطة وشقيقه علي باغويطة، والفنان عوض سالم باوزير، وأحمد فرج باخبازي وسعيد النقش الغرابي وكذلك سالم عبيد بن عمرو الذي قال فيه ابن السبتي :

نسنس وقتل دان يا عمرون سدك نا

أنا نسد العناء

نخرج كلامي بمعنى

### دان جيبوتي اليوم

لا زال أبناء وادي عمر يمارسون غناء دان صوت جيبوتي بشكل محدود وقد برز فيه عدد من الشعراء، من أمثال طالب حسين المقدي (أبوظبي) ، محمد عوض السباعي، وسعيد سبتي و عبد الصمد باوزير وغيرهم ومن أبرز مغنبي دان جيبوتي المعاصرين حسن باوزير الكحل وسعيد مبارك باوزير. وفائز سعيد الغرابي، وعمر سالم باعمر المعروف بالنجار وغيرهم .

### دان جيبوتي وتطويعه للموسيقى

استطاع الفنان محفوظ مبارك باغويطة الشهير بالبعوض أن يدخل دان جيبوتي قبل شروعه في أغنية الشاعر سالم محمد أبوراشد

يتكون كل بيت من ثلاثة أشطر كقول الشاعر سعيد بامطرف ابن طيور:

ياريتنا طير باعلي وودي فر

بجني خيار الثمر

بطرحه في خور مكسر

وقد ذكر المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف (١٩٨١) في كتابه الميزان بأن دان جيبوتي شطره الأول من بحر المربع وشطران بعده على البحر المثني .

كما يفضل أن يتميز مغني دان جيبوتي بطبقة صوت جواب . حتى يعطي شجناً أكثر وإحساس بالمقام وقد ذكر المايسترو نديم عمر المضي (في اتصال شخصي) بأن دان جيبوتي يتجه فيه الغناء إلى الركوز على النوى (الصول) فيعطي أحساساً واضحاً بمقام الحجاز.

تعددت أغراض دان جيبوتي إلا أن أغلب مساجلاته تطرق باب الغزل كقول الشاعر سعيد بامطرف :

العشق أثره ملك و المبتلي مملوك

ومن يريد الملوك

يصبر على غرة الشوك

ابن سبتي :

باب الهوى مشتبك وابن الهوى مشبوك

كيف الخبر يا ابن بوك

لما ساروا وخلوك

المعلم حميدان :

ع يشيدوا في البناء من قبل ما يببوك

دفعنت عليه البنوك

صاح الورق لي في البوك

### انتشار دان جيبوتي

عمل شعراء حضرموت وخصوصاً شعراء الديس الشرقية على تبني هذا النوع من الدان و عملوا على نشـره وتطويره من خلال المساجلات والأسمار وخصوصاً التي تقام على ظهور السفن الشراعية وقد حدثنا الرواية عوض بايعشوت بأن سفينتهم رست في ميناء الشحر مع بزوغ الفجر وكان من بين البحارة الشاعر عوض بن سلم السباعي والمغني يشدو بصوت جيبوتي فقال بن سلم:

يا أهل الرواشين يهناكم محلة سعاد

الأمر له والمراد

شيبه رمداد العمداد

\* \* \*



# تدوين ما تجاهله المدونون من الحكايات الشعبية ( الجزء الأول )



لمحة سريعة :

شملت الحكايات الشعبية عناصر العمل القصصي المعروفة: الحادثة – والسرد – والبناء – والشخصية – والزمان – والمكان – والفكرة، فهي حكايات في شكل قصص أو قصص في شكل حكايات بلهجة عامية، لذا فهي فن من فنون الأدب، ومادام هي كذلك، نستعرض بصورة موجزة تاريخ نشوء القصة في الأدب العربي. حيث كان للعرب قصص

وأساطير وأسماير تعبر عن حياتهم تعبيراً صادقاً منذ العصر الجاهلي. ولما ظهر الإسلام اتسعت الفتوحات وجال العرب في كل مكان، واطلعوا على كثير من أقاليم الفرس والروم والهنود وغيرهم من الأمم القديمة، واتسع خيالهم ونمت مواهبهم في فن القصة وتوسعوا في ذلك كثيراً وألفوا في فن السيرة وفي التاريخ. ولما جاء العصر العباسي اتسعت العناية بالقصة وكثرت القصص والأساطير في الأدب العربي وألفت فيها الكثير والكثير من الكتب التي تعد من أهم المصادر في العصر الحديث. ويمثل كتاب ألف ليلة وليلة ومقامات البديع والحريري فن القصة في أروع صورة، ناهيك عن قصص عنتر وأبي زيد الهلالي وغيرها. وقد تأثر الأوروبيون في العصور الوسطى وعصر النهضة بالقصص الشعبية في الأدب العربي، وكانت أثراً من آثار اتصال الغرب بالشرق، وفي الحروب الصليبية، حتى أن قصص الشطار في القرنين السادس عشر والسابع عشر التي تمثل العادات والتقاليد للطبقات الصغيرة في المجتمع تأثرت بأمثالها من القصص في الأدب العربي. وفي العصر الحديث جاء دور الترجمة للقصص وكتابتها. وعندنا في حضرموت ظهرت القصة القصيرة في نهاية القرن التاسع عشر على يد الأديب الشبامي عبد الله معروف باجمال (١٧٩٥م – ١٨٨٠م) ثم بدأت في البروز أكثر وأكثر بعد ظهور الصحافة الحضرية..

وتقف الحكايات الشعبية عند حدود الحياة اليومية والأمور الدنيوية العادية كمكر النساء ومكائد زوجات الرجل الواحد وقسوة زوجة الأب على الطفلة المسكينة التي تتدخل العناية الإلهية لإنقاذها. ولهذا نرى أن ظهورها يرتبط بظهور تلك القصص، وقد لوحظ من خلال سرد ما وقع في أيدينا من حكايات على حد تقديرنا في تلك الفترات التي عانى منها الإنسان القحط والفوضى السياسية وانعدام

## ظهور الحكايات الشعبية:

الحكايات الشعبية هي نوع من أنواع الأدب الشفوي وتتكون من مفردات حياتنا اليومية الأساسية، ولا زالت هذه المفردات الخطابية اليومية تظهر في الحكايات لتعبر عن الوسط الاجتماعي ويتم تناقلها عن طريق الرواية الشفوية منذ القدم إلى اليوم ويلعب الخيال الشعبي دوراً كبيراً في صياغتها وفي تأطير بعض الأحداث التاريخية والشخصيات بالمبالغة والغرائبية.



أحمد عمر مسجدي





كباراً ونذكرهم بقول الشاعر:

إن الأمور إذا بدت لزوالها

فعلامة الإدبار فيها تظهر

واعلموا أن جزءاً من تاريخ الأمة

ومعاناتها في حكاياتها الشعبية لأنها

ترجمان للإحياء النثري لحياة الشعوب،

وحكاياتنا جزء من هذا الإحياء الذي طالما

ردده الإنسان الحضرمي على مر العصور

ليسجل بالسماع جزءاً من تاريخه المفعم

بالجد والنشاط والحيوية، مجسداً صراعه

ومغامراته مع كوارث الزمن التي لا تنقطع

عنه، ومحاسناته لهذه المغامرات ليجد

المتنفس عند البوح بها لتظل واقعاً معيشاً

يمتد صداه عبر الأجيال.

وللأسف عندما وصلت هذه الحكايات

إلى جيلنا أهملناها تحت مسوِّغ التطور

الحضري المزعوم الذي جعلنا لا نهتم

بموروثنا النثري في الأدب الشعبي وتلذذ

بما يعرض علينا من قصص عالمية تفوق

الخيال ونخصص لأطفالنا فترات

لمشاهدتها، ونحن هنا لا نمانع في ذلك

ولكن لحكاياتنا الشعبية علينا حق على

الأقل نعرف أطفالنا أن لنا تراثاً شعبياً مليئاً

بالحكايات والمغامرات مثلما عرفنا عليها

أباؤنا، بل لقنونا تلك الحكايات في الصغر

حتى نستذكرها عند الكبر وهذا أقل تقدير

وتدوينها ودراستها وفاءً وعرفاناً لهم.

وحتى لا يتهمنا كاتبو القصص الخيالية

باسترجاع عجلة التاريخ إلى الوراء نقول

لهم إن هذا واقع التاريخ بل التاريخ

الواقعي لمعاناة الإنسان في زمن مضى

بحلوه ومره، وأن هذه الحكايات لم تأت من

فراغ ولو غلبت مرارتها على حلاوتها، وإن

اتسم بعضها بالخيال الممزوج بواقع حياة

الأميين إلا أننا نستشف واقعها من

خيالهم، وبهذا يظهر لنا الواقع الحقيقي

في الحكايات الشعبية إذا أمعنا النظر فيها

بعد تدوينها وقرانها قراءة مستفيضة

وهذا ما نهدف إليه من التدوين.

### العجوز الراوية:

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا يقول:

عندما ارتبطت الحكايات الشعبية براويتها

(العجوز) الطاعنة في السن التي يقل نومها

وتكثر يقظتها ويكثر كلامها إلى حد التخريف،

فهل حكاياتنا الشعبية تحمل التخريف

لأنها ارتبطت بهذه العجوز المخرفة؟

خدمة مباشرة في عملية التعبير الثقافي:

عوامها، سرعتها، اتجاهاتها، ... و...

هي أمور مهمة لدارس تاريخ الثقافة وعلم الاجتماع.

وإذا ما تحدثنا عن دراسة الأدب الشعبي

الشفوي وتدوينه إنما ندرس به التاريخ

الثقافي القديم والحياة الاجتماعية

للمجتمع الحضرمي الذي انتعش فيه هذا

الأدب الروائي النثري.

وحتى نستطيع جمع أكثر عدد من

الحكايات الشعبية فلا بد أن نقوم به

المؤسسة كما ذكرنا وليس الأفراد وذلك

لندرة المصادر الموثقة للحكايات الشعبية،

بل لانعدامها فقد يجتهد الفرد في جمع ما

يسمعه في بيئته من حكايات، ولكن

سيظل محصوراً على بقعة واحدة فقط،

وفيها مجازفة لمعرفة المجهول عن هذه

الحكايات الشعبية والأساطير القصصية

ونبش ما اندفن منها لتصبح جزءاً من

تراث شعبي أصيل، وتاريخاً لمعاناة أمة بعد

ما ننخل منها الزائف ومعرفة الغث من

السمين، ليس بإعادة صياغتها وإنما

لإبعاد المدسوس فيها إن وجد، مع يقيني

أن لا مدسوس فيها، ولكن من باب

الحيطة والاحتراس، وحتى لا يشك

المشككون في صحة هذه الحكايات

عادين أنها ترجمة لقصص عالمية وأفلام

الكارتون، مع أنها في الأساس هي بوح بما

يعانيه العوام من الناس، ونتاج

لمكابدتهم واقعهم في تلك الفترات

الغابرة.

فالحكايات الشعبية هي الوجه الآخر

للأدب الشعبي الذي عرفنا منه الشعر

العامي، وجمعنا فيه الكتب، وتحدثنا عن

شعرانه بالتفصيل دون الإذعان لهذا الكنز

المنسي وهو الحكايات الشعبية. وهذا ما

يجرنا إلى القول إن الحكايات الشعبية جزء

لا يتجزأ من الأدب، حيث تلتقي بالقصص

في باطنها؛ لأنها حكاية، والحكاية قصة

تحتوي عناصر الفن القصصي المعروفة.

فلنضع هذا أمام المهتمين بالتراث

ليضعوا النقاط على الحروف ويسموا

المسميات بأسمائها، وتحليل هذه

الحكايات التي أدبر عنها المتخصصون

بالأدب بعدما أشبعوا رغباتهم منها صغراً

وتعلموا الفن القصصي الذي يكتبونه

الأنظمة الدستورية، ولكننا لا نستطيع أن

نحدد - مطلقاً - الفترة الزمنية التي حدثت

فيها وترك ذلك للمؤرخين، لأنها تعبر عن

تاريخ فترة عاشها الإنسان بكل ما فيها،

وتحتاج إلى وقفة جادة وقراءة تاريخية

مستفيضة لهذه الحكايات حتى تكون أكثر

مصدقية، ففيها بيان لمعاناة الإنسان

ومكابدته لواقع الاجتماعي، لأن هذه

الحكايات لا تأتي من فراغ ففيها تجسيد

لواقعه في فترة خلت بمذاقها المر. وحتى

لا نظلم تلك الفترة نترك الحديث عنها

للمؤرخين كما أشرنا، ونحدث بدورنا عما

هدفنا إليه من وراء هذه الكتابة بوصف

الحكايات الشعبية فناً من فنون الأدب

الشعبي لا بد من استظهاره وتدوينه

والإكثار من الحديث عنه وتنبيه الغافلين

كي يبحثوا عنه في كنوز تراثنا المدفون

بعضها في صدور العوام من الناس وهذا

يحتاج إلى بذل المزيد من الجهد من

الباحث حتى تكون النتائج مرجوة تخدمه

وتخدم الصالح العام لأن هذه الحكايات

ظلت تتوارث بالسماع ولم يجرؤ أحد على

تدوينها حسب علمنا.

### ما الجدوى من البحث؟

البحث عن الحكايات الشعبية وتدوينها

يعد عملاً شاقاً بوسعه وطاقته مع أنه

مكمل للأدب الشعبي - الشعر والنثر، وهي

جزء من التراث الحضرمي الأصيل، وجزء

من تاريخ ومعاناة الإنسان الحضرمي

صاحب الحضارة العريقة. فأى عمل يقوم

به الفرد مجتهداً بذاته سيكون النقصان

حليفه ولن يبلغ المرام لتركيزه على بقعة

جغرافية محدودة حسب طاقته ما لم ينطو

هذا العمل تحت رعاية المؤسسة لجمع

أكبر عدد من الحكايات الحضرمية على

أكبر اتساع جغرافي لحضرموت طالما أن

الأدب الشعبي جزء من التراث الكبير

والواسع، فإن توثيقه ليس غاية بذاتها

لأنه مرتبط بدراسة التراث، وتحديد

الحاجة لدراسة هذا التراث تحدد توثيقه.

وتتمثل هذه الحاجة في الإسهام لدراسة

تاريخ الثقافة والحياة الاجتماعية وإعادة

ترتيب الفترات التاريخية الغابرة التي لا

يوجد لها إلا شواهد ضئيلة متفرقة وهو ما

يعرف بمنهج إعادة البناء التاريخي.

وتقديم دراسة عن الأدب الشعبي تعد





انتهاء الحكاية مع أنها ليست بالضرورة تؤدي إلى إضحاكه حتى يقال له: لقد أصيب فلان بالسفر من جراء الضحك. والاسفر) بتسكين الفاء هنا اسم يطلقه العوام على مرض يصاب به الشخص من كثرة الضحك، وليس معنى ذلك أن الاستماع إلى هذه الحكايات الهازلة تسبب الإصابة بمثل هذا المرض؛ ولكن هذه كناية عن كثرة الضحك من سماعها، ولذا تجد الأطفال وهم أكثر المستمعين لهذه الحكايات يتموتون من الضحك، ولهذا فهي أحب إليهم وأقربها إلى نفوسهم ويطالبون بتكرارها من غير ملل أو نفور.

ولا أقصد من هذا القول أن أي طفل استمع إلى مثل هذه الحكايات يصاب بالسفر، ولكن تدليلنا بهذا إنما لاقتران تسمية الحكاية بالسفرة الذي يستفر سامعها من الضحك على حد قول العوام. مع أن كل حكاية لا تخلو من المعاناة، فكل شخوص الحكاية يعاني من ويلات بما فيهم السلطان نفسه.

ولأن الحكايات الشعبية كانت خليطاً من النثر الشعبي والشعر العامي فإن روايتها الخيالية تلبي حاجات الأطفال لمعرفة المجهول وتنمية خيالاتهم الفنية والأدبية، بل تفتح أمامهم أبواب الأصالة وسعة الخيال والمزاج حتى يكونوا ذوي ملكة أدبية رفيعة وإن كانت بلهجة عامية وأفكار غريبة، لأن أول ما يفرغ الأطفال هو رؤية الأماكن الخالية، وما تصدره من أصوات لا يسـمعها إلا هم، ولأنهم لا يؤمنون إلا بالمرئي والمحسوس لذا تكثر تساؤلاتهم عن الإسماع ويجدون الجواب الشافي عند هذه الحباية في حزاويها عن الجن والحيوانات المتوحشة والأودية المسكونة والأبنية المهجورة وغيرها حتى يشبعوا رغباتهم بالاستماع والاستمتاع بهذه الحكايات.

### المعاناة في الحكايات:

كانت هذه الحكايات تصورات، والبوح بها كعرف حقيقي أو لنقل مزاجات متراكمة عبر التاريخ وأحاسيس ترجمت في شكل حكاية لما يعانيه العوام من انعدام الثقافة وركود الاقتصاد، فكانت الأسفار هي الحل الوحيد لطلب الرزق، وفيها تركب الأحوال وتكثر التصورات فيحكي الشخص معاناته

البطل الخيالي في مقامات البديع والحريري، مع الفارق الكبير في أن مقامات البديع والحريري هي نوع من أنواع الأدب الرفيع المتميز بالنثر الرصين والشعر الفصيح، لكنها تلتقي مع حكاياتنا الشعبية في البطل و الراوي الخياليين وفي القصة أيضاً.

فإذا كانت المقامات لها بطل وراو خياليان هي قصص متسعة الخيال، وإذا كانت الحكايات لها بطل وراو خياليان أيضاً فهي قصص تشبه المقامات من حيث التركيب غير أنها تختلف عنها في اللغة، فالأولى مؤلفة من خيال الكاتب باللغة الفصحى والأخرى من واقع العوام المتميز بالخيال عند السرد مما تصوّره الحاكي من وقائع حدثت له أو لم تحدث بلهجته الدارجة، لذا كان واقعها ممزوجاً أحياناً بالخيال، وخيالها يتفق مع المقامات، فلا محالة أن تكون هذه الحباية هي رواية لهذه الحكايات ببطلها المعروف (بالسلطان).

### والحكاية سفرة:

إذا كانت الحكايات تسمى كما ذكرنا سلفاً (سفاراً)، فلا يعني ذلك أنها نتاج أسفار بمفهومها الضيق الذي يطلق على الهجرة فقط، مع أن الأسفار هي قطع المسافات سواء كانت للعمل أو الانتقال، والعوام لفظوها مجردة من الهمزة الابتدائية (سفار) بوصفها مرادفة للحكايات وأفردوها (بسفرة)، ولكن لنا رأي آخر في تلك التسمية والسبب الذي سميت به، ليس للمخالفة وليس استنتاجاً من سياق الحديث، بقدر ما هو أقرب إلى واقع الحكايات ذاتها، لأنها من الأدب الهازل، ولهذا يفرق المتلقي لها في الضحك بعد

كلا، وألف كلا، لأننا نستبعد ذلك الارتباط السخيف، وإنما هذه كناية على كثرة رواية هذه الحكايات الشعبية بلسان تلك العجوز، وأن ثرثرتها تدل على سعة انتشارها وروايتها أكثر من مرة في اليوم الواحد، بل وفي الساعة الواحدة، ولم يعد تخريفاً بالمعنى المراد من الخرافة وإنما تأكيد لتداولها الواسع بين الناس في تلك الفترات.

فلكل قوم حكاياتهم الخاصة بهم، والحكايات الشعبية بلا مرأى هي فن من الفنون الشعبية التي أهملت كثيراً ولم يعطها الأدباء حقها في الكتابة عنها وتركوها تتداول جيلاً بعد جيل بالسماع من غير تدوين أو تحليل أدبي، ولهذا أطلق عنانها للرواة الشعبيين حتى إنك تجد الحكاية الواحدة لها عدة أحداث بمغزى واحد، وبإمكانك سماعها بسرد مختلف في المنطقة نفسها، لكنها منسوبة للحباية عويوز أو عبيوز (على اختلاف نطقها من مكان إلى آخر)، ويبقى احتفاظها بالراوي والبطل والمغزى.

ومجتمعنا الحضري واحد من المجتمعات التي كثرت فيها تلك الحكايات الشعبية وقد سموها (سفاراً) مجردة من الهمزة في أولها من لفظة (أسفار)، وأفردوها بـ (سفرة) بفتح السين وتسكين الفاء، حيث تميزت هذه السفار بالمواضع والعبث وأحياناً بالتخويف والتهويل مع أنها لم تات من فراغ، فقد ارتبطت كل سفرة بحادثة خاصة بها.

ولو نظرنا في سرد بعض هذه (السفار) الهازلة لرأينا أن بطل الحكاية وراويها يكاد يكون واحداً في غالبها مثلما كان





وحتى تظهر لنا جلياً معاناة الإنسان القديم ومكابدته لواقعه واضطراره لذبح أبنائه ككبش فداء للعيد لكثرة المطلوب وقلة المجلوب نقتطف بعضاً مما جاء في هذه الحكاية التي عنوانها بحسب مقتضى الحدث بحكاية (الثور): حيث إن رجلاً ماتت زوجته فعني بتربية ابنه وابنته والتفرغ لخدمتهما، ولما تعب الرجل تزوج من أخرى لتقوم برعايتهما ويتفرغ هو للعمل الذي يسد ريعه مصاريف البيت، وعندما قرب العيد وزادت طلباتهم أشارت إليه زوجته بذبح ابنه الذي لم يحصل ذلك بسبب هروبهما في الليل حينما سمعت البنت الحديث الذي دار بين الأب وزوجته، فهربا إلى الوادي الذي توجد فيه بئر ماء، من يغتسل فيها ينقلب إلى ثور ومن يشرب منها فقط ينجو. فاغتسل الابن وانقلب ثوراً فسارت به أخته فاطمة إلى بلاد السلطان الذي أرادها زوجة له بعدما اشترطت عليه عدم المساس بأخيها (الثور)، ولكن زوجها السلطان بعد ما ملّ جلسة الثور أمر خادمه بأن يسني عليه في بئر البستان، وبعد ثلاثة أيام تدهورت حالته ورك جسمه فأبلغ الخادم السلطان بذلك عسى أن يتركه لكن السلطان أعطاه مهلة ليوم واحد إن لم تتحسن حالته سيذبحه. لكن الثور الذي يفهم ما يدور بين السلطان وخادمه خرج للعمل مع الخادم وهو ينن تحت وطأة المرض خوفاً من الذبح وأخته (فاطمة) التي ستقتله من هذا المأزق غارقة في البئر بعد سقوطها فيها، وهكذا ماتت فاطمة وما في بطنها وذبح أخوها الثور..

هذا ملخص للحكاية التي تختلف نوعاً ما عن الحكايات الأخرى، وقد أوردنا هذا التلخيص بلساننا وليس بحسب ما سمعناه من لسان العوام؛ لأنه في الأول والأخير تلخيص لأهم الأحداث في الحكاية، ومن المؤكد أن سردها سيختلف من مكان إلى آخر، حيث إن فاطمة تظهر فيها زوجة للسلطان بيد أن في غيرها من الحكايات الشعبية الأخرى تكون ابنة السلطان..

فمن هو السلطان؟ ومن هي فاطمة بنت السلطان؟ هذا ما سنعرفه لاحقاً.

..... يتبع

جاهلياً أو غير صالح عقلياً أو ذوقياً ففي هذه الحكايات فكرة ومغزى وخيال وأسلوب وسرد ولغة وكل هذا يؤثر في تكوين الطفل لمعرفة الصالح من الطالح عند الكبر.

وهذه العجوز الجاهلة والمعلمة المجهولة تحاول بهذه الحكايات تأديب الأطفال دون ما تدري، فهي تغرس في نفوسهم حب الأدب القصصي الشعبي، وتشبع شهوة سمعهم وتنمي خيالاتهم وتعودهم على الحفظ، وكيفية سرد ما تم حفظه لأترابهم مثلما يتعلم الطفل اليوم في المدرسة حكايات جحا وعلي بابا والسندباد والبخل وأحاديث كليله ودمنة وليالي شهر يار في ألف ليلة وليلة، وكل هذه حكايات خيالية تعليمية سواء كانت بلسان إنسان أو بلسان حيوان، فدونت لتكون جزءاً من تراث أممي عربي أصيل. مع اعتقادنا أن الفنون الأدبية الشعبية يهتم بها في كثير من البلدان ولكنها محصورة على مناطق معينة. وبقيت العجوز الروائية مندثرة تحت رمال الزمان الشاسعة، مغطاة بالتطور الحضري المزعوم، ولم تكن الشجاعة متوفرة عند أديب لنبش ما هو مدفون تحت التراب وفي ذاكرة الأجيال السابقة وتوضيحه وتحليله للأجيال الحالية واللاحقة بصورة سليمة خالية من الشطح في الطرح، والاحتفاظ بما يتم جمعه من حكايات شعبية، والإكثار من الدراسة عليها بعد تدوينها.

وإذا قلنا إن هذه الحكايات واقعية امتزجت بالخيال والتصورات، ولها أبطالها ولها أمكنتها وأزممنتها التي حدثت فيها لأنهم يعتقدون أن هذه الأمكنة ممتلئة بالجن والوحوش سواء كانت في الأودية أو في غيرها أيام العناء والقحط، لهذا كان اعتقاد الإنسان أن الخوض أو المكوث في هذه الأمكنة الخالية والعمل فيها إنما هو إثبات لشجاعته وخوارقه وصبره على ركوب المكاره، فيقوم الراوي بسرد ما رآه وما سمعه وما واجهه من صعاب وما قابله من وحوش وما فعله أو ما لم يفعله، يروي به شيء من الفلسفة والإضافة ومزج الواقع بالخيال لكي يظهر بصورة البطل الشجاع الذي لا يقهر وهو يخوض في الأغوار ويبيده فأسه أداة رزقه كتصوير للمعاناة وكعزاء يخفف وطأة العناء..

وسيره في أعماق الأودية بشيء من الشجاعة الخارقة واجتياز العوائق، وهكذا تنقله الأم لأطفالها أو عجوز البيت لأحفادها بشيء من الحنين برواية الحباية عويوز أو عيبوز، إلى أن طغى هذا الاسم على الحكايات والأساطير المحكية بنكهة شعبية مميزة، بل بلغة الواقع الحقيقي بحد ذاته، وكلها تشب نار المغامرات حتى يتجاوز الإنسان ظروف معاشه الصعبة، وفي الوقت نفسه يجد الطفل المتلقي بغيته في التلذذ بالسمع في الصغر والتقليد الأعمى في الكبر.

وليس غريباً في الأمر بأن يحكي الشخص معاناته وأسفاره بلسان أو رواية شخص آخر فكثيراً ما يستعمل ذلك في القصص الأدبية الفصحى فضلاً عن أدب المقامات، فقد استعمل الأديب محمود تيمور قصته (حزن أب) بقوله: (حدثني الراوي قائلاً: قد يكون ثمة رجل روى للكاتب هذه القصة، فليس ما يمنع ذلك، ولكن هذه الصيغة كثيراً ما تصطنع لكي يبعد القاص شخصه عن الحوادث التي يرويها، فهو يضعها على لسان شخص آخر يسميه الراوي.

وحكاياتنا الشعبية هي معاناة أشخاص حقيقيين رووها بلسان تلك العجوز حتى تلقى قبولاً ممن يستمع إليها من الأطفال كي يركبوا الأهوال في شبابهم.

وتظل هذه الحكايات اختصاراً لتاريخ أسفار الإنسان تحت وطأة السنين وتكشف سر كده ومعاناته. ولأن هذه الحكايات سلاح ذو حدين: ترهيب وترغيب لأن رواية الحكايات تعمل على تخويف الأطفال من الخروج من البيت ليلاً خوفاً عليهم من الجن والحيوانات، وترغيب لأنها تسرد بعض المغامرات بشكل مشوق وبالذات قبل النوم حتى تهدأ أعصاب الطفل ويروح في سبات عميق وفي الصباح ينتظر بشوق قدوم الليل المزج لاستماعه إلى حزاوي الجدة الممتعة..

### الحكايات الشعبية أول معهد للأطفال:

ولما كانت القصة واقعاً قوياً لجذب الطفل إلى معرفة المجهول، فأول معهد يتعلم فيه القصة هو البيت لما يكتسبه من أدب قصصي، فهو أسرع تأثيراً وأسهل تكويناً وأيسر توجيهاً بصرف النظر عن كون هذا التأثير والتكوين والتوجيه





# محاولة ثانية لفهم السياق التاريخي لحصن العر في حضرموت

أي. جي. كيل ( E.J. Keall )

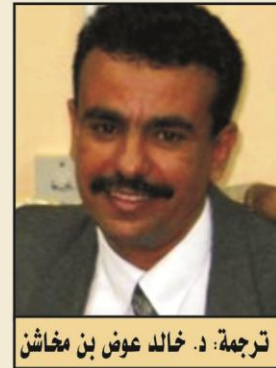
ندوة الدراسات العربية المجلد ٢٥ ( ٢١ - ٢٣ يوليو ١٩٩٥ م ) اوكسفورد



في ربيع عام ١٩٩١ وجهت لي الهيئة اليمنية العامة للآثار والمخطوطات والمتاحف دعوة لزيارة حضرموت لإجراء دراسة هناك بعد تعثر الأعمال الأثرية الاعتيادية التي كانت تقوم بها البعثة الأثرية الكندية التابعة لمتحف انتوريو الملكي Royal Ontario Museum في منطقة زبيد لأسباب خاصة. كان هدفي الأساسي من هذه الرحلة زيارة موقع حصن العر وذلك بسبب النقوش الحجرية الآتية من ذلك المكان التي أظهرت في بداية الأمر وجود عناصر أجنبية دخيلة على الجنوب العربي (انظر كيل (١٩٩٢) (Keall). ظهر أول نقش من هذه النقوش عام ١٩٣١م (انظر فان دير مولن وفون ويسمن (١٩٣٢) (Van der Meulen- von Wissman) ثم تلا ذلك ظهور نقوش أخرى وهي محفوظة الآن في متاحف عدن والمكلا وسيئون. أنا ممتن جداً لحصولي على هذه الفرصة التي أتاحها لي القدر التي أسهمت في إضافة موقع حصن العر إلى نطاق اهتمام البعثة الأثرية الكندية في عام ١٩٩٣ وفقاً لاتفاق أبرم مع السلطات اليمنية. ويحدونا الأمل أن يتم توجيه بعثات تنقيب أثرية إلى تلك المنطقة في المستقبل.

الفارسي. أفضل ما نشر من وصف لذلك العمود موجود بالصفحة ٢٤١ من البيان الأثري المصور الذي ألفته بيرنيه Pirenne عام ١٩٨٦م الموجود بمتحف عدن رغم أن المؤلفة لم تحدد تاريخ ذلك العمود. أما هوفنر وفون وايسمن (١٩٥٣) (Hofner- von Wissman) فقد أشارا إلى تأثير تصميم العمود بالفن الساساني وكذلك فعل جروهمان (١٩٦٣) (Grohman). لكن دو (١٩٧٠) (Doe) رأى فيه تأثيراً بيزنطياً. ربطا فون وايسمن وهوفنر (١٩٥٣) (von Wissmann - Hofner) بين رسومات لشجرة الكرمة

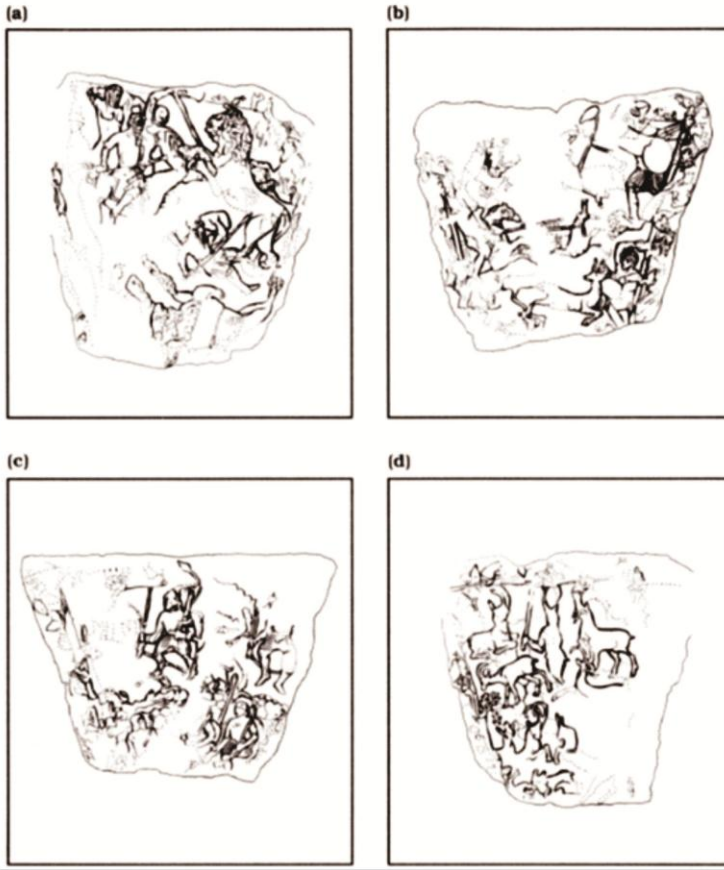
هنا إلى أن بعدها عن الجنوب العربي يكمن في الأسلوب وليس في المحتوى فمحتوى هذه المنحوتات يمثل بما لا يدع مجالاً للشك ما اعتاد عليه سكان الجنوب العربي في قضاء أوقات التسلية إلا وهو مشاهد لممارسة هواية الصيد. أما فيما يتعلق بالأسلوب فعلى الرغم من أن تاج العمود والبقايا الأثرية للعتبة (١) تختلف عن بعضها البعض فإنهما ترتبطان ارتباطاً وثيقاً بتقاليد النقش الحجري البيزنطي والفارسي. كتب الكثير من المهتمين عن هذه القطع إلا أنهم اختلفوا في تحديد ما إذا كانت هذه القطع أقرب إلى الفن البيزنطي أو الفن



ترجمة: د. خالد عوض بن مغاشن

إن اهتمامي الخاص بهذا الموقع كما أشرت آنفاً يكمن في التقاليد الفنية التي اتبعت في إنشاء هذه القطع المنحوتة التي تظهر على نحو واضح بأنها لا تعود إلى الجنوب العربي. لكن ينبغي الإشارة





شكل رقم ١. الصورة (a) صيد الأسود، الصورة (b) صيد الغزلان،  
الصورة (c) ضاربي الطرائد، الصورة (d) مشهد للمرعى.

من سطحية هذا الدليل فإنه يؤكد بأن المنطقة أصبحت صحراوية منذ أمد بعيد. من المعروف أن الحصن قد تم إعادة استخدامه في الخمسينيات من قبل جيش البادية الحضرية (انظر سيرجنت ١٩٥٤م Sergeant) وبما أن الجنود لم يستطيعوا استخدام جدران الحصن فإن إمكانية إسهاماتهم في أي عمليات بناء تبقى متواضعة جداً. بعد مضي حوالي عقد من الزمن أفاد هاردنج (١٩٦٤) Harding بأن الجنود غادروا الحصن منذ سنوات قلائل.

إن أقدم نشاط تم توثيقه في الموقع هو الحجرتان اللتان بهما نقوش واللذان لا تزالان في الجدار الخارجي للحصن (انظر الصورة ٧ أعلى) وحسب علم البليوغرافيا (٣) فإنهما تعودان في تاريخهما إلى القرن الأول بعد الميلاد (فون ويسمان ١٩٦٨م Von Wissman). إن اختلاف مواصفات وأبعاد الحجرتين عن مواصفات وأبعاد

حجارة البناء يعود إلى الحاجة إلى مساواة وترتيب أحجار الأساسات المثلمة والخشنة قبل بناء الجدران فوق تلك الأساسات. إن الانشقاق العمودي الواضح في البناء الحجري (انظر الصورة ٦ أسفل) يؤكد احتمالية بناء الجدار على مرحلتين منفصلتين ومتتابعيتين وليس ثمة دليل على أن الجدار بُني في مرحلتين تاريخيتين مختلفتين. بعض الأماكن في الجدار تبدو أكثر قدماً من بعض الأماكن الأخرى فيه لأننا ربما نشاهد الجزء الأوسط من الجدار بعد أن سقطت أو نهبت الحجارة التي استخدمت في تغطيته من الخارج. ومع كل هذا تبقى قائمة إمكانية احتلال الحصن في القرن الثالث عشر أيام الدولة الرسولية حيث تم إرسال الكثير من الحملات إلى هذا الجزء من البلاد. (انظر جونستون ١٩٨٢ Johnstone). فأحجار البناء المتناثرة في الجهة اليمنى تؤكد هذه الإمكانية (انظر الصورة ٦). وعلم الرغم

موجودة بجزء من قطعة أثرية عثر عليها في الحصن والرسومات الموجودة في تدمر. وفي فترة لاحقة اقترح منفرداً فون وايسمن ١٩٦٨ (von Wissmann) أن يكون القرن الثالث بعد الميلاد هو تاريخ كل الأعمال الفنية الموجودة في حصن العر وربما يكون هذا الاقتراح مبنياً على تلك المقارنة بين هذه الرسومات ورسومات تدمر.

أشار جروهمان (١٩٦٣) Grohman إلى أن فون وايسمن Von Wissman هو من اكتشف القطعة الكبيرة من العمود الأثري لحصن العر عام ١٩٥٩. لانكستر هاردنج (١٩٦٤) Lankester Harding وصف تلك القطعة الأثرية عندما كانت لاتزال بالموقع أي في حصن العر وهي الآن محفوظة في مدينة المكلا. كما كتب عن بعض القطع والألواح الأثرية التي أخذت إلى سيئون معتبراً أنها تعود في أسلوبها إلى الفن الروماني الأغريقي مرجحاً أنها تعود إلى الفترة ما بين (١٠٠ ق.م إلى ١٠٠ م). وضع دو (١٩٨٣) Doe عدة تواريخ قد تكون تعود إليها تلك القطع فيما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الثالث بعد الميلاد مؤكداً تأثرها إلى حد ما بالفن القبطي ولكنه كان يميل أكثر إلى تأكيد تأثر تلك القطع بالفن السوري. أما ماثيو (١٩٧٥) Mathew فقد أكد بأن الموقع يمثل أقدم أثر للتأثير الروماني الأغريقي الآتي من قانا (٢).

إن مصدر تلك النقوش كلها هو حصن العر الواقع على رابية نائية معزولة تمتد كنتوء صخري في وادي المسيلة تحيط به الخنادق الدفاعية الحضرية النمطية. يسيطر الحصن تماماً على المنطقة ويكشف الجهات الشرقية والغربية للوادي الرئيس وأفرعه الجانبية أيضاً. الجدران الخارجية للحصن عدلت أكثر من مرة وينبغي على المرء أن لا يؤكد وجود مراحل مختلفة من البناء في ذلك الجدار من غير أن تكون لديه الأدلة والتسويغات التي تؤكد ما يقوله ففي حالات كثيرة نجد أن الاختلاف في





الصورة ٦ من أعلى حصن العر كما يرى من الجهة الشرقية، من الأسفل مبنى الحصن الرئيسي، الجدار من الجهة الجنوبية. لاحظ الانشقاق العمودي في الجدار.

الأحجار المجاورة لهما يجعلنا نرى أن هذا النقش الإلهائي وضع في مكان ثانوي غير مهم من الحصن وهذا يعني أن البناء الأساسي للحصن لأبد أن يعود إلى فترة زمنية تلت القرن الأول الميلادي التي أعدت فيه تلك النقوش التي يبدو أنها قد جلبت من معبد للآلهة عشتار (٤) (ريكمانس ١٩٦٢) (Ryckmans).

لم يكتشف كل من فان دير مولن Van der Meulen وفون وابسمـن Von Wissmann هاتين الحجرتين المعاد استخدامهما ولا النقوش التي بهما في رحلة اكتشاف الحصن الأولى عام ١٩٣١. فقد كان انجرامس Ingrams هو أول من التقط صورة لهاتين الحجرتين في عام ١٩٣٥م كما أن دريوس Drewes أخذ لهما صورة في أثناء مرافقته ليفان دير مولن في البعثة الاستكشافية التي تمت عام ١٩٥٢م. استخدم ريكمانس Ryckmans الصورة التي التقطها انجرامس في تقديمه وترجمته لهذه النقوش وعند مراجعته لها استخدم الصورة التي أخذها دريوس Drewes ثم نشرها في النسخة الجديدة التي ظهرت عام ١٩٦٢م.

كما أن العمود المنقوش الذي سلمه فون مولن وفون واتسمـن لعدن عام ١٩٣٣م قد وجد أيضاً في مكان فرعي من الحصن تحديداً في الجدار الخارجي للحصن وبما أنه تم اكتشافه قبل التعديلات التي أجريت على الحصن من قبل جيش البداية الحضرمي فإنه بإمكاننا أن نتوقع بأن ذلك العمود قد استخدم كلبنة من لبنات البناء في أثناء الحملات الإسلامية الشهيرة في القرون الوسطى. العمود بالطبع ليس إسلامياً فإذا أخذنا الأسلوب فقط في الحساب يمكننا القول بأنه يعود إلى ما قبل القرن الرابع بعد الميلاد.

حاول كثير من الباحثين وصف التفاصيل الغامضة للرسومات بطرق مختلفة. ويتفقون عموماً على أن الرسمة الأولى (a) تمثل صيد الأسود ويظهر

بالإنسان في مكان للرعي. يثير هذا الشكل تساؤلات وجدلاً لا حد لها. يتساءل المرء فيما إذا كان هذا الشكل بغطاء الرأس ذي القرون، إنساناً؟ أو لها؟ هل هو يمثل الروح الحارسة للطرائد؟ هل يمثل صياداً متنكراً يحاول الاقتراب من الطرائد؟ هل هو لصياد منتصر يلاعب غنيمته؟ من الواضح أن الحاجة ماسة جداً لفحص وتدقيق أعرق لهذه الرسومات المنحوتة لإيضاح تفاصيلها أكثر وتنقية فهمنا لها في حال سمحت الظروف بذلك قريباً. ومن حسن الحظ أنه لم يعلن عن فقدان هذه المنحوتات الحجرية على الرغم من التقارير التي تتحدث عن عمليات نهب واسعة طالت المتاحف في عدن والمكلا.

إن تاريخ هذه النقوش الحجرية ليس الاهتمام الأساسي لهذه الدراسة ولكن التاريخ العام لها وطبيعتها الأجنبية هي موضوع الدراسة الرئيسي. فيما يتعلق بالشكل العام لهذه الرسومات فلها

فيها أحد الأسود وقد نهض في وجوه مهاجميه من الصيادين الذين كانوا يمتطون الخيول بينما يظهر أسد آخر ملقى على الأرض ميتاً. الرسمة الثانية (b) تظهر صيد الغزلان ويظهر فيها الصيادون وهم يمتطون صهوات الجياد كما تظهر فيها أيضاً رسومات لمباراة مصارعة. أما الرسمة الثالثة (c) فقد تباينت الآراء حول فهمها. فعلى سبيل المثال عدت بيرنيه (١٩٨٦) Pirenne هذه الرسمة تصويراً لمشهد انطلاق الصيادين حيث رأت أن ما يظهر في الرسمة من أشكال دائرية على امتداد المشهد الذي يمشي فيه تسعة من الصيادين ما هي إلا دوائر لسياج حلبة تعود في تاريخها إلى أيام الآشوريين حيث كانت الطرائد تساق إلى منطقة مغلقة مسيجة تمهيداً لقتلها على يدي صياد قوي أي أن المشهد تصوير لضرب الطرائد تمهيداً لاصطيادها. الرسمة الرابعة (d) تظهر شكلاً شبيهاً





الصورة ٧ من الأعلى نقش المعبد الأصلي وقد وضع في مكان ثانوي في الجدار الشمالي.  
من الأسفل قناة لتصريف فائض المياه على مقربة من موقع الحصن.

الأمويون في سوريا الأعمدة ورسوموا بسـاتين العنب الغناء ولهذا فمن الممكن أن يكون هذا العمود والرسومات قد تمت في العصر الأموي. وعلى كل حال فإن أقرب شبه لأشجار العنب المهجنة المرسومة في عمود حصن العر والتي نمت من شجرة الاقنثوس (٥) هي تلك الأشجار التي وجدت مرسومة في زخارف كنيسة القديس يوحنا في القسطنطينية التي يعود تاريخها إلى أواخر القرن الخامس وبداية القرن السادس (داوفين Dauphin, ١٩٨٧).

من حيث المكونات العامة والحجم فإن هناك أيضاً شبهاً قوياً بين رسومات حصن العر هذه وبين رسومات الكنيسة الشرقية لدير الهان جنوب شرق تركيا التي تم بناؤها قبل عام ٤٩٠ بعد

التي ظهرت في الاسكندرية في القرنين السادس والسابع الميلاديين. يطلق مورخو فن الرسم على رسومات شجرة العنب الملونة التي وجدت في حصن العر بالرسم المأهول أو الحي. فالسكان هنا هم الصيادون الذين يطاردون الطرائد خلسة بينما هي تلتقط حبات العنب. من الملاحظ أن أشكال الصيادين وأشجار العنب شوهدت بشكل كبير. أشكال الصيادين صغرت بينما أشجار العنب ضخمت. تظهر بوضوح البراعة والحدق في هذه المنحوتات الحضرمية البارزة من حيث الاستخدام الفعال للرسم المنظوري فقد وضع الرسام الغزال خلف جذع شجرة العنب كي تبدو بعيدة بينما وضع الصياد في المقدمة أمام الشجرة. استخدم معماريو القرن الثامن

شكل شبه منحرف (ضلعاه العلوي والأسفل متوازيان بينما ضلعاه الجانبين غير متوازيين) فلا يوجد شبهه بـيزنطي مطابق لها تماماً. دو (١٩٨٣) عدّه شكلاً مكعباً من تاج عمود بـيزنطي. جروهمان (١٩٦٣) Grohmann عدّه مشابهاً للأشكال التي توجد بتدمر وبعلبك ولربما يمكن القول إن فيه شبهاً من شكل أعمدة فارس انظر قلعة اليزدجر (كيل ١٩٨٨). لا توجد دلائل توحى بأن هذا العمود الذي يحوي الرسومات ذا الشكل الشبه المنحرف كانت له قاعدة دائرية مما يجعله مختلفاً تمام عن تلك الأشكال التي شرحها كوتزشيه (١٩٣٦) Kautsch وعدّها من الفن البربري. من الأهمية بمكان عد شكل هذا العمود مشابهاً لأشكال الأعمدة الإسلامية الموجودة في فلسطين التي تعود إلى بدايات القرن الثامن (انظر كريسويل (١٩٦٩) Creswell).

أما فيما يتعلق برسومات مشاهد الصيد فيكفي الإشارة هنا إلى أنها تشبه رسومات فيسيفسائية وجدت في أنطاكية والقسطنطينية تعود في تاريخها إلى ما قبل ٥٥٠م. وباختصار يمكننا القول أنه وبالرغم من أن شكل العمود عموماً شرق أوسطي إلا أن الرسومات التي به قد نحتت بأسلوب وطريقة بيزنطية.

إن النكهة والأسلوب البيزنطي يبدو واضحاً جلياً على قطع العتب أو (العارضة المرتكزة على العمود). هذا النحت الخطي البارز أو النافر كان قديماً جزءاً من إطار الباب وهو أيضاً بدوره يؤكد الأسلوب البيزنطي لأن المعمارين الفرس كانوا يفضلون النقوش والرسومات التي تغطي الأسطح كاملة فتصير نقوشهم شبيهة بورق الجدران ولا يفضلون حصرها على حواف الفتحات والأبواب. القطع التي تم الحصول عليها تحمل رسومات لولبية لأوراق العنب. هناك شبه ليس بالكبير بين هذه الزخرفة الملونة والزخرفة الخشبية





الصورة ٨ من الأعلى أحواض تحكم بالمياه مصقولة بحجارة الكلس مع بوابة تحكم صخرية ومن الأسفل بقايا ضفاف قناة مائية متجهة إلى الحصن.

الميلاد. إن ما يثير الانتباه هو التشابه في أسلوب الزخرفة بين هذه الرسومات وتلك التي ظهرت في أواخر القرن الخامس الميلادي وبدايات القرن السادس في الشام (فلسطين وشمال سوريا وجنوب تركيا) وهي بلدان عرفت بتقاليد العريقة في النقوش الحجرية. السؤال الذي يطرح نفسه بقوة هنا هو لماذا توجد كل هذه الزخرفة الراقية جدا في حصن يقبع في وسط الصحارى والقفار؟ إن مفاتيح الإجابة على هذا السؤال للغز أوردتها الباحثون الأوائل وبالتحديد فأن وايسمن (١٩٦٨) von Wissmann ومن ثم دو Doe (١٩٧٠) اللذين أشارا إلى بقايا أنظمة تحكم مائي في المناطق المحيطة بالحصن مؤكدين بذلك أن المنطقة كانت مستوطنة زراعية رائعة وليس مجرد قلعة فقط.

لقد أتيت أنا وزميلي انجريد هيهمير Ingrid Hehmeyer هذه السنة لإعادة فحص ودراسة هذه الخائن الفريدة ومحاولة فهم ما هو خلف بنايات الحصن بشكل أعمق. في زيارتي الأولى شاهدت الخصائص التي وصفها وايسمن ودو وسيرجنت ولكن في زيارتي الثانية التي قمت بها في مارس ١٩٩٤ كنت أكثر حظا فقد شاهدت أجزاء من حجرة مقطوعة في وسط حفرة تم حفرها في أحد أنظمة التحكم المائي. تظهر تلك الحجرة بوضوح بأنها بوابة تحكم لقناة مائية (انظر الصورة ٧ أعلى والصورة ٧ أسفل). إن هذا دليل قاطع بأن تلك الأحجار كانت جزءاً من نظام ري.

المفاجأة الكبرى هي أننا وجدنا أن الأماكن المجاورة لحصن العر ما هي إلا قنوات مائية (انظر الصورة ٧ السفلى) وعلى امتداد خمسة كيلومترات غرباً توجد بقايا طبقات متآكلة من ترسب الطمي تراكمت عبر قرون من عمليات الري. هذا كله يجعلنا نواجه الحقيقة التي لا مناص منها ألا وهي أن هذه المنطقة كان لها نظام ري مزدهر ومتطور. وفقا لشروط التفسيرات التاريخية لا توجد

بدأت بعد الفتح الإسلامي مؤكداً احتمال إفراغ المنطقة من السكان ولكنه أشار إلى إعادة توطن للناس في تلك المنطقة في الفترة ما بين القرن ١٢ والقرن ١٦. أشار سميث (١٩٨٨) (Smith) إلى أن المحاصيل هلك وانتشرت المجاعة في حضرموت في عام ١٢٧٨ مما دفع بالناس إلى بيع قلاعهم وحصونهم لحاكم مدينة ظفار مقابل حصولهم على المساعدات ولكنهم تراجعوا لاحقا بعد أن تلقوا تشجيعاً من الدولة الرسولية ثم قام الرسوليون بعد ذلك بالتفاف حول منطقة حصن العر في طريقهم إلى ظفار عام ١٢٧٨ (انظر سميث. Smith (١٩٨٨))

إذا من كان يتحكم في هذه المنطقة وحافظ على أنظمة الري فيها التي لاتزال بقاياها ماثلة على سطح الأرض؟ النتائج الأثرية تؤكد بأن الجزء الأساسي من الحصن قد بني في وقت ما من العام

حاجة لعد حصن العر قلعة معزولة في منطقة حدودية كما اعتقدت أنا شخصيا عندما زرت للمرة الأولى فقد تساءلت فيما إذا كان هذا الحصن يمثل الحد الشرقي لحضرموت كقلعة محصنة لصد أي اعتداء فارسي محتمل. وبالمقابل كنت أعتقد بإمكانية أن يكون هذا الحصن قد تم بناؤه من قبل عميل غير معروف للفرس كموقع متقدم يخدم المحاولات الساسانية للسيطرة على اليمن. لكن تبين خطأ هذين الاعتقادين. إن حصن العر هو مركز رئيسي قائم بذاته وله منطقتة الخاصة به وما كان له أن يزدهر إلا عندما توافرت له المصادر الكافية للحفاظ على نظام ري. هذا الأمر يظهر بوضوح من خلال عمليات التصحر التي شهدتها المنطقة لاحقا عندما تكسرت قنوات الري.

خمن سيرجنت (١٩٨٨) (Serjeant) بأن عمليات التآكل والتعرية هذه قد





45

العدد (4)  
أبريل  
يونيو  
2017م

كانت تسمى كيدار مرجحاً أن تكون واحدة من بطون كندة.

لقد وجدت في شرق حضرموت قوة كبيرة جداً ولكن لم يتم التعرف عليها بعد ويرجح أن تكون إحدى بطون كندة هي من مثل تلك القوة. لكن لا نستطيع حصر الأمر بهذا الشكل على كندة فقط، فحصن العر كان يقع في منطقة زراعية خصبة وغنية جداً ولم تكن أبداً منطقة صحراوية كما تبدو الآن كما أن الجودة المعمارية العالية للحصن لدليل قاطع على الغنى والثروة أما زخارف ذلك الحصن فقد شابها وضاهت زخارف بدايات القرن السادس التي وجدت في الشام وكل الأدلة تؤكد بأن رسام ذلك الحصن قد استلهمها من زخارف الشام. سنظل نتساءل فيما إذا كانت لمن سيطر على تلك المنطقة وحصنها المسمى بحصن العر ارتباطات شخصية وثيقة بأرض الشام من خلال العيش والمكوث هناك؟ ومن هم هؤلاء؟ إلى أن يتم تنفيذ برنامج تنقيب أثري موسع يحسم كل هذه التساؤلات ويجيب عليها.

الهوامش :

- ١- عارضة مرتكزة على عمود بمثابة حلية معمارية فوق وعلى جانبيها باب أو فتحة مربعة. (المترجم)
- ٢- قانا: قرية في لبنان (تقع في جنوب شرق صور). (المترجم)
- ٣- الجيولوجيا: دراسة الكتابة والنقوش القديمة. (المترجم)
- ٤- عشتار هي آلهة الجنس والحب والجمال والتضحية في الحرب عند البابليين. (المترجم)
- ٥- الاقتتوس هو نبات شائك من فصيلة الاقتثيات. (المترجم)
- ٦- المزدكية عقيدة تنسب إلى مزدك بن موبدان (٤٨٧-٥٣١م) الذي ادعى النبوة ودعى للإباحية في زمن الملك قباد بن فيروز والد أنوشروان. (المترجم).
- ٧- سميفع أشوع: هو آخر ملوك حمير وقد أصبح ملكاً على اليمن بعد وفاة الملك يوسف أسار يثار وكان يشير إلى نفسه بالنقوش بأنه "ملك سبأ". (المترجم)
- ٨- بروكوبيوس القيسراني (٥٠٠-٥٦٠م) مؤرخ وعالم بارز من فلسطين. (المترجم)

بيزنطية أو فارسية تجعلنا نجد تفسيراً للأعمال الفنية في ذلك الحصن. لذا يجب علينا الانتباه لما قاله شاهد (١٩٨٦) من وجود مجموعات أخرى من قبيلة كندة بالشمال إضافة إلى بني عقيل حيث كانوا تارة يقاتلون نيابة عن الحميريين وتارة يقاتلون ضدهم.

من الواضح جداً أن حصن العر كان تحت إشراف وعناية إحدى بطون كندة التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية إلى الشام والتي لا بد أنها عادت مرة أخرى إلى الجنوب العربي في القرن السادس الميلادي.

هناك أمر آخر يتعلق بملوك سبأ فهناك جدل واسع حول الفترة الزمنية التي أمضاها المدعي بالعرش اليمني والمدعوم من قبل الأقباش الملك سميفع (٧) في قانا قبل رحيله إلى العاصمة الحميرية ظفار لتولي العرش في عشرينات القرن الخامس. حاول بيستون (١٩٥٤) (Beeston) أن يجد تفسيراً للفترة الزمنية الطويلة التي أمضاها ذلك الملك في قانا معللاً ذلك بأن الملك زار قانا مرتين مرة كملك هارب وأخرى كمنتصر كما أشار إلى عدم تفسير تواريخ بروكوبيوس (٨) ومقولاته حرفياً ولكنه عاد واتفق مع بروكوبيوس حين أرجع سبب تأخر الملك بقانا إلى أن حضرموت حينها كانت تمثل خطراً على الحملة المدعومة من الحبشة شبيهاً تماماً بالخطر الذي مثلته المقاومة الحميرية في عمق أراضي الدولة نفسها فقد أشار سميث (١٩٥٤) (Smith) إلى أنه حين بدأ أبرهة حملته المضادة استطاع إخضاع الجزء الغربي من حضرموت ولكن المقاومة في الجزء الشرقي من حضرموت فاقت كل التوقعات. لم يتم التعرف على المجموعات التي كانت منخرطة في المقاومة التي شبت في الجزء الشرقي من حضرموت ويرى سميث أن إحدى هذه الفصائل أو المجموعات المقاومة

١٠٠م. أما الأعمال الزخرفية ذات الصبغة الأجنبية لذلك الحصن فقد تمت حوالي عام ٥٠٠م. إن الأثرياء الذين جلبوا هذه الزخرفة الشرقية ذات المنشأ الشامي إلى حضرموت بعد العام ٥٠٠م مباشرة لربما هم أفراد قبيلة كندة. فمن المعروف أن بني عقيل المرار أحد بطون كندة قد عملوا كمرتزقة في المقاطعات الشرقية التابعة للإمبراطورية البيزنطية خاصة سوريا. أحدهم كان يسمى الحارث ابن عمرو عمل مع الساسانيين والبيزنطيين في أثناء المواجهات التي دارت بينهم في الفترة التي سبقت توقيع الاتفاقية بين الطرفين عام ٥٠٢م (كوار ١٩٦٠، Kawar). أشار أوليندر (١٩٢٧) Olinder إلى أن تسلسل الأحداث التاريخية لحياة الحارث لم يحدد بدقة إلا أنه قبل وفاته في عام ٥٢٨م قاد حملة ضد البيزنطيين وأطاح بملك الحيرة اللخمي في أثناء سنوات الاضطراب التي رافقت الثورة المزدكية (٦) في إيران ليتم بعد ذلك تعيينه قائداً عسكرياً في فلسطين ثم دخل في صراعات هناك مع السلطات ليقتل بعد ذلك بموافقة بل لربما بتشجيع من بيزنطة (شاهد ١٩٨٦) Shahid ثم عاد الكنديون إلى أرض أجدادهم حضرموت (روثستين ١٨٩٩) Rothstein.

أما المجموعة الأخرى من كندة التي استوطنت حضرموت بعد أن سيطرت عليها بالقوة عام ٦٠٠م مكونة ارتباطات سياسية فنية وتاريخية مع سوريا فلم تكن من مجموعة ابن عقيل التي أجمع المؤرخون على انقسامها إلى جماعات متناحرة بعد موت الحارث مما أدى إلى ضياع تأثيرهم ونفوذهم في الشام البيزنطي (أوليندر Olinder). ١٩٢٧ فلم يكملوا باستطاعة هؤلاء بناء حصن كحصن العر لافتقارهم للمصادر.

إن بطن كندة التي وطدت نظام حكم بالقوة في حضرموت حوالي عام ٥٧٠م كانوا من بني عمرو بن معاوية (المدعج، ١٩٨٨) ولم تكن لهم ارتباطات





# الشيخ عبدالله بن حيمد مبارك بامعبد



د. محمد يسلم عبدالنور\*

## ترجمة المؤلف (١)

### أولاً: اسمه ونسبه:

هو: عبد الله (عبد حسين) بن حيمد مبارك بن عمر بن عوض بامعبد، وينتهي نسبه إلى الشيخ الولي محمد بامعبد (ت ٦٧١ هـ) صاحب عين بامعبد الواقعة في حد حضرموت الجنوبي الغربي، ويلقب بأبي البشر.

### ثانياً: ميلاده ونشأته:

ولد بمنطقة السويري الضاحية الجنوبية لمدينة تريم سنة ١٣٠٣ هـ، ونشأ نشأة حسنة وصالحة، وقرأ "القرآن" على المعلم عمر بن عبود باعطب، وحفظه عن ظهر قلب، ولعله أخذ مبادئ اللغة والحساب والفقه وأساسياته على شيوخ منطقته وللأسف لم نتحفظنا المصادر بأكثر من ذلك.

### ثالثاً: شيوخه ورحلاته العلمية (١):

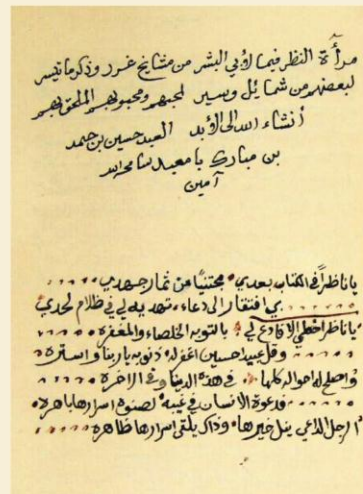
في سنة ١٣٢٠ هـ أدخله والده رباط تريم، وأقام فيه سنة ثم رافق والده في السفر إلى السواحل -مهرج الحضارم الأول- وظل مع والده في هذه الرقعة الجغرافية المعروفة بجنوب شرق أفريقيا ولعل الهجرة كانت لغرض التجارة والعمل وظل بها إلى سنة ١٣٢٥ هـ حيث عاد ليلتحق من جديد بالرباط، ويقوم فيه سنتين. في "رباط تريم" أخذ عن شيخه وأستاذه الشيخ عبد الله بن عمر الشاطري

و"عقد اليواقيت الجوهرية" للحبشي، كما أنه قرأ على ابنه حسين (ت ١٣٦٨ هـ) "ملحة الإعراب".

في سنة ١٣٢٧ هـ خرج السيد مصطفى بن أحمد بن محمد المحضار (ت ١٣٧٤ هـ) من دوعن لزيارة تريم ومآثرها وعلمائها وصحبه عدد من العلماء والمريدين منهم الشيخ أحمد بن حسن العطاس (ت ١٣٣٤ هـ) وكانت فرصة للمترجم وحسن حظه أن يلتقي بهم ويأخذ عنهم ويجيزونه مع آخرين، ولم يطل المترجم له الإقامة بتريم فقد ألزمه والده بالسفر إلى المناطق الشمالية والحرمين الشريفين لكسب العيش والأخذ والتلمذة على علمائهم، فخرج من تريم في ١٠ شوال سنة ١٣٢٨ هـ ووصل بندر ميدي في ١٥ من ذي القعدة الحرام من العام نفسه وظل بها حتى ٢٢ من الشهر نفسه حينما أخذته ساعية بحرية ليصل مكة يوم عرفة مع طلوع الحجاج إلى مشعر عرفات ومن الله عليه بالحج وأقام بمكة حتى العاشر من محرم سنة ١٣٢٩ هـ، وفي هذه المرة زار الشيخ حسين بن محمد بن حسين الحبشي (ت ١٣٣٠ هـ) وأخذ عنه.

خرج المترجم له من مكة في العاشر من محرم سنة ١٣٢٩ هـ إلى جدة عائداً فوصل بندر ميدي وأقام بها مدة، فالتقى بعدد من الشيوخ الحضرميين منهم عبد الله بن محمد بن عبود البار وعبد الله بن علي باسند العمودي إلى شهر ذي القعدة من العام نفسه حينما وصل والده برفقة السيد عبدالله بن علوي الحبشي (ت ١٣٤٣ هـ) وابنه حسين (ت ١٣٦٨ هـ) وآخرين قادمين من تريم لأداء فريضة الحج فرافقهم المترجم له ووصلوا مكة في الخامس من ذي القعدة وأدوا فريضة الحج، وكانت فرصة سانحة للمترجم له أن يأخذ ثانية عن الشيخ حسين بن محمد بن

(ت ١٣٦١ هـ) وقرأ عليه في المختصرات الفقهية وغيره من شيوخ الرباط من أمثال الشيخ أحمد بن عبد القادر العيدروس (ت ١٣٣٨ هـ). وقد اتصل أيضاً بشيخه الشيخ شيخ بن عيدروس العيدروس (ت ١٣٣٠ هـ) من حين عودته من سنة ١٣٢٥ هـ حتى سفره إلى المناطق الشمالية من اليمن سنة ١٣٢٨ هـ، كما ارتبط بعلاقة وثيقة وحميمية مع شيخه الشيخ عبدالله بن علوي بن زين الحبشي (ت ١٣٤٣ هـ) حيث كان يتردد إليه في مسقط رأسه بثبي في صباه مرات؛ وكانت العلاقة الوطيدة بين شيخه ووالده الذي كان يستشيريه في مهماته وأموره، كما رافق شيخه الحبشي سنة ١٣٢٥ هـ إلى سينون لزيارة الشيخ الصوفي علي بن محمد بن حسين الحبشي (ت ١٣٣٣ هـ) وكان المترجم له كثير الجلوس والاعتكاف عند شيخه الحبشي، وأطول مدة مكث عنده ستة أشهر قرأ عليه في كتب متعددة تفسيراً وحديثاً وفقهاً وتصوفاً منها: "صحيح البخاري"، و"تفسير ابن عباس"، و"تفسير الواحدي" و"التنبيه" و"لمهذب" للشيرازي، و"إحياء علوم الدين" للغزالي، و"المنح السنية على الوصية المقبولية" للشعراني و"رسالة المعاونة" للحداد،







47

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م



معه مدارس القرآن في شهر رمضان، واجتمع بالأولى بالشيخ يحيى بن عبد الله بن يحيى مكرم وقرأ عليه "صحيح البخاري ومسلم".

عاد بامعبد من الحجاز سنة ١٣٤٢ هـ ومر على المكلا واجتمع بالسيد حسين بن علي بن هود العطاس (ت ١٣٤٥ هـ) وتردد عليه وقرأ عليه كتاب "التنوير في إسقاط التدبير" لابن عطاء الله، كما تردد كذلك على السيد أحمد بن محسن الهدار (ت ١٣٥٧ هـ) الذي كان قد اجتمع به قبل ذلك في تريم، وبوصوله إلى تريم ومن سنة ١٣٤٥ هـ لازم شيخه عبد الله بن عيدروس بن علوي العيدروس ملازمة تامة ولم تفته غالب مجالسه ومدارسه حتى وفاته سنة ١٣٤٧ هـ والمترجم جالس عند رأسه.

ومنذ وفاة شيخه العيدروس سنة ١٣٤٧ هـ إلى سنة ١٣٧٠ هـ نجد أن بامعبد كان متنقلاً بين اليمن (الحديدة) والحرمين الشريفين (مكة والمدينة) فقد غادر تريم متجهاً إلى المراوعة بالحديدة وحضر شهر رمضان عند شيخه أحمد بن عبد الله بن أحمد الأهدل (ت ١٣٥٠ هـ) سنة ١٣٤٧ هـ، كما زار كذلك شيخه محمد طاهر بن عبد الرحمن الأهدل (ت ١٣٤٧ هـ) وأقام عنده عشرة أيام، ثم اتجه إلى مكة واجتمع بالشيخ سليمان بن محمد الأهدل، ثم اتجه إلى الحجاز حتى سنة ١٣٥٠ هـ ليعود أدراجه إلى الحديدة مرة أخرى ليجتمع أيضاً بشيخه سليمان الأهدل، ولا ندري هل ظل المترجم له بالحديدة حتى سنة ١٣٥٦ هـ أم عاد إلى

للشعراني.

سافر المترجم له مرة أخرى إلى المناطق الشمالية من اليمن سنة ١٣٢٨ هـ ومكث بها إلى سنة ١٣٤٠ هـ وفي سفره هذا يتوفى والده حيمد بن مبارك بامعبد أول ربيع سنة ١٣٣٨ هـ، وبعد عودته نجده يقوم بزيارة لعدد من شيوخ وعلماء حضرموت في مناطقهم فاتجه شرقاً وزار الشيخ سالم بن حفيظ بن الشيخ أبي بكر بن سالم (ت ١٣٧٨ هـ) في مشطة، ثم يتجه غرباً ويبدأ بالغرفة لزيارة السيد حسين بن طاهر بن عبد القادر الحبشي الذي كان قد اجتمع به في تريم، ثم يتجه إلى وادي عمد ويحيط رحله بقيدون عند الشيخ عبد الله بن طاهر بن عبد الله الهدار الحداد (ت ١٣٦٧ هـ) ثم يتجه إلى القويرة لزيارة شيخه مصطفى بن أحمد بن محمد



المحضر (ت ١٣٧٤ هـ) وكان يستأجر من هؤلاء الشيوخ.

وتشير تلك المصادر بأن المترجم له قد غادر حضرموت إلى المدينة المنورة سنة ١٣٤١ هـ واجتمع بها بالسيد علي بن علي بن حسين الحبشي (ت ١٣٥٤ هـ) وكان قد قصد قبل ذلك ميدي والحديدة، ففي الأخيرة اجتمع بالشيخ أحمد بن عبد الله بن أحمد المراوعي الأهدل بالمراوعة ولازمه ولم يفارقه طيلة وجوده بها لا صباحاً ولا مساءً، كما اجتمع أيضاً بالشيخ محمد طاهر بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الباري الأهدل (ت ١٣٤٧ هـ) وأقام عنده ثمانية أيام وقرأ عليه "بردة البوصيري" و"التبيان في آداب حملة القرآن للنووي" كما حضر

حسين الحبشي (ت ١٣٣٠ هـ) ويزوره في بيته بجرول بمكة ويستجيزه.

ظل المترجم له بمكة حتى فاتحة محرم الحرام سنة ١٣٣٠ هـ ليذهب إلى المدينة المنورة ثم ليعود مرة أخرى مع والده إلى المناطق الشمالية (تهامة) بسندر ميدي ويقيم بها أشهراً ثم يتجه إلى حضرموت ليوصل تريم في شعبان سنة ١٣٣٠ هـ وذلك قبل عشرة أيام من وفاة شيخه شيخ بن عيدروس بن محمد العيدروس الذي توفي في ٢٦ شعبان سنة ١٣٣٠ هـ.

وبعد وفاة شيخه العيدروس يخرج بامعبد من تريم متجهاً إلى حريضة لزيارة شيخه أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس (ت ١٣٣٤ هـ) ويعرج قبل زيارته له على ذي صبح يزور السيد محمد بن الحسن بن صالح البحر الجفري.

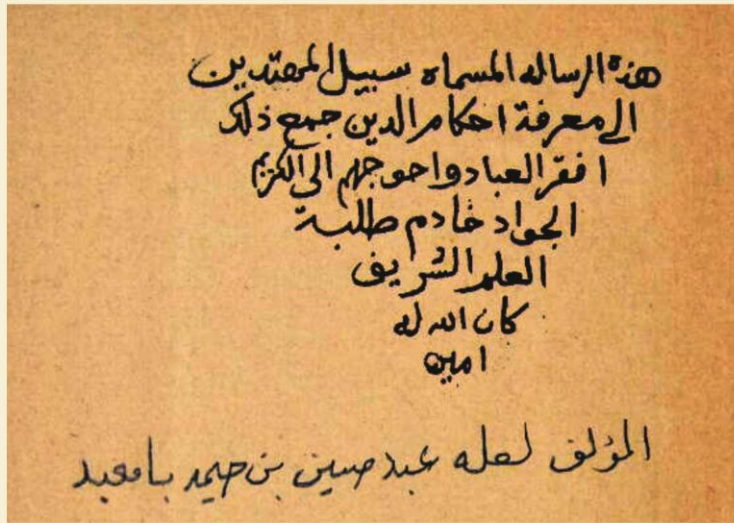
ومن مشاهير علماء تريم الذين أخذ عنهم وقرأ عليهم المترجم له، الشيخ محمد بن أحمد الخطيب (ت ١٣٥٠ هـ) حيث قرأ عليه المختصرات الفقهية و"التنبيه" للشريازي و"الرسالة القشيرية"، والشيخ عبد الله بن أحمد بن عبد الله الخطيب (ت ١٣٥٤ هـ) فقد قرأ عليه في عدة علوم حديثاً وفقهاً وتوصفاً فمن جملة ما قرأ عليه: "الإقناع" للشرييني، و"الإحياء" للغزالي، و"التنوير في إسقاط التدبير" لابن عطاء الله، و"قوت القلوب" لأبي طالب المكي، و"شرح الحكم" لابن عباد، و"شرح قصيدة من ذاق شراب القوم يدره" لابن علان، و"منازل السائرين إلى الحق عز شأنه" لإسماعيل الأنصاري الهروي، و"بستان العارفين" و"التبيان في آداب حملة القرآن" للنووي، و"الرسالة القشيرية" و"البريز من كلام الشيخ عبدالعزيز الدباغ" و"جواهر القرآن" للغزالي، و"مدارك المرام في مسائل الصيام" للقسطاني، و"بشرى الكئيب بقاء الحبيب" للسيوطي، و"الوفاء بالعهود لأصحاب اللحدود" للحفظي، و"ميزان الخيرية" للشعراني، و"رياض الصالحين" للنووي، و"كتاب الشكر" للحافظ ابن أبي الدنيا، و"إكرام الضيف" للحافظ أبي إسحاق إبراهيم الحربي، و"حياة الأنبياء" للبيهقي، و"الشفاء" للقاضي عياض، و"الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي، و"اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر"





48

العدد (4)  
ابريل  
يونيو  
2017م



مسطق رأسه؛ لأنه في هذا العام قد التقى بالسيد عبد الله بن طاهر بن عبد الله الحداد (ت ١٣٦٧ هـ) عند قدومه من جأوة ولازمه بمكة وصحبه في خروجه من مكة إلى المكلا، وأثناء إقامة الحداد بالمكلا لزمه وقرأ عليه "الفتح الكبير" و"الجامع الصغير" للسيوطي بجمع يوسف النبھاني، و"التبيان في أقسام القرآن" لابن القيم.

وفي سنة ١٣٥٨ هـ اجتمع المترجم له بالسيد عيّدروس بن سالم بن عيّدروس البار (ت ١٣٦٧ هـ) في مكة وقرأ عليه "رسالة المريد" للإمام الحداد، و"الأربعين العجلونية"، كما اجتمع بالمسجد الحرام بالشيخ مصطفى بن يوسف الحمامي المصري، ولعله مكث بمكة منذ هذا التاريخ فنجدّه أيضاً قد اجتمع مرة أخرى بالسيد البار سنة ١٣٥٩ هـ و ١٣٦٤ هـ و ١٣٦٥ هـ بل إلى ما بعد ذلك لأنه في سنة ١٣٦١ هـ زار الشيخ محمد بن عبد الرحيم القادري الجيلاني، بيته بالمدينة المنورة، وزار كذلك بعد عام سنة ١٣٦٢ هـ عدداً من الشيوخ الوافدين إلى المدينة المنورة القادمين من خارجها أو المجاورين بها منهم الشريف المأمون المغربي، ومحمد المجتبى المغربي، وعبد القادر بن توفيق بن عبد الحميد الشبلي (ت ١٣٦٩ هـ) الذي درس بالحرم النبوي، ويزوره مرة أخرى سنة ١٣٦٥ هـ، ومحمد عبد الباقي بن ملا علي بن ملا معين الأنصاري وكان يستأجر من هؤلاء الشيوخ.

وفي سنة ١٣٦٧ هـ يزور بمكة الشيخ أحمد بن أبي بكر التبر الحسني المغربي والشيخ محمد بن علي بن حسين المكي المالكي (ت ١٣٦٧ هـ).

وفي سنة ١٣٧١ هـ يخرج بامعبد من المكلا ولعله حين قدومه من الحجاز ويسلك طريق وادي دوعن ويمر على القويرة لزيارة شيخه مصطفى بن أحمد بن محمد المحضار (ت ١٣٧٤ هـ) وهي الزيارة الأخيرة له، ويصل إلى مسقط رأسه تريم ويظل بها قائماً ملقياً عصا التسيار، إذ إن سنه الذي قارب السبعين لا يمكنه من الرحيل والهجرة عنها كما دأب من قبل وعهده في مسار حياته؛ متنقلاً من هنا وهناك، فيظل بتريم حتى وفاته.

#### رابعاً: صفاته وخلقه:

يشير كل من يذكر المترجم له بأنه كان يمتاز بنوع من الدعابة والظرافة ويميل إلى النكتة وخفة الروح التي صاحبت خفة الجسد، جعله محبوباً ومقرباً في مجتمعه فضلاً عند شيوخه وأقرانه، ويحكى عنه حكايات وظرائف ومواقف في هذا السياق؛ لا نطيل بذكرها.

#### خامساً: مؤلفاته:

للمترجم له عدد من المؤلفات والمجاميع هي نتاج رحلاته ومشواره العلمي وانتقاله من مكان إلى آخر وأخذ من عدد من الشيوخ والعلماء سواء منهم على المستوى المحلي أم على مستوى اليمن أم العالم الإسلامي، وهي حسب ما وقفنا عليه في مكتبة الشيخ محمد بن سالم بن حفيظ (ت ١٣٩٢ هـ) التي آلت إليه بالشراء والمحفوظة لدى أبنائه، والمودعة صورة منها بمركز النور للدراسات والأبحاث؛ ولعل العلاقة الوطيدة والحميمة التي ربطت بين الأسرتين حافظت على نتاجه عند الأسرة الأخيرة، وهي على النحو الآتي:

- (١) نبذة في قواعد الرسم في التهجي وقواعد الكتابة.
- (٢) سبيل المهتدين إلى معرفة أحكام الدين.
- (٣) تحفة المريد بأخبار الرحلة إلى زبيد، وهو خلاصة رحلاته إلى زبيد حيث قدم فيه وصفاً جغرافياً وتاريخياً لهذه المدينة العلمية وما حوته من معالم أثرية وعلماء وشيوخ على مر عصورها حتى عصره وارتباطه بعلمائها.
- (٤) منح القدوس في مناقب الحبيب عبد الله بن عيّدروس العيّدروس وهو في سيرة ومناقب وصفات شيخه الذي لزمه حتى وفاته سنة ١٣٤٧ هـ

(٥) مجموعة فوائد وإجازات تلقاها من شيوخه.

(٦) مكاتبات واردة إلى عبد حسين بن حيمد بامعبد وهي معظمها وصلت إليه وهو في المهجر وأكثرها من شيخه عبد الله بن علوي بن زين الحبشي (ت ١٣٤٣ هـ).

(٧) مجموع يحسني على عجائب وغرائب وفوائد وحكم نثراً ونظماً جمعه لنفسه وللمن شاء من أبناء جنسه منقولة من عدد من الكتب والمجاميع الكلامية؛ وحوى كذلك بعض المسائل الفقهية مثل صلاة الخمسة الفروض ورأي القضاء الشرعي بالمكلا وردود علماء حضرموت عليها، وأخرى عن صلاة التسبيح لعبد الله بن أحمد بلققيه.

(٨) مرآة النظر فيما لأبي البشر من مشايخ وذكر ما تيسر لبعضهم من شمائل وسير.

#### سادساً: وفاته:

ذكرنا سلفاً أن بامعبد خرج من المكلا سنة ١٣٧١ هـ إلى مسقط رأسه تريم ماراً بدوعن وظل بالأولى إلى حين وفاته يوم الأربعاء ٢٨ شوال ١٣٧٨ هـ ودفن بمقبرة زنبل أمام قبة السيد عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيّدروس تحديداً عند الباب الجنوبي (البحري) منها محاذياً بالركن الجنوبي الشرقي، بجانب قبر الشيخ محمد بن سعيد الزبيدي في صف واحد (سلق) وقبره ظاهر، رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه فسيح الجنان.

\* أستاذ التاريخ الإسلامي وحضارته المشارك - جامعة حضرموت.

(١) مصادر ترجمته: مؤلفاته وما سمعناه عنه، الدليل المشير ص ٢٠٥، إدام القوت ٦٦، لوامع النور ٢/٩٦.

(٢) لم نذكر جميع شيوخه، وإنما ركزنا على أشهرهم ومن له علاقة وطيدة به أو ارتحل إليهم.





# المرحوم الشيخ / محمد عمر بارحيم بامشموس مسيرة خير ... حافلة بالعطاء



ليس من شك في أن اسم الشيخ محمد عمر بامشموس - رحمه الله - رئيس الغرفة التجارية والصناعية - عدن و نائب رئيس اتحاد الغرف التجارية والصناعية - اليمن و رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي الخيرية - عدن سيقفز في أوائل القائمة عندما يعدد التاريخ اليمني الحديث أسماء المساهمين في مسيرة العطاء القرآني و التربوي و الإنساني وغيرها من القوافل الخيرية .

فقد أنفق حياته كلها في العمل الخيري و بذل غاية ما يستطيع من جهد لأداء المهمة التي وكلت إليه، فكان موفقاً وناجحاً .. وكان حكيماً بكل ما تحمله هذه الكلمات من معنى .

وسأعطي مثلاً واحداً فقط في المجال القرآني ، فقد كان شيخنا محمد -

رحمه الله - له اليد الطولى بعد الله سبحانه و تعالى في بناء مدرستنا " مدرسة الفاروق النموذجية لتحفيظ القرآن الكريم - بكريتر - عدن " لمساعيه الحثيثة المتواصلة لمراسلاته و اتصالاته المتتالية بأهل الخير و الصلاح و جهات الاختصاص حتى تم بناؤها على الوجه المطلوب و الرائع .

وأما بالنسبة في المجالات الأخرى فيعد الشيخ محمد عمر بارحيم بامشموس أحد أهم الشخصيات التجارية بمدينة عدن و حضرموت، ولقبه البعض بشهيد التجارة، وبالشيوخ العالم بأمور الدنيا والدين والمثقف الواسع المعرفة، إذ ينتمي لأسرة عريقة عرفت طوال تاريخها بالعلم والفقه .

الدينية و بينته العلمية و انتماؤه لمدرسة حضرموت الأخلاقية ... واستناده إلى إرث ثقافي وعلمي و ديني أسري عريق موغل في القدم ممتد من حضرموت إلى بقاع شتى من المعمورة .

وقد كرم الشيخ / محمد عمر بامشموس من عدة جهات حكومية وخاصة في اليمن وفي الوطن العربي وعدة دول بالعالم، ومن هذه التكريات التي يعتز بها ذلكم التكريم من قبل الاتحاد العربي للعمل التطوعي، حيث كرم بحضور السيد عمرو موسى وزير خارجية مصر، والأمين العام لجامعة الدول العربية السابق، وعدد من السفراء والشخصيات البارزة ومراسلي وسائل الإعلام، فقد كرم بامشموس كأفضل شخصية يمنية في العمل التطوعي ...، حيث نال السيد الشيخ محمد

والفضيلة، وقدموا نماذج مشرفة لدعاة الدين وقادة في السلوك والأمانة والتجارة النزيهة والأخلاق الحميدة وحملوا الدين الإسلامي بين أكنافهم ونشروه أينما حلوا وترحلوا أو استقروا .

ويجمع كل من عرف الشيخ / محمد عمر بامشموس على أنه شخصية دمثة متواضع سمح الوجه بشوش في مقابلاته ... ويحب مساعدة الآخرين قدر استطاعته، كما أنه واسع الاطلاع ومثقف، يبهرك بشخصيته وأدبه الجم، وبمعلوماته الغزيرة وعلمه وتفقده في الدين ووسطيته ... عمل في ريعان شبابه في الصحافة والتجارة، وبرع فيهما، واشتهر في بلاط صاحب الجلالة، وله مقالات وكتابات معروفة في الصحافة المحلية والخارجية، وساعده على ذلك تربيته



يعد الشيخ / محمد عمر بامشموس أحد رجال الأعمال البارزين الذين عادوا بعد فجر الاستقلال الوطني للجنوب (جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية) في الـ ٣٠ من نوفمبر ١٩٦٧م من مهاجرهم التي نشروا فيها دين الإسلام والعلم





50

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م



منطقة القرين بدوعن حضرموت، وأعماله الخيرية التي لم تتوقف فيها، وزاراته المتوالية لمراكز التنوير والخير في دوعن بحضرموت... في إطار زيارته السنوية المعتادة التي يقوم بها إلى وادي دوعن مسقط رأسه في شهر محرم من كل عام... حيث قام ولمرات كثيرة بزيارة ديار المحتاجين وللجمعيات الخيرية ولمدرسة منطقة القرين الأساسية وقدم العديد من المساعدات للمدرسة منها تقديمه للكثير من الكتب والمراجع العلمية التعليمية والثقافية التي تحتاجها المدرسة لطلابها.

### مقتطفات من السيرة العطرة للشيخ/ محمد عمر بارحيم بامشموس



يعد من أهم الشخصيات الاجتماعية والثقافية والتجارية بمدينة عدن وأحد أبرز رجال الأعمال في البلاد. من مواليد حضرموت، وادي دوعن القرنين عام ١٩٣١م، متزوج وله ثلاثة أبناء وثلاث بنات من أبرزهم الأستاذ الدكتور/ أبو بكر محمد عمر بارحيم بامشموس الشخصية الأكاديمية المعروفة والأستاذ بكلية الهندسة بجامعة عدن ومدير مركز الاستشارات الهندسية بالجامعة ومنسق مجلس أمناء جامعة عدن.

درس الشيخ محمد عمر بارحيم بامشموس في مدرسة الجالية العربية بأسمر وفيها حصل على شهادة الثانوية عام ١٩٤٨م، ثم درس العلوم التجارية والحاسبية بالمعهد البريطاني بالعاصمة المصرية "القاهرة"، وتعلم اللغة الإنجليزية بمعهد المعلمين (أسمر) أرتيريا لمدة ثلاث سنوات عام ١٩٥٦م زاول عمل التجارة ٥٠ عاماً في أثيوبيا- أرتيريا -المملكة العربية السعودية واليمن. قضى ٣٠ عاماً في أرتيريا-أسمر والمملكة العربية السعودية.

أحمد سالم ربيع، بمنحه درع محافظة عدن، تطرق وكيل محافظة عدن أحمد الضلاحي والدكتور عبد الجليل الشيعبي رئيس المنطقة الحرة في عدن كلمتيهما إلى أبرز المواقف الوطنية التي عرف بها الشيخ / محمد عمر بامشموس تجاه بناء الاقتصاد الوطني والأعمال الخيرية التي تميز بها التي عكست حبه لوطنه والمجتمع اليمني... كما عبرا فيهما عن تقديرهما لجهود الشيخ محمد عمر بامشموس نائب رئيس اتحاد الغرف التجارية - رئيس الغرفة التجارية والصناعية عدن - الشخصية الاجتماعية والاقتصادية التي كان لها دور متميز على الأصعدة كافة في البلاد منذ عام ١٩٧٠م، من خلال موقعه ومهامه في الغرف التجارية اليمنية والإسلامية وإسهامه الفعال للتسويق والترويج للمنطقة الحرة عدن بشكل خاص واليمن بشكل عام في كل المحافل المحلية والدولية التي شارك فيها خلال الأعوام السابقة، ولعلاقاته الحسنة مع العديد من الغرف التجارية العربية والإسلامية التي جعلت منه سفيراً فوق العادة لليمن التي مثلها خير تمثيل وبذلك استطاع إقناع العديد من المغتربين اليمنيين بالعودة للوطن وإنشاء مشاريعهم التجارية والاستثمارية. وللشيخ / محمد عمر بامشموس أياد بيضاء في مساعدة الكثير من الجمعيات الخيرية والمؤسسات التعليمية والتنويرية بعدن، وحضرموت، وعدة مناطق في جمهورية اليمن، وهو عضو مؤسس للعديد من الجمعيات الخيرية.

ومن الأعمال الخيرة التي تستحق الذكر والتي تعبر عن مدى وفاء الشيخ / محمد عمر عمر بارحيم بامشموس لمسقط رأسه زيارته الخيرية والتفقدية المتكررة إلى

عمر بامشموس جائزة أفضل شخصية يمنية فاعلة في العمل التطوعي ومنح شهادة تقديرية ووسام العمل التطوعي إضافة إلى ترأسه الاتحاد، جاء ذلك في الحفل التكريمي التي نظمتها جامعة الدول العربية والاتحاد العربي للعمل التطوعي في القاهرة يوم السبت الموافق ١٨-٦-٢٠١١م، لعدد من الشخصيات العربية الفاعلة في العمل التطوعي بمناسبة العمل التطوعي الذي يقام كل عام.

وقال الشيخ بامشموس إن هذا التكريم يعد وساماً يفتخر به كونه جاء نتيجة لعمل إنساني وطوعي نخدم به مجتمعاتنا، ونؤكد أن بلادنا العربية واليمن بشكل خاص لا تخلو من أشخاص محبين للعمل التطوعي... مضيفاً أن التكريم يأتي بعد مرور ٥٠ عاماً من العطاء في العمل الإنساني والخيري والتطوعي الذي يحفظ للإنسان مكانة اجتماعية وقرباً من ربه عز وجل.

وفي يوم الأربعاء ٢٠ أكتوبر ٢٠١٠م، أقامت المنطقة الحرة بعدن في اليمن حفل تكريم للشيخ محمد عمر بامشموس نائب رئيس الاتحاد العام للغرف التجارية والصناعية للشؤون التجارية اليمنية، رئيس الغرفة التجارية والصناعية بعدن بحضور الأستاذ أحمد بن أحمد الضلاحي وكيل المحافظة لشؤون الاستثمار وأحمد سالمين ربيع علي وكيل محافظة عدن والدكتور عبد الجليل شائف الشيعبي رئيس المنطقة الحرة بعدن وذلك لدوره المتميز والريادي والداعم للمنطقة الحرة عدن وعدد من المستثمرين وأعضاء مجلس إدارة الغرفة التجارية والصناعية بعدن.

وفي حفل التكريم الذي قام فيه رئيس المنطقة الحرة عدن بمنح الشيخ / محمد عمر بامشموس شهادة تقدير وتكريم مع ترس المنطقة الحرة، كما قام الأستاذ /





51

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

٢- في الوقت الذي كان أعضاء الجالية العربية يفدون إلى صالة المحاضرات للاستماع إلى محاضرة بعنوان: ( الشرق العربي ينقصه زعيم ) ، كان الأستاذ / سعيد عوض باوزير صاحب المحاضرة في غرفة مجاورة للصالة معدداً على سرير يئن من آلام المرض ..



وعندما حان ميعاد إلقاء المحاضرة ، دخل الصالة " على عكاز " يسنده شخصان و ألقى المحاضرة التي ألهبت حماس الحاضرين وهو يكاد يترنح من الإعياء . وبعد :

فإن كل كلمة قيلت في هذا المقام عن الشيخ / محمد بامشوموس - رحمه الله - تعد حقيقة جوهريّة على أرض الواقع لأن هناك من الرجال رحلوا بأجسادهم عن ظهر الدنيا فيما لا يزال أثر أعمالهم خالداً بما يتيح لهم عمراً طويلاً .. طيب الله ثراه ونفع بذريته دنياه ودينه .

رحل عنا بجسده بينما روحه لا تزال تحلق حولنا وحول كل عمل صالح ادخره للأخرة ، وذلك هو الفوز المبين .

الشيخ / محمد عمر بامشوموس - رحمه الله - لا يزال يعيش بين أحبائه وأصدقائه سواء كان حياً أو ميتاً فإن أعماله الخيرية وأفعاله الطيبة لا تزال تملأ الدنيا خيراً وعلماً .

رحم الله شيخنا محمد بامشوموس الذي فارقنا يوم السبت تاريخ ١٠ ذو القعدة ١٤٣٧ هـ الموافق ١٣ أغسطس ٢٠١٦م حيث تم الصلاة عليه بمسجد بن لادن بالعامة في مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية بعد صلاة العشاء .

سائلين المولى عز وجل أن يتغمده بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناته وأن يلهمنا وأهله وذويه الصبر والسلوان .

\* مدير مدرسة الفاروق لتحفيظ القرآن الكريم، وإمام مسجد الذهبي - كريتر - عدن.

المؤرخ سعيد عوض باوزير حينما كان تلميذاً بمدرسة الجالية العربية بأسمر عاصمة أرتيريا في كل لقاء أجمع به ، وقد صرح لي مرة بحديثين مهمين ، وذلك وفاءً وحباً واعتزازاً لشيخه باوزير أوردتهما هنا للعلم والتاريخ وهما :-  
١- أتذكر أنه في تمام الساعة الحادية

عشرة في صباح يوم من أيام عام ١٩٤٨م ونحن تلاميذ بمدرسة الجالية العربية الابتدائية والإعدادية الثانوية ، بأسمر الجميلة عاصمة أرتيريا ، وكان أستاذنا الجليل فضيلة الشيخ المؤرخ المشهور سعيد عوض باوزير يلقي علينا درساً في علم " التجويد " ، وبمجرد انتهائه من الدرس طلب التعرف علينا وكان معظم تلاميذ الفصل من اليمنيين ، وكنا نحن الطلبة أيضاً غاية في حب التعرف على هذا الأستاذ الجديد القادم من حضرموت وهو الأستاذ اليمني الوحيد من بين الأساتذة المصريين والسودانيين في المدرسة .

وتحدث الأستاذ سعيد عوض باوزير رحمه الله وذكر لنا أن له ابناً اسمه أمين سعيد عوض باوزير وأن عمره عشر سنوات وقد فارقه وفارق الوطن من أجل العلاج وكان في حديثه نبذة حنين وشوق ودعا لأمين ولنا جميعاً بالتوفيق والنجاح في الدراسة .



كان له نشاط في رئاسة الجالية العربية بأسمر - أرتيريا وأصبح رئيساً للنادي الثقافي العربي بها عام ١٩٦٢م . كان يرأس الصحف اليمنية من أسمر بأخبار الجالية العربية - وعلى الأخص المغتربين اليمنيين من عام ١٩٥٣م حتى ١٩٦٩م وعلى الأخص صحيفة ( النهضة العدنية ، الطليعة والرائد الحضرمية ) .

أسهم في تأسيس السفارة اليمنية بأديس أبابا عقب استقلال جنوب الوطن عام ١٩٦٨م ، رأس وفد الجالية اليمنية في أثيوبيا ، و شارك في أول مؤتمر للمغتربين بعدن والذي عقد في أغسطس عام ١٩٧٠م - وعاد إلى الوطن عام ١٩٧٠م ، وكانت له إسهامات طيبة في مساعدة المغتربين اليمنيين في المهجر .

شارك في كثير من المؤتمرات والندوات للغرف التجارية والصناعية والزراعية ، الإسلامية والعربية التي عقدت في كثير من بلدان العالم ، وأبرزها ندوة حول العلاقات المصرية اليمنية للمسلم والتضامن التي عقدت بالقاهرة في ١٢ - ١٣ ديسمبر عام ١٩٩٨م وكذا في مؤتمر الغرفة الإسلامية في إسطنبول بتركيا عام ٢٠٠٢م رئيساً للغرفة التجارية الصناعية في عدن ورئيساً للجنة التحكيم في الغرفة .

رأس وفد رجال الأعمال اليمنيين بالندوة التي عقدت في جدة من ٤ - ٥ يناير ٢٠٠٤م ، نائب رئيس الاتحاد العام للغرف التجارية الصناعية اليمنية للتجارة / صناعاء وعضو مجلس إدارة الشركة اليمنية للأسماك والأحياء البحرية ، ترأس الوفد اليمني الزائر لأثيوبيا خلال الفترة ٢٥ - ٢٩ يوليو ٢٠٠٥م ، شارك بورقة عمل في ندوة العلاقات المصرية اليمنية في القاهرة عام ٢٠٠٦م ، ترأس الوفد التجاري إلى البحرين عام ٢٠٠٨م .

كان يحدثني - دائماً - عن أستاذه و شيخه





## من قيادات حركة القوميين العرب والجبهة القومية بحضرموت

# فيصل علي العطاس (النعيري)

## في حديث خاص أوصى أن ينشر بعد وفاته



### أجرى اللقاء : مجدي سالم باحمدان

تمر بنا السنون.. وتتخاطفنا أيدي المنون.. فتتابع اللحظات.. وبينها سادت وبادت حضارات.. وعلى مسرح الزمن.. برزت وجوه على حين غرة غيرت ملامحه تارة إلى الفرح وأخرى إلى الحزن.. فكان منهم رجال ادركوا لوبي السياسة ما ظهر منها وما بطن.. فساروا في دهاليزها بكل جرأة ووقاحة فلنا منهم أنها فن.. وآخرون انطلت عليهم الدسائس والفتن.. فجروا إلى متاهات الغبن.. وغيرهم من باع نفسه ووطنه وأهله بأبخس ثمن.. ولكنهم لم يستلذوا بطيب الوسن.. وتلاحقتهم الويلات واللعن حتى داخل اللحد والكفن.

لا يزال تاريخ حضرموت السياسي الحديث والمعاصر حتى اللحظة حبيس الصدور وذاكرة الأذهان.. ولم تنطق به اللسان بكل جلاء وبيان، رغم وجود صانعي هذه الأحداث السياسية بين ظهرانينا، وكأنها أجمت بلجام صلد لم يستطع أحد فك وثاقه، وسبر أغوار هذا الظلام التاريخي الدامس الذي جثم على تاريخنا وكاد يطمس هويتنا في حاضرنا ومستقبلنا..

هل حافظ وجود هذه الشخصيات على قيد الحياة لتوثيق التاريخ السياسي والعسكري هو ذاته يكون العلة في عدم التوثيق وهذا الصمت الرهيب؟؟ إلى جانب وجود بعض من هذه الشخصيات في مراكز القوى والسلطان وتمتعها بنفوذ يخرس اللسان!!.. وتقييمها الموضوعي الدقيق المتعمق في تحليل الوقائع والنتائج خاصة بعد مضي هذه الفترة التاريخية واستنتاجها أنها ظلمت وحطمت مستقبل الأجيال اللاحقة بما قامت به من أعمال ونشاطات غير محموددة نتائجها في الوقت الحالي كما أشار لي أحد من هؤلاء صانعي التاريخ السياسي الحديث لحضرموت.. ففضلت أن تدفن هذا التاريخ معها في الأكفان ويرمى في زوايا النسيان.

((حضرموت الثقافية)) ضمن توجهاتها في توثيق ونشر تاريخ حضرموت تواصل سلسلة نشر اللقاءات الوثائقية مع شخصيات صنعت وعاصرت جل هذه الأحداث في التاريخ الحديث والمعاصر وليس حباً لهذه الشخصيات المتعددة أو مجاملة لها، ولكن لتسهم بشكل محايد ومستقل في إعادة صياغة هذا التاريخ بشكل صحيح دون تزييف وتلميع لأي أحد كان. وهي تعطي في الوقت نفسه فرصة الحديث بكل أمانة ومصادقية دون أي تدخل منها وتلاعب بالحقائق، ولا تقصد بذلك الإساءة إلى شخص أو أشخاص أو جهة بعينها، وتفتح لها المجال للرد والتوضيح.

أجرى هذا اللقاء مع الأستاذ/ فيصل علي العطاس "النعيري" - رحمه الله - في منزله بصنعاء على مدى ثلاثة أيام متتالية، حيث تمكنت من التواصل معه وإقناعه بعد عدة اتصالات بإجراء هذا اللقاء، فدخلت منزله بعد الوصول إليه بعناء ومشقة، وكان العطاس متحفظاً في بداية اللقاء عن الحديث العميق لتاريخ حضرموت خلال مرحلة النضال الثوري لدرجة كبيرة، بدأ فيها بالحديث الفرعي دون الخوض في أية تفاصيل، وماهي إلا ساعة ونصف من الزمن حتى استدرك أهمية اللقاء لتوثيق تاريخ نضاله السياسي فقال لي بالنص: ((يا ابني هذا تاريخ ناطق وشاهد لكل عصر باتكلم معاك بصراحة ولكن على شرط وفي وجهك أن لا تنشره إلا بعد وفاتي)) ووعده بذلك، وقد تهيأت لنا الظروف لمواصلة هذا اللقاء على مدى ثلاثة أيام متواصلة لم يفصلنا فيها غير ساعات الصلاة وتناول الوجبات والنوم والخروج للسوق لشراء البطاريات وأشرطة الكاسيت كلما انتهت، لم أصدق نفسي أنني دخلت بيته - رحمه الله - مساء يوم الثلاثاء ٢٥ يوليو وخرجت منه مساء يوم الخميس ٢٧ يوليو ٢٠٠٠م. وكانت هذه الحصة التي خرجت بها:





53

العدد (4)  
أبريل  
يونيو  
2017م



فيصل الحطاس يلقي كلمة

هذا النجاح الذي حققناه لم يرض رابطة أبناء الجنوب العربي، وقد ارتكبت خطأ في مواجهتنا الحزبية، فقد استخدمت العنف ضدنا وأطلقت الرصاص في سيئون على الطلبة، وقمنا بمظاهرة استنكار في

نطاق المدرسين كونهم منتشرين في كل مكان خاصة الأرياف ولهم تأثيرهم على المجتمع، فقد كانت البلاد صغيرة وأهلها بسطاء ولم يكونوا بمستوى التفكير الإنساني الواعي الحالي، ولم يكن هناك أي

## ساعدنا في انتشار التنظيم ومن ثم الجبهة القومية في حضرموت من خلال الهيئات العامة من اتحاد النقابات والجمعيات واتحاد الطلبة

المكلا، والقوا قبلة على الطلاب عندما مرت هذه المظاهرة تحت مقر الرابطة، وقد كانت هذه القبلة التي فجرتها الرابطة هي القبلة التي أنهت وجود الرابطة.

كذلك كان البعثيون - حزب البعث العربي الاشتراكي - وهم على علاقة بالجمهورية العربية اليمنية، كانوا يشكون في عملنا، وقد كانوا من فئات يمكن أن نسميها أرسقراطية، ولذلك كانوا بعيداً عن المجتمع وعن طبقة الفقراء بالذات، ونحن كنا بعكسهم مندفعين اندفاعاً قوياً نحو فئات المجتمع، ولذلك توسعت قاعدتنا وجمهورنا تعاضم.

•.....؟

- كنت الناطق باسم التنظيم في حضرموت، وعضو القيادة العامة لتنظيم الجبهة القومية، وفي المؤتمر العام الثالث المنعقد بمنطقة خمر يناير ١٩٦٥م في الضالع أوكلت إلي في حضرموت عبر تنظيم حركة القوميين العرب كل المهام المتعلقة بإدارة العمال ونقاباتهم وأصبحت الأمين العام لاتحاد النقابات في



الحطاس وبجانبه سالمين

تعصب للدولة أو القبيلة أو تعصب حزبي، ولم يرتبطوا بأي مصالح اقتصادية كبيرة معها، فقد كانوا موظفين من مشارب مختلفة، وكان الناس فرحين بحركة المد القومي العربي وعلى أمل تحقيق الوحدة العربية، وكان ذلك متوافقاً مع حركات التحرر الوطني العالمية، فقد مثلت تلك عوامل مساعدة لنجاح الجبهة القومية واندفاع قوة التيار القومي والتفاف الناس حولها في حضرموت بشكل خاص. وقد طالبنا لهم ببعض المطالب مثل رفع الأجور لعمال الدولة والميناء وتنفيذ الإضرابات، وقد اعتبر هذا مكسباً كبيراً.

انتشار التنظيم ومن ثم الجبهة القومية في داخل حضرموت من خلال الهيئات العامة من اتحاد النقابات واتحاد الطلبة وجمعية الصيادين - المكلا وجمعية المزارعين بغيل باوزير، حيث بذلنا جهوداً غير عادية في إنشاء هذه النقابات، وكانت رابطة أبناء الجنوب العربي تنافسنا في الأرياف، فقد كانت لديها إمكانات مادية كبيرة، ولكن بفضل العمل السياسي المنظم استطعنا أن نحول حضرموت إلى هذا الاتجاه الذي كنا نريده عبر الطلبة ونقابات العمال، وكانوا يختارون لنا بعض السياسيين الواعيين، وقد توسعنا في

•.....؟

- بدأت العمل السياسي من خلال الالتقاء بحركة القوميين العرب عندما كنت طالباً في كلية عدن حوالي عام ١٩٥٩م، ومن ضمن القيادات العليا في هذا التنظيم علي السلامي، طه مقبل، عبدالله عبدالرزاق باذيب، فيصل عبداللطيف الشعبي، سالم زين، وكان من هذه القيادات من هم أعضاء في حزب رابطة أبناء الجنوب العربي، وانفصل منهم الكثير عن التنظيم وبدأوا يشكلون تنظيمات مستقلة، وفي حضرموت بدأت الحركة الفعلية في أواخر الستينيات.

سافرت إلى المملكة العربية السعودية في بداية ١٩٦٢م، وعدت إلى الحديدة قبل بداية الثورة ٢٦ سبتمبر، والتقيت بأعضاء التنظيم، ولم يخبرونا بما سيتم عمله في الفترة القادمة، ولكن من خلال الاستعدادات أدركنا أنه سيكون هناك شيء كبير وبعد عدة أيام قامت ثورة ٢٦ سبتمبر.

كانت كل قيادات تنظيم حركة القوميين العرب في الجبهة القومية، وقد ساعدنا في





54

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م



المكلا .. وقد اتشحت بعلم الجبهة القومية عام ١٩٧٦م

**" شعرت منذ الاجتماع  
الأول للقيادة العامة  
للجبهة القومية في عدن  
عند تشكيل الحكومة  
أننا غلطنا، وسلاطيننا  
كانوا أفضل من غيرهم،  
ولدينا نظام ممتاز "**

**" لحضرموت دور كبير  
في تقرير مصير الثورة  
ونظام الحكم وهي التي  
حسمت الموقف وعززت  
الجبهة القومية "**

**كان للنساء دور في  
نشاط الجبهة  
القومية في  
حضرموت.**

ساعدتنا جملة من العوامل، منها أولاً عدم وجود أي نوع من العصبية للحكام، وثانياً أنهم كانوا غير موجودين أساساً فمعظمهم خارج البلاد، وثالثاً أن السلاطين وقيادات السلطنة كانت مسلمة بالأمر الواقع وليس لديهم أي قوة عسكرية كبيرة، فقد كانوا بسطاء في حياتهم، ورابعاً حتى إن كان لديهم أي قوة فالوقت لم يعد يسمح لهم بأي محاولات للوقوف ضد تيار الجبهة القومية والمد القومي، فكانت الثورة كالطوفان لا يمكن لأحد الوقوف ضده، خامساً العمليات المسلحة التي قام بها بعض الثوار بعد إصدار منشور إعلان الكفاح المسلح بحضرموت تقريباً في منتصف شهر أبريل ١٩٦٧م وقد قمنا بالعديد من العمليات العسكرية لا أتذكرها جميعاً وكان منها عملية هجوم على المراكز البريطانية وعملية هجوم على البنك الشرقي المحدود للحصول على تمويل ولكنها فشلت لتسرب الخبر بشكل أو بآخر، وفي مطلع شهر مايو ١٩٦٧م تم هجوم مسلح

حضرموت، وقد جاء مؤتمر خمر لتبرير الجبهة القومية التوحيد القسري لها مع جبهة التحرير الذي جاء وفقاً لتوجيهات القيادة المصرية، بعد المؤتمر توجهت إلى مصر وكان الغطاء الأول لهذه الزيارة هو استقدام محامين للترافع ضد الرابطة في حادثة القنبلة، والغطاء الآخر هو حضور مؤتمر اتحاد نقابات العمال في الدول العربية بصفتي أميناً عاماً نقابات عمال حضرموت، وقد القيت فيه كلمة عن حضرموت ولأول مرة كان يتم التمثيل لها في هذا الجانب، وفي الحقيقة كان الهدف الرئيس هو حضور لقاءات سرية خاصة بتنظيم حركة القوميين العرب في مصر.

من الناحية السياسية في حضرموت كنا مسيطرين على الوضع فيها، ومن حيث الكفاح المسلح فيها فقد بدأ متأخراً عن غيرها، كانت عمليات ناجحة في إثبات تقرير المصير، وكان لحضرموت دور كبير في تقرير مصير الثورة ونظام الحكم، حيث كان هناك مؤتمر في القاهرة ورضي أعضاء الجبهة القومية أن تكون هناك حكومة انتلافية مع جبهة تحرير الجنوب المحتل، وقامت حول ذلك حرب أهلية داخل عدن وحسمتها الجبهة القومية لصالحها، لكن الحسم النهائي كان باستيلاء الجبهة القومية على السلطة في حضرموت الذي كان أمراً مدوياً في التاريخ، فانهارت جبهة التحرير والرابطة وخابت آمالهم، وذلك لما تمثله حضرموت من أهمية اقتصادية وسياسية واجتماعية كبيرة، فهي المركز الجغرافي المهم ويوجد بها المغتربون في مختلف المناطق منها المملكة العربية السعودية وشرق آسيا وإفريقيا وغيرها.

•.....؟

- كان إسقاط حضرموت بهدوء تام، وقد



مظاهرة الطلاب

شير  
alwsta.com





55

العدد (4)  
أبريل  
يونيو  
2017م



محمود صقران وعن يمينه قحطان الشعبي وعن يساره سالم تومه

بالأسلحة الثقيلة والخفيفة والمتوسطة على منازل الضباط البريطانيين بالمكلا- في التربية والمحكمة قديماً بجانب السيد السينما- وإطلاق النار على منزل السيد عبدالرحمن داؤد الجيلاني في ١٨ أغسطس ١٩٦٧م، وقد كانت مجرد تهديدات فقط ولم يصب بأي أذى، وفي اليوم التالي ١٩ أغسطس تم نسف مركز الشرطة في حي باعبود بالشرح، وفي ٢١ أغسطس تم نسف بيت المدعو عبدالله سالم باعشن، وكذلك ضرب سالم بن عاشور المهري كونه متعاون مع البريطانيين، وقد جاء إلى المكلا للتنسيق مع السلطنة القيعية لإعلان دولة اتحاد حضرموت والمهرة، كما استغلنا إفشال الكثير من المؤتمرات التي قام بها زعماء القبائل في مختلف أنحاء حضرموت للوقوف ضد الثورة.

## أول منطقة تنزع ولاء الطاعة عن السلطنة القيعية هي وادي عمد

مراسيم العزاء، وفي الصباح الباكر وصلت الرسل إلى المنطقة تطلب من مقادمة القبيلة الحضور إلى القائد للتفاوض، فقلت لهم سوف يزجون بكم في سجن المنورة، وطلبت الدعم والتأييد المعنوي من أخوالي في قرية نعيم لدى قبيلة شملان وكانت تربطنا بهم علاقات مصاهرة، وقمنا بمساعدة الإخوة المدرسين الموجودين بالمنطقة بطباعة منشور نعلن فيه تمرد قبيلة الجعدة من آل بن شملان على السلطنة وإعلان انضمامهم إلى تنظيم الجبهة القومية وتوزيعه في

بالشال مع المواطنين الذين خرجوا لسقي الأرض بعد وصول سيل صغير وإذا بنا نسعى إطلاق النار بكثافة من قبل آل بن شملان والجنود وكان موجوداً معهم القائد ناصر عوض البطاطي قائد الشرطة العسكرية القيعية الذي نصب كميناً لآل شملان وقتل منهم عمر بن عوض،

قبل بدء العمليات العسكرية اختفيت من المكلا وتوجهت إلى قريتنا (النعير) بحريضة حيث صدرت أوامر من السلطنة باعتقاله بسبب توزيع منشورات والالتقاء بالقبائل والشباب لتحريضهم وتدريبهم على السلاح، وقد نقل هذه المعلومات عني مركز حريضة وعمد، وقد فاجأني الشرطة منهم حوالي ١٢ نفرًا ومعهم أمر اعتقاله، فطلبت منهم أن أحضر بعض الملابس من البيت ورافقوني إلى بوابة البيت حيث دخلت وقمت بالهروب من الباب الخلفي وتوجهت إلى عمد، في هذه الأثناء حدثت حادثة استغليتها حادثة أن قام أحد العسكر بقتل شخص يدعى باحافظ العيسوي وهو من قبيلة آل شملان بالخطأ حيث كانوا يظنون أنه هارب من العدالة، وقام أهل القتل بالتربص بالعسكر للأخذ بالثأر-على طريقة القبائل الطارف غريم-، وفي مساء هذه الليلة خرجت وأنا متخفي

## سقوط المكلا كان بعد التأثير الذي حدث في الوادي بسقوط لواء القطن

القرى المجاورة وسيئون كونه لا توجد أية مطابع. وكانت أول منطقة تنزع ولاء الطاعة عن السلطنة القيعية هي وادي عمد دون غيرها من المناطق والقبائل الأخرى، وهذا للأمانة التاريخية. وقد كان لهذا الحدث أصداء كبيرة على مستوى القيادة العامة في عدن وحضرموت، وساعد على رفع الروح المعنوية للكثير من الشباب الذين توافدوا للانضمام للجبهة القومية. وفي الصباح خرجت من المنطقة إلى سيئون، وقد قمنا باستخدام النساء

فتوجهت إليهم وقتلت لهم إن الشرطة سوف تقوم الصباح بتطويق المنزل والمنطقة، واقتربت عليهم إعلان انضمامهم للجبهة القومية على أن نحسب هذه العملية من نشاط الجبهة القومية، وقالوا سنناقش هذا الأمر بعد

## عاد السلاطين في سبتمبر ليعلنوا اتحاد دولة حضرموت والمهرة





56

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م



**" بسبب موقف من  
السياسات المتطرفة تم  
الزج بي في سجن المنورة  
وأُقصيت من منصب  
في القيادة الوطنية  
للجبهة القومية  
ومجلس الشعب الأعلى "**

**" كنا نفتقد إلى الخبرة  
السياسية وتعاملنا مع  
الأمر بحسن نية ولم  
يكن لدينا تحليل  
متعمق لما ستكون عليه  
الأمر ومع من نتحد "**

**" أوقفنا صرف أي مبالغ  
من البنك الشرقي  
المحدود بحضرموت إلى  
القيادة العامة للجبهة  
القومية بعدن "**

وتوافدوا إلينا لتأييد هذه الخطوة، وبعدها قامت الحامية العسكرية القيعية بالقطن بإبلاغ القوات بالمكلا بما حدث فقالوا لهم سلموا القطن، وأمام هذا الموقف ارتأت القوات العسكرية بالمكلا تسليم السلطنة دون أية صراعات ومصادمات عسكرية، فسقطت القطن ومن ثم المكلا في اليوم التالي ١٧ سبتمبر ١٩٦٧م، ولذلك يمكننا القول إن سقوط المكلا كان بعد التأثير الذي حدث في الوادي بسقوط القطن. وفي المقابل كان هناك تحرك للثوار في حجر حيث قام الأخ خالد باراس بمحاصرة القائد العسكري بلواء حجر والسيطرة التامة عليها.

• .....؟

- لم يكن هناك أي تنسيق بيننا في هذه المواعيد والخطط الزمنية فلم تكن هنالك أية اتصالات، فقد كان كل يعمل في برنامجه، وقد خدمتنا الظروف وتوافقت الصدف في ذلك، إضافة إلى ذلك كان السلاطين على موعد في الوصول إلى المكلا على الباخرة قادمين من المملكة العربية السعودية، وقد تم الاتفاق مع الملك فيصل بن عبدالعزيز على أن يقوموا بإعلان دولة حضرموت والمهرة عند وصولهم، وبعد تحرك الباخرة احتج اللورد شاكلتون الذي كان يدير مفاوضات جنيف بين بريطانيا والجبهة القومية على تصرف الملك فيصل وقال له لقد تم الاتفاق مع حلفائنا وأعضاء مجلس الأمن، على أن تتولى الجبهة القومية السيطرة على البلاد وانتم تريدون إقامة دولة حضرموت والمهرة.

أرسلت في صباح اليوم التالي ١٦ سبتمبر

للاستطلاع عن وجود أي جنود في الطريق، وهي أول مرة تستخدم النساء في نشاط للجبهة القومية في حضرموت.

من العمليات العسكرية التي تمت في عمد هي تنفيذ عملية تفجير كبرى في منزل قائد عسكري في مركز عمد، قام أبناء المقتولين العنيسي وابن عمر بن عوض بن شملان وخميس جوفان وهو من آل شملان وكان معهم أخي طارق وقد حرصت على أن لا تصاب كامل الأسرة بالعبوة الناسفة التي صنعتها بنفسي، وقتلت لهم أن يضعوا العبوة في باب البيت، وهذا الديناميت الذي توافر لنا قامت والدته الحاج صالح باقيس بنقله على رأسها من قرية زاهر إلى قرية النعير.

توجهت إلى سينون لإسقاط مناطق أخرى بحسب الخطة المرسومة لدينا والاتفاق مع القيادة العامة عليها بالضرب في مناطق الضعف تدريجياً وصولاً إلى الأقوى، وكان لدى أصحابنا الثوار في سينون (سالم تومة ومحمود صقران ومحمود مدحي) سلاح من النوع الثقيل، وقد صادف وجود مجموعة من البريطانيين وصلوا إلى مطار سينون للإشراف على سحب المعدات الثقيلة للشركات الموجودة فيها، وفي العصر نزلوا يلعبون كرة قدم في الملعب، فاتفقنا على أن يقوم الإخوة محسن باقيس وعلي العوش وابن سعدون وأنا بعملية هجوم بالقناصة على هؤلاء الجنود، لكن هؤلاء الجماعة رفضوا - بحسب تكوينهم النفسي الداعي إلى الخوف - وقد كانوا خائفين أيضاً من أن نقوم بأي تفجيرات في سينون، فقلت لهم ليست هناك أهداف مدنية وأنا سوف أنفذ العملية، واتجهنا إلى القطن لإحضار السلاح وكان عدد اثنين مدافع بازوكا وآر بي جي وعدد من الأسلحة الخفيفة، وسبقنا محمود صقران وسالم تومة إلى الأخ طالب سالمين لرضي وهو الشخص الذي لديه السلاح، وقد كانوا متخفين بلباس نساء، وصادف خلال وجودنا في القطن زواج لقبيلة نهد وكان حاضراً مقدمة القبيلة، فقمنا بالقاء خطاب في الزواج أعلننا فيه أن الجبهة القومية ستقوم يوم غد بالاستيلاء على القطن وكان ذلك تقريباً تاريخ ١٥ سبتمبر ١٩٦٧م، وقد وجدنا ترحيباً كبيراً من قبل المواطنين





57

العدد (4)  
أبريل  
يونيو  
2017م

فهي مرفوضة، ولا نريد أحداً يحكم مكانك ولا نريد فوضى في البلاد، فلماذا تقدمها؟ فأنت وزير تركك السلطان، والسلطنة لا زالت قائمة، ونريد أن يتم انتقال السلطة بهدوء دون أية فوضى، والثورة هي التي تقرر متى يكون ذلك، وتم ترشيحي لإدارة الاجتماع، وقد قمت باختيار السكرتارية لتسجيل المحضر واخترت محمد عبد القادر بافقيه وخالد محمد عبد العزيز، وخرجنا بالقرارات المشهورة وأبرزها يقر المؤتمر أن الممثل الشرعي الوحيد لشعب الجنوب اليمني المحتل هو الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل وعلى بريطانيا أن تتفاوض معها من أجل الاستقلال، وأن تعقد مؤتمرات في كل الأولوية على غرار هذا المؤتمر، وشكلنا الوفد الذي سينزل معنا برئاسة وزير السلطنة، وفعلنا نزل معنا إلى لوائي الشحر وحجر، وعقدنا المؤتمرات في كل الأولوية ووافقوا على القرارات المتخذة. هكذا ارتفعنا بالعمل السياسي وقطعنا الطريق على أي جهات أخرى لديها تفكير آخر.



فيصل في السيارة

لنعد ونستكمل حديثنا تحركت من القطن إلى حورة تحسباً لأي خروقات وأحداث طارئة وتم الاتصال بالأخ عبد الله عبد الكريم الملاحي وهو المسئول التنظيمي بمنطقة حورة وفي الوقت نفسه يعمل مديراً لمدرسة حورة لتهيئة الأمور فيها وإشعار الناس بقدوم الجبهة القومية والتقينا بالقبائل هناك من آل نهد وآل بن مخاشن وآل باربع وغيرهم، وتمت السيطرة على الحصن ومركز الشرطة بعد المغرب، وصافد في هذا اليوم وصول قائد الشرطة بالنيابة قادماً بسيارته من المكلا لتفقد الأوضاع في المنطقة، فسلم نفسه

النقابات) وقد استعدينا وطلبنا من شبابنا إحضار أكبر عدد ممكن من الجماهير، وجاءت إلينا هذه الأفواج من الشحر، وغيل باوزير، والحامي، والريدة وفوه وبروم إضافة إلى المكلا، حيث اتجهت هذه المسيرات إلى قاعة الاجتماع في المكتبة السلطانية، وقد اكتظت الأسواق والشوارع بالجماهير ولم يستطع الوزير والقادة العسكريون الذين معه الحضور مبكراً ووصلوا والكثير منهم ثيابهم ملطخة

## لم أكن راضياً عن هذه الانتفاضة وسرقة المكائن على الصيادين

بالدما، حيث تم إلقاء الحجارة عليهم، ولم تستطع القوات العسكرية البريطانية الوصول إلى الموقع من كثرة الجماهير، وقد كان الرمي بالحجارة بشكل عفوي لم نخطط له، ولكنها نفعتنا، كانت الجلسة مخططاً لها أن تكون علنية حيث تم وضع

رسائل إلى نواب الأولوية ومن ضمنها لواء شهاب سالم عبد الله مخاراش كتبت قلت له: ((الشيخ سالم عبد الله مخاراش نائب لواء شهاب المحترم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، المطلوب وصولكم إلى حيث يقودكم الرسول للتفاهم معكم في أمر عاجل غير قابل للتأجيل.. التوقيع فيصل العطاس عضو القيادة العامة للجبهة القومية))، ووصل إليه الرسول فقال له إن السيد فيصل العطاس كنت مدرساً له في

غيل باوزير، وأرجو أن تعودوا إليه وتقولوا أن لا يسمح لي بالقدوم بحراسة حفظاً لماء الوجه، ونحن ليس لدينا أي مانع ونرحب بالجبهة القومية، وأنا قبيلي ولا أرضي بالقدوم بهذه الوضعية كأنني مسجون، وفي الوجه باجي عندكم، فقلنا للرسول ارجع وقل له أهلاً وسهلاً بك أنت وأي حراسة معاك، وإذا تفضلت خل القيادة حق الحامية يجون معاك لأنكم ناس واعون، ففرح بهذا الترحيب وحضروا إلينا جميعاً، ولما وصل وجد القبائل كلها متجمعة بأسلحتها ورأى الأسلحة الثقيلة التي لدينا، فادرك قوة الثورة وقدرتنا على السيطرة على الجماهير وتحريكها متى شئنا. وفي ختام اللقاء قرر العودة إلى منزله بالشحر وطلب مني أن أكتب له ورقة حتى لا يعترضه أي أحد في الطريق، وكان له ذلك. والشيء بالشيء يذكر هنا وعوداً على بدء فقد دعا وزير السلطنة أحمد بن محمد العطاس إلى الاجتماع الذي عرف باجتماع المكتبة السلطانية في مارس ١٩٦٦م بوحى من المستشار البريطاني لتقرر حضرموت مصيرها السياسي، فقد عرف الإنجليز حجم ومقدار الحركة الوطنية والمد القومي، وقد بلغ عدد الحاضرين لهذا الاجتماع نحو ٣٥٠ شخصية من قبائل وتجار وشخصيات اجتماعية من مختلف أولوية حضرموت، وكان تمثيل الجبهة القومية بعدد ٩ أشخاص مثلاً (الحزب الاشتراكي، واتحاد الطلبة، وجمعيات الصيادين، والمزارعين، واتحاد





58

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

وسيارته وجعلتها تحت إمرتي كوني كنت بدون سيارة. وبعد ترتيب الأمور فيها اتجهت إلى منطقة بحرة، ومن ثم إلى حريضة وبعدها وادي عمد وأقمنا اجتماعاً كبيراً فيها، ثم رحية، وكانت سيئون آخر منطقة نسقطها، وذلك لأننا أنشغلنا بالمناطق الغربية خوفاً من انخداع القبائل من قبل أي جهة أخرى، وفعلنا فقد قامت قبائل الصيغر بتطويق حصن العبر، ولكنهم انحازوا في الأخير إلى الجبهة القومية لما وصلنا إليهم، وكذلك بالنسبة للقبائل في العبر وشبوة، فقد تحسبنا أن يكون هناك تحرك خارجي من قبل دولة أخرى وتبسط يدها على هذه المناطق، وبالتالي تحركنا بسرعة وقاد العملية الإخوة خالد باراس، وحاج صالح باقيس، وكان ذلك بعد أسبوع من الاستيلاء على المكلا.

توجهنا بعد ذلك إلى سيئون لتثبيت الأمر للناس هناك، وفي منطقة سلمون قامت بعض القبائل بإطلاق النار علينا لعدم معرفتهم بنا وظنونا من القبائل الأخرى، وقد كنت أنا في اجتماع مع المقدم، وكان معي الأخ سالم الكندي الذي تعين لاحقاً محافظاً لحضرموت، ثبتنا الأمور في هذه المنطقة، وشكلنا لجنة في مركز رحية ورفعنا أعلام الجبهة القومية، وتوجهنا بعدها إلى القطن وبعدها شبام التي أقمنا فيها مهرجاناً وكان ذلك يوم جمعة، وقد كان هناك خوف فيها من قبل المجتمع، وذلك لأنه لما نزلنا إليها بعد قرارات المكتبة الشعبية رفضوا أن ينعقد أي مؤتمر في شبام، ذهبنا إلى المسجد وسمعت شخصاً قام يتحدث باسم الدين إلى المصلين وينصحهم منا على اعتبار أننا اشتراكيون وشيوعيون وكفار ومدعومون من الخارج وحذر المجتمع من تأييد الجبهة القومية، ولم يعلم بوجودي في المسجد، فقامت وتحدثت إليه والمصلين وهددتهم أنه من لم ينصع للتعليمات سوق يعاقب. والحمد لله استقرت الأمور وعقدنا مهرجاناً احتفالياً، ثم توجهنا بعدها إلى سيئون ودخلناها بالزوامل والهتافات وأصدرنا منشوراً بالاستيلاء على سيئون، وتوجهنا بعدها إلى تريم ووصلناها في المساء وكنا حريصين على رفع الأعلام على المصالح

قرار جمهوري رقم ٨٧ لعام ١٩٧٠م

بشأن تعيين محافظ للمحافظة الخامسة

باسم الشعب،

رئيس مجلس الرئاسة،

بعد الاطلاع على قرار القيادة العامة للجبهة القومية رقم ٧ لعام ١٩٦٩م،

الصادر بتاريخ ١٥ ربيع الثاني ١٣٨١هـ الموافق ٣٠ يونيو ١٩٦٩م،

وعلى المادة ٤ من قانون نظام الإدارة المحلية رقم ١٢ لعام ١٩٦٨م،

وبعد موافقة مجلس الرئاسة،

أصدر القرار التالي :-

المادة ١ : يعين الأخ فهد العطاس محافظاً للمحافظة الخامسة.

المادة ٢ : تلغى المادة الثانية من القرار الجمهوري رقم ١١٦ لعام ١٩٦٩م.

المادة ٣ : يعمل بهذا القرار من حين صدوره.

المادة ٤ : ينشر هذا القرار في الجريدة الرسمية.

سالم ربيع طلي  
رئيس مجلس الرئاسة

صدر في ٣ رمضان ١٣٩٠م  
الموافق ١ نوفمبر ١٩٧٠م

## أول عمليات الاغتيالات كانت اغتيال عمر عبدالودود وتوالت بعدها سلسلة الاغتيالات والإرهاب في حضرموت

الحكومية كافة، إلى جانب عدم اطلاق النار لمعرفتي الشخصية بنفسيات أفراد المجتمع وتكويناتهم، وفي صباح اليوم التالي توجهنا إلى دمون.

من أهم ما قمنا به في سيئون بعد الاستيلاء عليها هو القضاء على المصانع المحلية لإنتاج الخمر، ولم نقم بمعاقبة أحد من أصحابها واكتفينا بأخذ تعهدات كتابية عليهم بعد العودة إلى ذلك العمل مجدداً.

.....؟

- الذين قاموا بالاستيلاء على المكلا هم الإخوة خالد عبدالعزيز، وسعيد العكبري، ومحسن باراس، وسالم باعلوي، وعبدالرحيم عتيق، وسالم الكندي وكان ذلك مساء ليلة ١٧ سبتمبر ١٩٦٧م، وكان خروجهم إلى عرض البحر لملاقاة السلطان في السفينة مجرد تحصيل حاصل كون القادة العسكريين قد سيطروا على البلاد، فكان نزولهم إلى سفينة السلطان مجرد إشعار فقط وحتى لا تكون هناك أي فتنة أو تعصب قبلي من قبل قبائل آل يافع وآل كثير، وقد أشعروا القيادة العامة للجبهة القومية بذلك، وأكدوا لهم أن سلاطين حضرموت ليس بيدهم أي شيء من السلطات والصلاحيات فقد كانت الصلاحيات لوزارة السلطنة والمجلس الأعلى للقضاء، فالسلطان كان مجرد رمز،

الذي قام بالاستيلاء  
على المكلا الإخوة خالد  
عبدالعزیز، وسعيد  
العكبري، ومحسن  
باراس، وسالم باعلوي،  
وعبدالرحيم عتيق،  
وسالم الكندي وكان  
ذلك مساء ليلة ١٧  
سبتمبر ١٩٦٧م.





59

العدد (4)  
أبريل  
يونيو  
2017م

حدث انقلاب ٢٠ مارس وكنت حينها في سيئون معي وفود من القبائل للنزهاء بعد الجهود التي قاموا بها معنا خلال مرحلة التحرر حتى النصر، وبعد أن علمت به توجهت إلى السكرتارية وأصدرت بياناً أعلنت فيه المقاومة الشعبية وإعلان فيصل العطاس مسئول أول سياسياً وعسكرياً في حضرموت، وجاءتني في اليوم الثاني الاعترافات من القبائل والهيئات بتأييد ذلك البيان الذي أصدرته، وقمت بتسليح القبائل ومجاميع كبيرة لأنني

الأخير إلى انقلاب ٢٠ مارس الذي قام به قادة الجيش الذي خلفته لنا ببريطانيا. وبسبب موقف من هذه السياسات المتطرفة منعت من حضور المؤتمر الرابع للجبهة القومية وحاولوا إقصائي من منصب في القيادة الوطنية للجبهة القومية في حضرموت لما قمت به من إجراءات لم ترق للقيادة العامة في عدن مثل تكوين جيش حضرموت الشعبي، حيث قمت بتسليح اللواء ٣٠ الذي كان يسمى سابقاً جيش البادية، ودمجت جميع

فعلًا سلاطيننا كانوا أفضل من غيرهم، ويختلفون عن جميع سلاطين المناطق الأخرى، ولدينا نظام ممتاز. لم تكن هناك بالكلية أي مظاهر مسلحة وهيبة لدخول الجبهة القومية والسيطرة عليها من قبل الثوار، فقد كان الناس صامتين، ولما دخلناها بعد عودتنا من الوادي بنحو عشرة أيام وكان عددنا نحو ١٥٠ جندياً، أقيمت الاحتفالات والزيارات. وبعد يومين من وصولي جاء إلي البعض من الناس وأشعروني أن هناك الكثير من



محمد صالح عولقي



علي عنتر



صالح منصور السيلي



فيصل عبد اللطيف الشعبي



قحطان الشعبي



محمد الشرجبي



أحمد مساعد حسين



صالح باقيس



عوض الحامد



محمد صالح مطبوع

**أعطيت صورة خاطئة عنا لما كان يسمى جيش إنقاذ حضرموت  
بأننا شيوعيون وكفار لا نصلي ولا نصوم ورغم ذلك لم نقم بمعاينة أحد**

تحسّبت لدخول قوة من الانقلابيين لإخضاع حضرموت عن طريق الخشعة - عتق وتحركنا إليها في اليوم نفسه، وصدق حدسي ووصلت في المساء قوة من هؤلاء الانقلابيين يقودهم العقيد حسين الجراي وكان معه نحو أربع مدرعات، وقبل أن تدور أية معارك عسكرية بيننا طلبت منه الحضور ولكنه رفض فذهبت إليه وعرفته عن نفسي وأنا في حضرموت نرفض الانقلاب بكل أشكاله ولدينا قوات كبيرة من الجيش والقبائل للتصدي له في حضرموت، فما كان منه إلا أن أشعر القيادة العامة - بعدن بالموقف والوضع في حضرموت، وبقيتنا في مواجهة هذه القوة عشرة أيام حتى صدرت لهم الأوامر بالعودة، وبعدها جاء وفد إلى المكلا مكون

الوحدات العسكرية بحضرموت جيش النظام والشرطة العسكرية والشرطة المدنية والشرطة المسلحة وجعلنا قادته من رجال الجبهة القومية حيث تولى الحاج صالح باقيس قائداً عاماً وخالد باراس نائباً له، كذلك أكرمنا القادة العسكريين السابقين الذين كانوا في السلطنة القيعية وأحلناهم للمعاش ولم نتخذ أي إجراءات عسكرية ضدهم، فنحن اعتبرنا هذا شيئاً محلياً داخلياً والقيادة اشتاقت غضباً وكانت تريد الأمور تصدر من عندها، فقلنا لهم نحن أسقطنا السلطنة قبلكم وأنا قائد جبهة حضرموت وعضو القيادة التاريخية التي غيرت مجرى التاريخ للجبهة القومية، وتصرفكم هذا إقطاعي ولا يجوز لكم ذلك.

المعتقلين في السجون اعتقلتهم اللجان الشعبية منهم بعض القضاة والقوام في عهد السلطنة القيعية، كما علمت أن القائد ابن سميدع ومحمد عبد القادر بامطرف وبدر الكسادي معتقلون في حجر، واستغربت من هذا التصرف وطلبت إحضارهم إلى المكلا والتوجه بهم إلى بيوتهم ومن ثم مقابلتهم وهم في مظهر لائق غير هذه الحالة التي هم عليها، وأيد كلامي الأخ خالد باراس.

•.....؟

- استقرت الأمور في حضرموت على أحسن ما يكون، إلى أن حدثت الخلافات في المؤتمر الرابع للجبهة القومية في رسم السياسة، وكانت هناك بعض الأمور المتطرفة في الطرح سنة ١٩٦٨م أدت في





60

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م



صورة لحكومة الجنوب بعد الاستقلال

وبالمثل ردوا عليه برسالة اطلعت عليها أنه استناداً للقانون الدولي لا نستطيع تحويل إليكم أي مبالغ مالية. كل هذه الإجراءات اعتبرت القيادة العامة بعدن بمثابة الانفصال وأنا أصبحنا نشكل دولة مستقلة، إضافة إلى برقيات الاستنكار للانقلاب التي بعثناها إلى عدن، فجاء إلينا

وتطاحنات ونزاعات على توزيع الحقائق الوزارية وتقسيم المحافظات، تلاشى التصور الذي كان عندي لقيادة الثورة بعد أن كانت مرسومة لها صورة وردية في خيالي، ففي مثل هذه الحالة كان من المفروض أن يكون لدينا حكم محلي، ولكننا كنا نفتقد إلى الخبرة السياسية.

من ١٤ عضواً من القيادة العامة ليتفاوضوا معنا حول فك الموقف، وطلبوا مجيئي إلى المكلا فاعتذرت خوفاً من أذهب إلى المكلا وتأتي قوة أخرى تحتل سينون، وطلبت حضورهم إلى سينون، وقالوا لي أنت تريد أن تثبت أنك تريد أن تضرب أوامر القيادة العامة، وقالوا لي يجب أن نحل المشكلة في حضرموت، فقلت لهم ليس هناك أي مشاكل عندنا، المشاكل كلها عندهم حلوها أولاً، وتركزت المشكلة بشكل أساسي في ميزانية الجيش وإدارته وتنظيمه بشكل غير الذي وضعته بريطانيا وناقشنا ذلك بالتفصيل، وأقنعناهم في الأخير بذلك، وقال علي عنتر في نهاية اللقاء: ((ما يصلح في حضرموت إلا فيصل العطاس ونحن بانزوح ونعتذر منك)) وأقمنا لهم بعد ذلك مهرجاناً في سينون. وبشكل عام يمكن القول إن حضرموت هي التي أفشلت هذا الانقلاب كما سبق لها تغيير مصير الحكم وحسمه لصالح الجبهة القومية. وللأمانة علي عنتر رغم كل سلبياته إلا أنه وفي لرفاق النضال الوطني.



توقيع اتفاقية استقلال الجنوب

بعد فترة وفد منهم، وقاموا بالتفاوض معي لفك هذا الموقف، وهو ما أحدث نوعاً من التخاذل لدى بعض الثوار عندنا خوفاً من أن تقوم قوة بالهجوم على حضرموت خاصة بعد معرفة ما دار في عدن من معارك وصراعات، وقد أدركت أن السياسة لن تفيد بشيء، ولذلك استندت إلى قوة عسكرية خاصة من الشرطة العسكرية، وقلت لأصحابي إن هؤلاء جبناء ولن قصر سينون وقلت إذا جاء أحد من الوفد يريد دخول القصر قولوا له ممنوع إلا بإذن من فيصل العطاس، وفعلوا كان ذلك وجاؤوا إلي وقالوا ما هكذا تعاملنا فيفصل ونحن أعضاء القيادة العامة، فقلت لهم هذا دليل لأريكم أنني قادر أحكم هذه

• .....؟  
- كذلك كان من ضمن القرارات التي أصدرناها في حضرموت أننا أوقفنا صرف أي مبالغ من البنك الشرقي المحدود بحضرموت إلى القيادة العامة للجبهة القومية بعدن سواء أكانت من رئيس الجمهورية قحطان الشعبي أو وزير المالية، لأننا ندرك وضع ميزانية الجيش بعدن، وخفنا من سحب المبالغ النقدية التي لدينا إلى عدن، وبالفعل حاولوا ذلك، ورد البنك ببرقية لوزير المالية بعدم مقدرتهم صرف أي مبالغ من حساب حضرموت بحسب قرار فيصل العطاس الذي يسيطر على السلطة في حضرموت، وأرسل إليهم رئيس الجمهورية قحطان الشعبي ببرقية لصرف هذه المخصصات،

• .....؟  
- هناك أشياء سياسية كبيرة حدثت في حضرموت بإرادة وتقدير محلي، وقد كان من الممكن أن نستقل بحضرموت كدولة بذاتها، فهي أصلاً دولة قائمة، ولكن كان ذلك جريمة في حق الوطنية، وكنا نرى أن الوحدة اليمنية خطوة أولى على طريق الوحدة العربية الشاملة، وكان أملنا وهدفنا، وقد تعاملنا مع الأمور بحسن نية ولم تكن نعلم ببواطن الأمور، ولم يكن لدينا تحليل متعمق لما ستكون عليه الأمور ومع من نتحد، ولا أخفي حقيقة أنني منذ الاجتماع الأول للقيادة العامة في عدن عند تشكيل الحكومة شعرت أننا غلطنا، فقد صارت في ذلك الاجتماع صراعات





61

العدد (4)  
أبريل  
يونيو  
2017م

بالتحريض ضدي والإخوة خالد باراس والحاج صالح باقيس وقال إننا أرسقراطيين، وبدأ بالإخوة سعد سالم فرج وحسن صالح باعوم وهم من قيادات اتحاد الطلبة وكذلك عبد الله صالح البار وصالح منصر السيلي، وطلب منهم عدم إخبار فيصل العطاس بأمر الانتفاضة على أساس أنها حركة شعبية من الكادحين رغمًا عن الدولة، وهي في الأساس من الدولة وسالم ربيع علي الذي كان في رئاسة الدولة، وبالنسبة لي لم أكن راضياً على هذه الانتفاضة وسرقة المكان على الصيادين وكان إلى صفّي مجموعة من الثوار من الشحر ومنهم الأخ عمر جبران، ونزلت إلى الشحر والتقيت بكل المجاميع وقد أعطيت أوامري بصفتي المحافظ والمسئول التنظيمي بإعادة المكان المسروقة والإفراج عن المنتفضين، وفرح الناس وراح كل يبحث عن ماكينته، وبعد أيام عدنا إلى الشحر مع لجنة قدمت من عدن للاطلاع على ما حدث، فأخبرناهم بما حدث وقلنا لهم ارجعوا من حيث ما أتيتم وإلا سيقوم هؤلاء الصيادون بتقطيعكم، وقبل عودتهم إلى عدن التقوا بأعضاء الفصيل التقدمي بحضرموت واتفقوا على إثارة مشاكل داخل التنظيم بحضرموت حتى تتم إزالتي، ونقلوا موقعي إلى سالم

توجيهات من رئيس الجمهورية قحطان الشعبي ورئيس الوزراء فيصل عبد اللطيف بالإفراج عنك، ولكن تسارعت الأحداث وأعلنت حالة الطوارئ وتمت إزاحة قحطان الشعبي من الرئاسة، وتولى سالم ربيع علي (سالمين) رئاسة الجمهورية، ومع تعيينات المحافظين عُينت محافظاً للمحافظة الرابعة -شبوّة- في ديسمبر عام ١٩٦٩م وبقيت فيها ١١ شهراً، ثم عُينت بالدرجة نفسها محافظاً ومسئولاً



لجنة متابعة الانزال

تنظيماً للمحافظة الخامسة - حضرموت - في نوفمبر عام ١٩٧٠م، وكنت الوحيد الذي يتمتع بهاتين الصفتين من بين المحافظين وقد احتج الكثير منهم على ذلك، وبقيت فيها إلى عام ١٩٧٢م حيث بدأ الصدام بيننا وسياسة التطرف والإرهاب والاعتقالات السياسية.

• .....؟

البلاد وأن الناس هنا سيطيعونني حتى إذا طلبت منهم اعتقالكم، وكان يجب عليكم أولاً أن تتعاملوا معنا بأسلوب شريف ولا تتجهوا إلى الوقعة بيني وأصحابي، كان هدفهم من اللقاء بي نقل موقعي هذا بشكل رسمي إلى القيادة العامة بعدن لتتخذ الإجراءات ضدي. وفعلًا بعد صراعات ومطاردات تم الزج بي في سجن المنورة، دخلت السجن وكان فيه محمد عبدالقادر بامطرف وبدر الكسادي والشيخ

عبدالرحمن بكير والعماري وبين سميدع، وقبل دخولي إلى السجن أقيت كلمة في الضباط الموجودين قلت فيها: (( اشهدوا وتذكروا أننا سندخل السجن ونخرج إلى الكراسي، أما قحطان الشعبي وسالم الكندي فسيدخلون السجن ولن يخرجوا إلا على نعوشهم)). كما تم سجن مجاميع كبيرة من المناصرين للجهة القومية من

## تم اتخاذ قرار من مجلس الدفاع الوطني من قبل سالم ربيع وجماعته بإنزال عسكري بري وبحري وجوي على حضرموت تحت ذريعة انفصال حضرموت

ربيع علي واستاء مني، وقام سعد سالم فرج وحسن صالح باعوم بخلق مشاكل في أوساط الطلاب وتنفيذ إضراب عن الدراسة بسبب عدم وجود المختبرات، واستطعنا فك الإضراب، ودخلنا بعد ذلك في إضراب عمال النظافة على الرغم من أننا ضاعفنا لهم الأجور قبل ما نستولي على السلطة عبر اتحاد النقابات، وفي ذات المساء عقد هذا الفصيل اجتماعاً له في مبنى النقابات، وقمنا بقطع الكهرباء عليهم واستكملوا على ضوء الأتاريك، وفي الأخير قمنا

- تم إرسال مجموعة من شقرة إلى حضرموت ومن ضمنهم خالد حريري (لبناني) لتدريب أعضاء الفصيل التقدمي داخل تنظيم الجهة القومية - وهو من تخرجات نانف حواتمة - طرق الانتفاضة، وكان هذا التنظيم سريعاً ويجد مساندة من قبل الجيش، وقد قام عبد الله الأشطل بتولي تنفيذ انتفاضة الصيادين في الشحر، حيث كان الأشطل في السابق مسئولاً ثقافياً بالتنظيم ويحلم بالسلطة وكنت أنا حجر عثرة في طريقه، وقام

مختلف المناطق بحضرموت، وبعد فترة بدأوا يخرجونهم من السجن على شرط أن يقولوا في التحقيق أن فيصل العطاس يقول لهم انضموا إلى حزب الرابطة، وافق الكثير منهم على ذلك للخروج من السجن ورفض البعض.

مكثت في السجن حوالي ثمانية أشهر، ومع بداية الخطوات الأولى للخطوة التصحيحية ٢٢ يونيو ١٩٦٩م عُين محمد سعيد يافعي محافظاً لحضرموت وجاء لزيارتي في السجن وقال لي إن هناك





62

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م



استقبال قحطان بمطار عدن في ٣٠ نوفمبر

بمطار دتهم واعتقال حسن باعوم وعبدالله البار وقلنا لهم أنتم أداة طبيعة في يد جهة ما ويسـتخدمونكم في تنفيذ جرائم وصدقوني أنهم بعد تقرير الأمور في عدن لن يهتموا بكم، وفي صباح اليوم التالي شكّل سالم ربيع لجنة للتحقيق في الأمر، وقدموا تقريراً كما يريده سالم ربيع.

•.....؟

- شهدت حضرموت كغيرها من المحافظات مرحلة أخرى من العمل السياسي الإرهابي، فقد بدأت مرحلة الاغتيالات السياسية، وكانت أول عملية هي اغتيال عمر عبدالودود المساعد الشخصي لي، وقد كنت في تلك الفترة في عدن لحضور الاجتماع، وقد تستر سالم ربيع علي على الجناة الذين هربوا إليه، وفي هذا الوقت استحكمت قبضة سالم ربيع على الجيش ومؤسسات الدولة على الطريقة الصينية.

خلال إقامتي الجبرية بعدن جاءت إلى حضرموت لجنة مكونة من رئيس الجمهورية والأمين العام عبدالفتاح إسماعيل ورئيس الوزراء علي ناصر محمد ومحسن الشرجبي وزير أمن الدولة، نزلوا إلى المكلا ثم الشحر ثم وادي حضرموت وعملوا على إنهاء علاقات العديد من المؤيدين لي بالتنظيم السياسي للجبهة القومية، كما عملوا على دمج مكتبي التنظيم في مديرتي دوعن والقطن في مكتب واحد، وكان صالح منصر السبيلي مديراً لمديرية القطن، وقاموا بسجن ما أسموه بالمندسين من جماعة فيصل العطاس وتقديهمهم إلى المحاكم الشعبية وكان ذلك حوالي عام ١٩٧٢م. نزلت إلى حضرموت في إجازة العيد وكان سالم ربيع موجوداً في حضرموت، ورغم الإقامة الجبرية إلا أنني ما زلت في وظيفتي كمحافظ حيث لم يتم تعيين محافظ بديلاً عني وكان القائم بالأعمال سالم محمد جبران، سمع الأخ محمد أحمد باحشوان بقدومي وجاء إلى القصر (قصر السلطان) يسأل عني وقال للحراسة أين المحافظ وكان يقصدني قالوا له مش موجود، وفي المساء جاءت سيارة واختطفته من السوق، وعند مناقشة الأمر مع سالم ربيع علي قال لا نعرف شيئاً عن هذا، فقلت له إن هذه بادرة خطيرة في حضرموت خاصة وأن هذا

الشعب يعيش بسلام ولا يشكل أي خطر على الدولة والقانون، وأنتم مشيتوا بهذا في عدن وغيرها خصوصاً في الجيش، وأكرر عليك أن مجتمع حضرموت مجتمع خاص وهذه نصيحتي لك. ومن الأمور التي قمت بها أيضاً ولم ترق للرئيس سالمين أن أوقفت العمل في حضرموت بقرار المحاكم الشعبية التي شكلها الرئيس سالم ربيع علي في عام ١٩٦٩م، وقلت لهم الوقت الحالي ليس من يحاكم من، اتركوا الشعب يتألف ومن ثم تأتي مرحلة المحاكم الشعبية لاحقاً، وكان ذلك في بداية السبعينيات. وبعدها حدثت انتفاضة الصيادين.

أحضرنا الذين تم القبض عليهم فيما كان يسمى جيش إنقاذ حضرموت وتوغلوا في أراضيها وعبثوا فيها إلى الحفل الجماهيري، وظنوا أنه سيتم إعدامهم، فطمأنهم وقلت في الحفل إن هؤلاء إخواننا من الجمهورية العربية اليمنية قد غرر بهم وجاءوا لمحاربة إخوانهم هنا بعد أن أعطيت صورة خاطئة عنا أننا شيوعيون وكفار لا نصلي ولا نصوم، ولما جاؤوا وجدوا عكس ما قيل لهم، ولم نقم بسجنهم بشكل تعسفي ولكن احتجزناهم في حصن بن عيـاش في الشحر وأطعمناهم وأقمنا لهم دروس محو الأمية، وسمحنا لهم أن يذهبوا إلى المسجد للصلاة دون أية حراسات مشددة، هذا إلى جانب اهتمامنا بهم من الناحية الصحية، وكذلك وفرنا لهم عملاً خاصاً بالأجرة ٤ شلن لمدة أربع ساعات في اليوم، ووافقوا وفرحوا بذلك. وعلى إثر ذلك أرسلت لي الجبهة الوطنية الأخ

عبدالرحيم عتيق وكان في حينها إماماً مدير أمن شبوة أو نائب وزير الداخلية يطلبون إحضارهم إليهم، ورفضت ذلك، وقلت له هؤلاء ما زالوا صغاراً ويمكن الاستفادة منهم في خدمة الثورة بشكل إيجابي، وبعد هذه الحادثة تسارعت الأحداث وبدأت المشاكل وتم تغييرني من حضرموت لأنني أفضلت انتفاضة الشحر وعارضت اتجاه سالمين، وفُرضت علي الإقامة الجبرية في عدن أربعة أشهر ومن ثم سافرت إلى الصين في دورة للاطلاع على التجربة الصينية والتحويلات الاشتراكية في مجال الزراعة، وبعد عودتي إلى عدن عُينت نائباً لوزير الأشغال العامة والمواصلات، وكلما نزلت إلى حضرموت انهالت البرقيات علي بالعودة إلى عدن.

بقيت بها نحو خمس سنوات ثم انتقلت للعمل كمستشار لدى وزارة الإدارة المحلية، وقطعت علاقتي بالتنظيم السياسي بالجبهة القومية بمذكرة رسمية بناءً على توجيهات عليا. كان علي ناصر محمد ومحمد علي هيثم ضد سياسة الانتفاضات وسياسة الإرهاب، عكس عبدالفتاح إسماعيل الذي لم يكن يفهم طبيعة العمل السياسي، واتجه نحو السياسة الشوفينية (١) المرفوضة عالمياً، وقد كان خمسة أشخاص من القيادة العامة موافقين على هذه السياسة سالم ربيع، وعلي سالم البيض، وعلي عنتري، وصالح مصلاح قاسم، وعوض الحامد (وهو من آل المرازيق من قرية الحنك بنصاب حاضرة سلطنة العوالق العليا/ شبوة)، حتى إن وزير الداخلية ومدير أمن الدولة محسن سلوكه الذي جرّوه إليهم بالتهديد والقوة،





63

العدد (4)  
أبريل  
يونيو  
2017م



## لم أصدر قرار تكسير سدة المكلا، فعلى العكس أصدرت أمراً بتوقيف العمل بالتكسير، وعبدالله الأشطل والقيادة المحلية هي التي أصرت على تكسير السدة

لجهات لديها قنوات معينة، ووصول قوات لا تخضع لي اعتبره عزلاً ولا يليق بي البقاء في حضرموت، نأمل منكم التوضيح حول ذلك، فقالوا إن هذه الإجراءات إجراءات ثورية، وقالوا نقترح تشكيل لجنة من الرئيس سالم ربيع علي والأمين العام عبدالفتاح إسماعيل ورئيس مجلس الوزراء علي ناصر محمد للاطلاع على المشاكل في حضرموت، فقلت لهم لماذا اللجنة فالأمر واضح ولا يحتاج إلى أي لجنة؟، فسكت الجميع.

تم وضعي تحت الإقامة الجبرية في عدن، وكنت ما أزال عضواً في مجلس الشعب الأعلى وأحضر اجتماعاته، وفي أحد الاجتماعات تم مناقشة زيادة الميزانية العامة حيث وافقوا لوزارة الدفاع بزيادة مليونين دينار ومليون دينار لأمن الدولة على أساس أن تقوم الدولة بدعم بعض الحركات القومية الوطنية في الوقت الذي نشتهي من عجز قطيع في ميزانية الدولة، زعل سالم ربيع علي وقال إن فيصل العطاس عليه مستمسكات ويعمل لحساب قوى عدوة للنظام، ويجب أن تشكل لجنة لمحاسبته، فقلت له فيصل العطاس عضو مجلس الشعب الأعلى والدستور يحدد كيف تكون محاكمة العضو، وأنت ستشكل

أسراب من الطائرات العسكرية إلى حضرموت، وفعلت ذلك ونزلت الطائرات التي تم استنجازها من خطوط جوية أخرى محملة بالجنود إلى مطاري الريان وبحران بالوادي، ووصلت السفن إلى ميناء المكلا، ونزل هؤلاء الجنود في الشوارع العامة يتظاهرون ويهتفون (سالمين.. سالمين)، كما وصلت قوة برية عن طريق عتق بقيادة عبدالرحيم عتيق، وصل إلي خطاب سري من أحد الزملاء يخبرني بموضوع الإنزال، وكانت القوات العسكرية المحلية تريد أن تقوم بمقاومة ضدهم ونصب الكمائن ومباغتتهم خاصة القوات البرية في الطريق الشرقية، فقلت لهم لا لا يجوز ذلك، وقد علم سالم ربيع علي عنتر بموقفه هذا ولكنهم لم يقدروا ذلك، وطرحت هذا الموضوع في اجتماع القيادة العامة وقلت لهم أنا محافظ ومسئول تنظيمي في حضرموت وليس لدينا أي علم بما يجري، والغالبية العظمى من أعضاء القيادة العامة لا تؤيد هذه السياسة، أما أنا إن كنت موجوداً أو غير موجود فهذا سياسة غير مقبولة في حضرموت، ومستعد أن أقدم استقالتي، ولا أريد أن أبقى في حضرموت لأنني سأكون دمية وأداة بوجود قوات لا تخضع لي وتخضع

وفي حضرموت انصاع لهذه السياسة اتحاد الطلبة فقط، وكان سالم ربيع يخاطبهم مباشرة، أما بقية العمال والقبائل الأخرى فقد كانت معنا، ووقفنا بشدة ضد هذه السياسات غير المرغوب فيها التي اعتبرناها سياسات قاتلة سواء في الجانب الاقتصادي أو الاجتماعي.

•.....؟

- تسارعت الخطوات السياسية والعسكرية على حضرموت بعد هذه السلسلة من الإضرابات والمسيرات واغتيال عمر عبدالودود وفي الفترة التي كنت موجوداً فيها في عدن لحضور اجتماعات مجلس الشعب والقيادة العامة تم تعيين شخص اسمه بطم طوخل العولقي مديراً لأمن حضرموت واستبدال قوات الجيش والأمن المحلية بقوات جديدة من خارج حضرموت، وقد احتججت على هذه الخطوة وأنا محافظ ليس لدي رأي وموافقة بهذا، فقال لي عبدالفتاح إسماعيل وعلي ناصر محمد إنهم ليس لديهم أي علم بهذا الموضوع سالم ربيع علي قام بالتنسيق مع مطيع وأصدروا هذا القرار، فقلت لهم إذاً ليس لي أي مكان في حضرموت، قالوا لا أنزل إلى حضرموت وأشرف على الثورة وتفاهم مع الجماعة ويمكن أن يعود هؤلاء الجماعة - أي القوات العسكرية الجديدة - ونحن سنناقش هذا الموضوع مع سالم ربيع، وأنا كنت أخشى أن يتم التكنيل بقيادة اللواء ٣٠ وتشبثتهم إلى مناطق مختلفة والنكابة بهم. وقد حرص سالمين ورفاقه على أن أبقى في عدن دون الخروج إلى حضرموت حتى تستتب لهم الأمور خشية أن أقوم بأي حركة مقاومة ضدهم.

بعد ذلك تم اتخاذ قرار من مجلس الدفاع الوطني من قبل سالم ربيع وجماعته واتخذوا قراراً من مجلس الدفاع الوطني الذي تكون من سالم ربيع وعلي عنتر، ومحسن الشرجبي، ومطيع، وأقرروا إنزال عسكري بري وبحري وجوي على حضرموت تحسباً لزيادة أن هناك مؤامرة لفصل حضرموت ولا يستبعد أن يكون المحافظ متورطاً فيها، وقام سالم ربيع بطلب طيارين من العراق وسوريا كون الطيارين الجنوبيين لم يستكملوا تدريباتهم بعد في الاتحاد السوفيتي، ووصلت منهم ثلاثة





64

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

لجنة، ممن؟ أعرفهم ناس من عصاباتك انتهازيين ومرترقة، فهل أنت توزع شهادات الوطنية والخيانة، وقد كانت هذه الجلسة تسجل صوتاً وصورة.

في اليوم التالي وتوفيراً للوقت تم اختصار عمل اللجنة بتكليف أحد ما باغتيال بقطعة حديد كانت على جانب سيارة كبيرة من الجيش نوع (RC) عند اتجاهي لمجلس الشعب، وقد كنت في سيارة صغيرة، والحمد لله نجوت منها، وكان المجلس في حينها منعقداً، وخلال الاستراحة شاع خبر موت فيصل العطاس، وفي اليوم التالي توجهت إلى مقر مجلس الشعب ودخلت فقام عبدالله الخامري يصيح فيصل العطاس حي، فقلت نعم ولا تفضلتوا أن تطلبوا من قيادة المجلس أن تقفوا دقيقة حداد على روح رفيقكم في مجلس الشعب الأعلى ورفيقكم في النضال، بل إنكم لم تتجروا أن تسألوا هل مت أو لا، فهذا آخر يوم لي معكم، ولكن توسط لدي ناس لحضور الدورة الثانية، وجئت وهو الأمر الذي لم يرق لسالم ربيع ووجدت في اليوم التالي صدور قرار من مجلس الرئاسة بفصل مجموعة من قيادي الجبهة القومية من مجلس الشعب الأعلى، وقام أحمد مساعد حسين بنقل القرار لي بحسب توجيهات سالم ربيع علي، فقلت له ألا تخجل من نفسك وأنت عولقي قبيلي تقول لي هذا الكلام المفروض تحترم نفسك، أنا عضو مجلس الشعب الأعلى يفصلني سالم ربيع بقرار، أنا وهو في مجلس سواء، فقرار كهذا يحتاج إلى تصويت المجلس عليه، وفي الصباح قبل الدخول إلى قاعة الاجتماعات التقيت علي ناصر محمد وعبدالفتاح إسماعيل وقلت لهم بالقرار، قالوا لم يشاورنا سالم ربيع بشأنه، فقلت لهم هذا أقل من قرار الإعدامات التي كنتم توقعون عليها بأثر رجعي، فقالوا لا نريد أن يكون هناك أي صدام بيننا، ودخلت إلى القاعة وقبل أن يفتتح الاجتماع تكلمت وقلت: ((الإخوة أعضاء مجلس الشعب وداعاً، والله يكون في عونكم)) وخرجت من القاعة.

تعرضت لست محاولات اغتيال، ولم تهدأ الأمور إلا في نهاية حكم سالم ربيع علي وبداية عهد علي ناصر محمد، وقد حاول محسن الشرجبي بعد اغتيال سالم ربيع

علي أن يلقي القبض علي واتصل بصالح السبيلي وأمره باعتقالي، فخاطب السبيلي علي ناصر قائلاً له من الرئيس أنت أو الشرجبي، فاستغرب علي ناصر من كلام السبيلي وأشعره أن الشرجبي يعطي لهم الأوامر باعتقال فيصل العطاس والكل يعرف أن فيصل ليس من جماعة سالم ربيع علي وليس له أي ارتباط بالصراعات التي حدثت، وهذا موقف إيجابي لصالح منصر السبيلي.

وقد كانت آخر محاولة لاغتيال هي إدراجي ضمن قائمة وفد طائفة الدبلوماسيين في ٣٠ أبريل ١٩٧٣م، وكانت هناك توجيهات عليا ومخاطبات من الرئاسة واتصالات وتنسيقات لإرغامي على السفر في هذه الطائرة، وقدرة الله كانت فوق كل شيء، وحفظني الحافظ.

• .....؟

- لم أصدر قرار تكسير سدة المكلا، فعلى العكس أصدرت أمراً بتوقيف العمل بالتكسير، وقد قلت وكررت هذا مرات كثيرة، تم تكسيرها بعد المؤتمر العام الرابع للجبهة القومية، ولم أكن في هذا الوقت محافظاً لحضرموت ولا عضواً للتنظيم أو القيادة العامة، كان حينها سالم كندي، وأنا كنت في سينون، وعندما وصلت وكان عمال البلدية يقومون بالتكسير قلت لهم أوقفوا العمل وأعيدوا الحجارة إلى مكانها، وكلمت سالم عوض بامطرف مسئول البلدية حينها بتوقيف العمل، وذهبت إلى المحافظ سالم الكندي وقلت له إنني أوقفت تكسير السدة فهي معلم حضاري وبانعمل لها أي تدابير لمرور السيارات، فقال نعم وهذه فكرة كانت على بالي، لكن اللجان الشعبية والقيادة المحلية بقيادة عبدالله الأشطل هي التي أصرت على تكسير السدة.

• .....؟

- غير صحيح، لم نقم بالسطو على ممتلكات السلطان الشخصية، ولم يخطر على بالنا أي شيء من هذا القبيل، بل وكنا نظن أنه قد أخذها، وكانت هناك بعض الممتلكات من سيوف وجنابي بقيت في دواليب وقطف وأثاث، وبقيت بعض الوثائق من اتفاقيات وغيرها ذكرها لي أحمد العطاس، إلى بعد الخطوة التصحيحية حيث وجه سالم ربيع علي

بإرسالها إلى خزانة الدولة، وفعلاً قمنا بجردها وتصويرها وإرسالها إلى الخزانة بعدن.

• .....؟

- قرأت في تاريخ الثورات أن هناك من يقتله ابنه أو آخرون أو يسجن، وبالتالي لم استغرب كثيراً مما صار لي من أحداث بعد الثورة، ولست من الذين ينتحرون في مثل هذه المواقف، كنت راضياً عما قمت به، وتعاملنا بحسن نية ولم يكن في الحسبان أن الأمور ستسير بعد الاستقلال في هذا الاتجاه المنحرف عن الثورة، ولم تكن راضين عن ذلك وليس لدينا أية طموحات في السلطة، وقد عرض علي منصب محافظ لحضرموت بعد الوحدة اليمنية.

توفي رحمه الله تعالى في المملكة العربية السعودية بتاريخ ٢٨ مارس ٢٠١٤م بعد صراع عامين مع المرض.

## أول حكومة للجنوب

### بعد الاستقلال ١٩٦٧م

- ١- قحطان الشعبي رئيساً للجمهورية
- ٢- سيف الضالعي وزير الخارجية
- ٣- علي سالم البيض وزير الدفاع
- ٤- محمد علي هيثم وزير الداخلية
- ٥- محمود عشيح وزير المالية
- ٦- عبدالفتاح إسماعيل وزير الإعلام والإرشاد القومي
- ٧- فيصل عبداللطيف وزيراً للاقتصاد
- ٨- عادل خليفة وزير العدل
- ٩- فيصل بن سلمان وزير الأشغال والمواصلات
- ١٠- محمد عبدالقادر بافقيه وزير المعارف
- ١١- عبدالملك إسماعيل وزير دولة
- ١٢- أحمد صالح الشاعر وزير الزراعة والإصلاح الزراعي

(١) الشوفينية: هي الاعتقاد المغالي في الوطنية، وتعبير عن غياب رزانة العقل والاستحكام في التحزب لمجموعة ينتمي إليها الشخص والتفاني في التحيز لها، خاصة عندما يقترن الاعتقاد أو التحزب بالخط من شأن جماعات نظيرة والتحامل عليها، وتفيد معنى التعصب الأعمى. وبالإنجليزية (chauvinism) وهي تعني في مدلولها الأصلي معنى الوطنية المفرطة، الغيورة والعدائية، والإعجاب الحصري لدى الشخص بوطنه والحمية العمياء للمجد العسكري، والاعتقاد المتحمس بأن وطنه أفضل الأوطان وأتمه فوق كل الأمم، وينسب اللفظ إلى جندي فرنسي أسطوري اسمه نيكولا شوفان، شديد الغيرة على فرنسا ومتفان في القتال في جيش الجمهورية نابليون في حروبه.



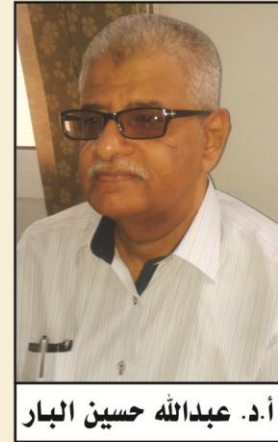


65

العدد (4)  
أبريل  
يونيو  
2017م

# أصداء من "أصداء" للشاعر حسين محمد البار

( ١ - ٢ )



د. عبد الله حسين البار

## حكاية الديوان:

(أصداء) هو الديوان الثاني للشاعر حسين بن محمد البار (١٩١٨م - ١٩٦٥م) بعد ديوانه الأول الموسوم بـ (من أغاني الوادي)، الذي طبع في مصر ما بين عامي (١٩٥٥م - ١٩٥٦م) في حياة الشاعر الذي اعتنى بانتقاء قصائده وترتيبها في أربعة أبواب هي الوجدانيات، والطبائيعيات، والعبرات، والمتنوعات. وصدره برسم فوتوغرافي له في بدء مرحلة الشباب مزيلاً ببضعة أبيات عنوانها (رسمي)، ثم كلمة قصيرة معنونة بـ (كلمة الشاعر) ثم بإهداء. وتلك أبهاء لم يحظ بها ديوانه الثاني (أصداء) بسبب من وفاة الشاعر قبل إنجازه نصاً معداً للنشر، فظل في أضيابه قصائد تتراكم مع الأيام المنشورة في صحيفته، ومنها ما أنشدته الشاعر إبان حياته في محفل من المحافل الثقافية التي كانت عامرة بنشاط أدبي مميز يوم ذاك. لكنه هو الذي وضع له هذه الثريا التي تتدلى في فضاء صفحته الأولى وإن لم يحظ بغلاف مستقل كونه لم يطبع مفرداً

وسلمها للمعنيين بالدار يدأ بيد، وقد أجزت نصوصها جميعاً، وطلب منه - اعتماداً على إشارة من الشاعر العراقي سعدي يوسف - إعداد مقدمة للديوان فتكفل بكتابتها بكل نشاط وحبور الأستاذ الكبير السيد علي عقيل بن يحيى (٢)، ولم يمض شهر إلا والمقدمة مع نسخة الديوان مسلماتين للإخوة المعنيين بالنشر في دار الهمداني، واستبشر الجميع بقرب خروج الديوان إلى فضاء القراءة والتفاعل النقدي بعد أن ظل سنين عدداً حبيس الأدرج لا يرى قارئاً ولا يعرفه من عرفوا للشاعر ديوانه الأول (من أغاني الوادي). وكان زمن تلك الوقائع في أواخر العام ١٩٨٤م. وفجأة، ولا بد من هذه (الفجأة)، جرت الرياح بما لا تشتهي السفن، وانفجر بركان حريق أهلية ثانية في ١٣/يناير/١٩٨٦م في مدينة عدن. وكانت دار الهمداني من الأماكن التي طالتها نيران الحرب، فاشتعل القلق في أفئدة عديدة، وظل السؤال حائراً يبحث عن جواب يتحدد به مصير الديوان ومكانه ومثواه. ولم تنجل الغمة عن ذلك المصير إلا في منتصف العام ١٩٨٧م حين تم الاتصال بالأخ العزيز الدكتور محمد أحمد جرهوم وقد اعتلى منصب وزير الثقافة في تلك الأعوام، وشرح له حال الديوان البائس التائه بين المطابع ونيران الحروب الأهلية. فتكرم مشكوراً بالبحث عن نسخة الديوان حتى وجده وأثر ذوي الشاعر البار على مخبأه فاستعادوه مخطوطاً دون أن يطبع. ثم كانت محاولة ثالثة في أحد أعوام التسعينيات ولكنها لم تنجح، فكان الانصراف عن التفكير في طباعته أمراً ذا

كما طبع أخ له من قبل، وحظي بمكونات الكتاب. أما (أصداء) فبقي نصوصاً تفتش عن وجودها الكتابي زمن ليس بالقصير يمتد من العام ١٩٧٣م حتى ضمته صفحات الأعمال الشعرية الكاملة التي صدرت في العام ٢٠٠٤م عن دور نشر ثلاث (١). ولقد كاد يطبع الديوان في بيروت في منتصف سبعينيات القرن العشرين بعد أن أبدى الشيخ سالم بالعمش حماسة لطباعته، لكن انفجار بركان الحرب الأهلية هناك حال دون تحقيق الأمانى ففנית، وجرت الرياح بما لا تشتهي السفن، بل وكادت النسخة (الأم) المخطوطة بقلم الشاعر تضيق إذ لم تكن لها نسخ محفوظة لا عند قريب ولا عند غريب. لكن الله حفظها، وفي أواخر ذلك العقد تمكن السيد عبد القادر بن حامد البار رحمه الله من أن يستل النسخة الأم من برائث الضياع، وأن يعيدها سالمه ليد من تكفل بنشرها ديواناً وهو ابن الشاعر الأكبر الأستاذ عمر حسين البار رحمه الله. ولقد حرص السيد عبد القادر بن حامد البار على أن يستنسخ صوراً من الديوان المخطوط ووزعها على ذوي الاعتناء بالشاعر وشعره فحفظ المتن، لكن المخطوطة الأم لم تكن معلومة المثوى والمأوى والمال. وعلى الرغم من ذلك فقد خطر لكاتب هذه الصفحات أن يعد الديوان للنشر فيقدمه إلى دار الهمداني بعدن التي أخذت يومذاك في طباعة كتب متنوعة بين دوواين شعر ومجموعات قصصية ومؤلفات بحثية. وشجعه على الإقدام على تلك المغامرة عدد من الأجابة والصحب، فتخير من المخطوطة قصائد





66

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

جدوى. وحملت الرياح كاتب هذه الصفحات في آفاق مترامية فانشغل عن الديوان وإن لم ينشغل عن صاحبه وشعره المنشور والمطبوع في ديوانه (من أغاني الوادي) حتى كان يوم لقي فيه الأخ العزيز الدكتور عبدالرحمن محمد بامطرف فأنبأه بوجود مخطوطة ديوان (أصداء) بين أصابير والده الأستاذ محمد عبدالقادر بامطرف رحمه الله، ورجاه أن يبلغ ذوي الشأن من إخوته بالمحافظة على المخطوطة كونها بخط الشاعر نفسه، وهو يخشى عليها من التلف والضياع. وحين أبدي له كاتب هذه الصفحات الرغبة في استلام المخطوطة بموجب وثيقة مكتوبة بخطه يقر فيها باستلامها منه، أبى وأثر أن يتم تسليمها لأخيه الأكبر الذي سلمها ذات يوم - أو لعله أرسلها - للأستاذ بامطرف ليخط لها مقدمة ولكنه لم يفعل. وجرى الاتصال بالأستاذ عمر البار وإخباره بما استجد فأوكل أمر استلام المخطوطة إلى يد كاتب هذه الصفحات فأبت إلى منزل الشاعر بعد أن طوّفت ما طوّفت راضية من الغنيمة بالإياب. وسكنت حركتها فلم تززعها يد عن رفها الذي ثوت فيه أمنة مطمئنة حتى كان عام ٢٠٠٤م حين نهض الشعاعان الكريمان محمد هيثم رحمه الله وسالم بن سلمان حفظه الله فألحا على كاتب هذه الصفحات في طباعة شعر والده كاملا في مجلد واحد شمل دواوينه الثلاثة (من أغاني الوادي) و(أصداء) و(ديوان الأغاني). وهكذا قُدر لديوان (أصداء) بعد لأي أن يرى النور، وتصافحه عيون الدارسين وشدة الأدب، فجاء على هوية إبداعية غير التي رسمها له الشاعر في حياته وعند إنجاز قصائده، وغير ما يمكن أن تكون عليه لو طال العمر بالشاعر وتولى أمر إخراجه بنفسه. وهما هويتان مغايرتان لهوية إبداعية ثالثة نسجها ذوق الشاعر عمر البار حين هيا الديوان للنشر في سبعينيات القرن الماضي. ومع ذلك، وبالرغم منه، فإن للديوان هوية إبداعية جوهرية يمثلها أجمل ما اشتمل عليه من قصائد اتفق عليها كل من نظروا فيه مخطوطا وركاما بين الأوراق. إنما الاختلاف موجود حول بعض القصائد رآها هذا جديرة بالنشر فيه لغاية مقصودة، ورآها ذلك غير ملائمة

للقارئ في زمن نشرها الأخير. فانتظم الديوان في أربع وثلاثين قصيدة متنوعة التجارب والمواقف والرؤى، ومتجددة في طرائق النسج وأشكال التعبير ونظم التشكيل. وهو ما سيدور عنه حديثنا في هذا المقام بدءا بعنوانه أولا من حيث العنوان في الأثر الأدبي مجلى للثقافي والجمالي فيه في آن.



### عنوان الديوان:

عنوان الكتاب - كأننا ما كان، ديوانا شعريا أو رواية أو مسرحية أو دراسة علمية - هو مجموع العلامات اللغوية التي يتنقأها المؤلف مفردات أو جملا ويؤلف بينها ليعين بها وجوده فتدل عليه. فهو على هذا كالأسم العلم للكائن البشري بل أوثق منه صلة بالخصوصية. ففي الاسم العلم يشترك أفراد عديدون وإن اختلفت هوياتهم وتفرقت بهم السبل، أما عنوان الكتاب فنذر أن يشترك فيه كتابان قدم العهد بهما أو حدث. فأنت حين تقول: (العقد الفريد) لا تحتاج إلى مزيد بيان لتعيينه، لكنك بحاجة إلى مزيد من العلامات الإيضاحية حين تتحدث في الناس عن شخص اسمه (عبدالله) مثلا. ومن هنا خطورة عنوان الكتاب وأهميته عند علمائه. فهو ما يعطي الكتاب كيانه الوجودي المستقل والمفرد، بل ويحدد محتواه الكلي الذي يميزه عن سواه من أعمال (المؤلف) الأخرى. وهو ما يدل عليه ما يعرف (بالأعمال الكاملة) لهذا المؤلف أو

ذاك، فتراها تندرج في كل شامل جامع، ولكن بعضها يستقل عن بعض من صفحة (العنوان) حتى آخر سطر فيه.

العنوان إذا بـنية نصية متعددة مشكلاتها، بنية آثارها في عملية تأليف الكتاب، وفي عملية قراءته ومقارنته نقديا. وهذا في عموم القول، أما في خصوصه فإننا ننظر في بنية العنوان من خلال النظر في الديوان الثاني للشاعر البار الموسوم بـ(أصداء). وهي مفردة جاءت جمعا، ومفردتها (صدي). و(الصدى) في معاجم اللغة: شدة العطش، وقيل: هو العطش ما كان. واسم الفاعل منه (صدي وصادي وصديان).

قال القطامي:

فهن ينبذن من قول يصبن به

مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

وقال شوقي:

تذكرني هل تلاقينا على ظمأ

وكيف بل الصدى ذو الغلة الصادي

والجمع (أصداء).

و(الصدى): الدماغ نفسه، وحشو الرأس.

و(الصدى) عند العرب طائر يصيح في هامة المقتول إذا لم يثار له. وقيل: هو طائر يخرج من رأسه إذا بلي، ويدعى (الهامة). وإنما كان يزعم ذلك أهل الجاهلية، وقد جرت به أشعارهم، وتعددت دلالاته فيها. فهو في بيتي (مغلس الفقعي):

وان أخاكم - قد علمت مكانه

بسفح قبا - تسفي عليه الأعاصر

له هامة تزفوا إذا الليل جنها

بني عامر هل للهالي ثائر

تعبير. وهو في بيتي شاعر يوصي ابنه:

ولا تزفون لي هامة فوق مرجب

فإن زفا: الهام للمرء عائب

تنادي: ألا اسقوني وكل صدى به

وتلك التي تبيض منها الذوائب

تحذير. وهو في بيت ذي الأصبغ

العدواني:

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي

أضربك حتى تقول الهامة اسقوني

فخر واعتداد.

والصدى | إلى ذلك | : الصوت. وهو : ما

يجيبك من صوت الجبل ونحوه بمثل

صوتك، وجمعه (أصداء).

وهو عند أصحاب المعاجم الحديثة: رج





67

العدد (4)  
أبريل  
يونيو  
2017م

الصغير وإبراهيم ناجي وصالح بن علي الحامد، لتخرج من هذا المزيج المتجدد في تاريخ الشعرية العربية خصبة مؤتلفة ذات خصوصية مميزة. وذلك ما ينبئ عنه فريدة عنوانها.

ومفارقة أخرى تجيء العنوان من جهة نقض معادلته المألوفة. (فقلما نجد عنوانا متصدرا وحده، فهو دائما خاضع لهذه المعادلة:

عنوان + عنوان فرعي

عنوان + عنوان جنسي) (٦)

فللكتاب عنوان رئيسي واحد، وتتبعه عناوانات فرعية حين تتعدد أجزاؤه، كما في (ثلاثية محمد ديب) حيث نجد (الدار الكبيرة/ الحريق/ النول) وقد وضع لها إضافة لهذا أرقاما تميز كل جزء منها هي (١ / ٢ / ٣). في حين اكتفى نجيب محفوظ في (ثلاثيته) بأسماء فرعية سمت في كل عمل حتى غدت عناوانات رئيسية هي (بين القصرين) و(قصر الشوق) و(السكرية). ومن المؤلفين من يكفي بوضع عنوان رئيسي ثم يشفعه بذكر أجزائه كما في كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني في الأقدمين، و(المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) للدكتور جواد علي في المتأخرين. وحين يكفي المؤلف بعنوان رئيسي لعمله يلغي فكرة استخدام عنوان فرعي لانعدام الحاجة إليه فيكتفي به علما مفردا، لكنه يشفعه بعنوان يحدد جنسه الكتابي شعرا كان أم قصصا قصيرة أم رواية أم مسرحية أم دراسة كأنها ما كان منحاهما الفكري. وهذا المؤشر التجنيسي ذو أهمية في التمييز بين الأعمال التأليفية حين تتشابه عناواناتها الرئيسية. فإذا قلنا: (المكلا) شفعناه من حيث هو عنوان بقولنا: (رواية) ثم نشير إلى إسم المؤلف. أو شفعناه بقولنا: (شعر) ثم اسم المؤلف فلا ينبهم المقصود على المتلقي حينذاك. وفي العموم لا بُد للكتاب من عنوان رئيسي ثم يشفعه عنوان تجنيسي يحدد هويته. وهو أمر أدركه المؤلفون العرب في تراثنا القديم فعمدوا إلى المزج بينهما في صيغ مسجوعة، فقالوا: (البرهان في علوم القرآن) ومثله (الإتقان). فالعنوان الرئيسي هو (البرهان، والإتقان) وشبه الجملة تقوم مقام المؤشر التجنيسي للكتاب. ومثله

قد سبق في الوجود عددا كثيرا من قصائد الديوان المطبوع. فقصاص مثل: دموع الغريب، الأسير الشاكر، رجل العهد الأسود، مع التونسي، في سبيل البدلية كتبت في مرحلة الخمسينيات، وغيرها ثمة مثله. وقصاص مثل: حيرة، فقيد العلم، في ذكرى رائد الفن كتبت في بداية عقد الستينيات، قبل وفاة الشاعر بقليل. ومع ذلك أدرجها

الصوت يرده حاجز كالجبل ونحوه لاصطدام الموجات الصوتية.

ولقد جرى (الدال / الصدى / أصداء) مفردا وجمعا في أبيات من شعر البار في ديوانه الأول (من أغاني الوادي) بمعان ودلالات. فهو رجع الصوت في قوله:

ما زال فيك صدى لانغامي هنا

وصدى يرف لأهتي وأنيبي (٣)

## لديوان أصداء هوية إبداعية جوهريّة يمثلها أجمل ما اشتمل عليه من قصائد اتفق عليها كل من نظر فيه مخطوطاً وركاماً بين الأوراق

كلها في القسم الثاني من دفتر أشعاره الموسوم بـ(أصداء). وهنا تتجلى مفارقة. فعنوان أي كتاب لا يوضع على صفحة عمل إلا حين يتهيأ صاحبه لطباعته ونشره. فهو يظل نصوصا متفرقة - وإن قرئت في مجلة أو صحيفة، أو سمعت ينشدها الشاعر في محفل ما - ولا تنهي لتصير كتابا إلا حين يتخير منها عددا ويضع لها عنوانا جامعاً ويدفع بها للمطبعة. فتعيين عنوان الكتاب لا يكون إلا بعد ولادة العمل واكتمال عناصره المؤلفة. ولعله لهذا قالت العامة في أمثالها: (لا خلق سميناه) يعنون الوليد الذي لم يولد بعد. لكن هذا الديوان سمي قبل اكتمال خلقه وبلوغ نصوصه الحد الذي يجعل منها ديوانا.

هل ينبئ هذا أن الشاعر كان على وعي بفكرة (الأصداء) التي هيمنت على فكره من وحي اضطراب واقعه الاجتماعي الموار بالتحول والتطلع إلى غدٍ مختلفٍ عن حاضر يرفضه لسوء معالمة الظاهرة؟ إن فكرة الأثر المنعكس على وجدان الشاعر في شتى صورته عاطفية أو اجتماعية أو سياسية، ذاتية أو وطنية أو قومية لا تخفى على قارئ شعره، سيان ذلك في قصائده في ديوانه الأول أو قصائده في ديوانه الثاني فدلّت على رومانسية تتجاوز هموم الذات وانشغال الشخص الفرد إلى هموم الوطن وإنسانه والقومية ومشكلاتها مما يشي برؤية اجتماعية متدثرة بلغة شفافة تتلخ من لغة أشعار علي محمود طه وإيليا أبو ماضي وأبو القاسم الشابي والأخطل

وهو يقيّمها في نسق التقابل الضدي، حيث يدل صدى الأنغام على البهجة والفرح، ويدل صدى الآهة والأنين على الأسى والحزن، وإن لم يبعدا عن السياق الوجداني الذي شمل استخدامه لهذا اللفظ مفردا أو جمعا. لكنه في مطلق ينزاح عن هذه الدلالة ليمنح الدال دلالة حديثة هي (الأثر والانعكاس).

أنت في هذه الحياة ملاكي

ليس هذا الغناء إلا صدالي

كل هذي الأكوان عندي رؤاك

وحياتي لولاك تصبح مرة (٤)

هنا تشكّل اللفظ (صدى) في نسق الاستعارة. فيتراءى (شعر الشاعر) غناء، ويفغد (الغناء) صدى المحبوبة، وأثرها الجميل المحبوب في وجدان الشاعر. وهو ما يقرب دلالة من قوله في موضع آخر:

ورعت صدى القبلات روح الليل كالنغم الضليل (٥)

حيث يتشابه أثر القبلات في الوجدان بأثر النغم الجميل الهادئ في ظلمات الليل وسكونه.

إلحاق فكرة (الصدى) على وجدان الشاعر في مطلق من قصائد شعره المكتوب في مرحلة الأربعينيات من عقود القرن العشرين وقد ضمّها ديوانه الأول (من أغاني الوادي)، وما أبانت عنه مخطوطة الديوان الثاني التي قسمها الشاعر إلى أقسام. وجعل عنوان القسم الثاني (أصداء) ضمّاً إليه قصائد الديوان كما أنجزها واحتواها من بعد كتابه الموسوم بالأعمال الشعرية الكاملة ينبئ أن (عنوان) الديوان





68

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

(التيبان في أقسام القرآن) أو (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) و (كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر) أو (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال)... إلى آخر ما هنالك، فالباب متسع، والحديث فيه لا يكاد يحد. وأما في كتب المحدثين فالأمر ظاهر لا يعسر متلقياً ولا يحوج الكاتب إلى مزيد بيان. فما من كتاب يحمل عنواناً رئيسياً إلا ويشفع بمؤشر تجنيسي لاحق به لحقوق لزوم. أما في الديوان الثاني للشاعر حسين محمد البار فلا نجد غير عنوان رئيسي يحتل الجزء الأسفل من الصفحة (١٩٧) ولا غير، وتر دون شفع، هكذا (أصداء) ولا غير. سيقول قائل: لقد اكتفى الناشر بعنوان رئيسي في صدر غلاف الكتاب وهو (الأعمال الشعرية الكاملة) وحسبك بهذا مؤشراً تجنيسياً. وهذا حق. ولكن هذا الديوان ينقصه ما لم ينقص من أمثاله من دواوين الشعر التي طبعت أولاً مفردة مستقلة مزدانة بعبثاتها النصية كما نجد في الدواوين الثلاثة للشاعر صالح بن علي الحامد قبل أن يضمها مجلد الأعمال الكاملة في طبعته. أضف إلى ذلك ما فعلته بعض دور النشر من ضم الأعمال الكاملة في مجلدات ومنحها عنواناً رئيسياً ثم يشفعون ذلك بعنوانات فرعية هي عناوين الدواوين التي ضمها هذا المجلد أو ذاك، وهو ما لم يحظ به هذا الديوان، فجاء منازحا عن سواه على أية صورة ذكرت.

والعنوان بصيغته اللغوية التي جاء عليها مفردة معزولة عن سواها من الدوال التي تؤلف بتصاقب بعضها ببعض جملة دالة، فجاء مبهماً يثير أسئلة، ويظهر حاجة إلى صفة أو مضاف إليه لينجلي الإبهام عنه. فهذه ال (الأصداء) أصداء من؟ أو أصداء ماذا؟ وهل هي أصداء تجارب فكرية أو اجتماعية سياسية أو نفسية؟ وهل هي أصداء ذات مفردة أو هي أصداء ذوات أكثر تعددت صورها، وتنوعت آفاقها؟ والواقع أنك حين تتأمل في هواجس القصائد ونواتجها الدلالية تقترب من يقين جوهره أن هذا العنوان هو خلاصة ما دلت عليه قصائد الديوان من تجارب حياة وتشكيل لغة. فهو على هذا بؤرة إشعاع تضيء عتمة الطريق إلى جوهر القصائد واحدة

واحدة، ومتصل بها تجربة وتشكيلا.

## الليث والخراف المهضومة

### أو فيما هو (التناس)

من ذهب بالقول عن الشعر إلى أنه غامض محير وصعب وطويل سلّمه قال فيه قولاً لعله الصواب المحض، فما تزال نظريات الأدب واتجاهات النقد تلهث وراءه

يكون في (النص / القصيدة) كلياً، ولكنه جزء من كل وإن أوهم توظيفه فيها بغير ذلك. فتظل جوانب أخرى يستقل الإبداع فيها بذاته غير متكى على سواه إن على مستوى البناء وإن على مستوى التشكيل الصياغي للغة النص. ولهذا بدا - ويبدو - اعتماد (التناس) المدخل إلى قراءة النص شبيها بصنيع علماء البلاغة حين اتخذوا

## حين تتأمل في هواجس القصائد ونواتجها الدلالية تقترب من يقين جوهره أن هذا العنوان (أصداء) هو خلاصة ما دلت عليه قصائد الديوان من تجارب حياة وتشكيل لغة

من مكوناتها مداخل لقراءة (النص / القصيدة) فتحدثوا عن (الاستعارة) في نص ما، وعمدوا إلى جلائها فيه بنية ووظيفة ونمطا وينبوعا، غير مكترئين بما ضمته القصيدة من مكونات أخرى. فاتسم صنيعهم النقدي ذلك بالذرية كونه نظر في أمر وأهمل أموراً لا تقل أهمية في بناء النص. وكذلك هو الحال عند من وقفوا على التناس بوصفه المدخل إلى قراءة (النص / القصيدة)، ولأضرب لك مثلاً. هذا الشاعر الكبير عبدالله البردوني كتب في أواخر عام ١٩٧١م قصيدته (أبو تمام وعروبة اليوم) فتعالق فيها مع أشعار لأبي تمام منذ مطلعها الذي قال فيه:

ما أصدق السيف إن لم ينضه الكذب

وأكذب السيف إن لم يصدق الغضب (٧)

حيث يتناس مع قول أبي تمام:

السيف أصدق أنباء من الكتب

في حذو الحد بين الجد واللعب

على مستوى البنية السطحية الظاهرة. وفيها يمثل (صدق السيف) نصاً من بيت أبي تمام ليقر في بيت البردوني، لكنه يتشكل على المستوى نفسه في بنية التخاليف من جهة أن بيت البردوني يشي بحالة من التردد والتشكك والظن، ومن هنا جاءت صيغة (التعجب) (ما أصدق السيف) متبوعة بأسلوب الشرط (إن لم ينضه الكذب)، ومثلها ما جاء في الشطر الثاني من البيت. في حين جاء بيت أبي تمام منبثقاً من أغوار اليقين وقرار المؤكد الذي لا شك فيه. وجاءت الجملة في البيت

لتقع على جوهره فلم تلق إلى ذلك سبيلاً. فتعددت المداخل إليه لتنوع مضايقه. أترى سبب ذلك طول عمره في تاريخ البشرية؛ لعل ذلك يجوز. فالرواية والقصة القصيرة فنان حديثان مقارنة بعمر الشعر في الوجود، ومن هنا تبدو دراسة الرواية أو القصة القصيرة أيسر حالاً من دراسة الشعر، ومن ينظر في جهود البنيويين والسيمبوليين في دراسة صور السرد تلك يتبين ذلك مقارنة بدراساتهم للشعر. على أن أولئك الدارسين وآخرين من أمثالهم كالأصوليين وأصحاب "الشعرية" ودعاة علم النص لم يدعوا الحنين إلى دراسة الشعر قط، فأسهم كل فريق من هؤلاء ومن أولئك بنصيب في درسه والاعتناء به، فكثرت مقولاتهم فيه، ومن تلك المقولات ما أجملوه في (أمثلة) الليث والخراف المهضومة أو فيما هو التناس. وعرفوه بتداخل النصوص أو انبثاق نص لاحق من ثنايا نص سابق، أو التعالق بين النصوص، ولم يحصروه في مستوى من مستويات (النص / القصيدة) فقط، فشمل كل مستوياتها الإيقاعية والتخييلية والدلالية. وبالف بعضهم في الاعتناء بهذه المقولة فجعلها المدخل إلى قراءة (النص). وفي هذا موضع لنظر. فالتناس مدخل من مداخل نقدية أخرى إلى عالم (النص / القصيدة) وليس هو (المدخل) إلى قراءتها الذي لا تناصره مداخل أخرى عند قراءة (النص / القصيدة). والعلة في هذا الاحتراس أن التناس لا





69

العدد (4)  
أبريل  
يونيو  
2017م

قصائده وعنوانها (الملاح التائه)، وهو عنوان يستدعي عنوان الديوان الأول للشاعر المصري علي محمود طه، وحين تتصفح ديوان الشاعر المهندس تجد القصيدة الرابعة فيه يتدلى من فضاءها عنوان (الملاح التائه) (١٢)، وهذا لأن الشاعر علي محمود طه وسم الديوان كله بعنوان القصيدة. لكن اللافت هنا هو التخالل الدلالي بين العنوانين، وهو ناتج عن تغاير التجربة الشعرية في القصيدتين. فقصيدة البار تتحدث عن تجربة (الحضرمي) الذي كتبت عليه الغربة عن مسقط رأسه ومثوى صباه الأول فتشرد في الأفق يطلب مبتغاه، ولقد يجده، ولقد لا يجده. أما ذلك الحضرمي الذي يرسم البار صورته المعنوية في القصيدة فهو المتحدث عنه فيها، فلقد يكون الشاعر ذاته وقد تجلى في القصيدة من باب (التجريد)، ولقد يكون حضرميا آخر تلقط الشاعر أجزاء صورته من نماذج متعددة حتى اكتملت أبعادها فجاءت على النحو الموصوف في القصيدة. وأيا كان بطل القصيدة فهي تحمل شجنا اجتماعيا وهما غريبا يتجاوز دائرة الذات ومشاغلا النفسية وانفعالاتها الخاصة (١٣). أما الملاح التائه في قصيدة علي محمود طه فصورته لا تتجاوز شهورات الذات ورغباتها، وإن شئت الدهر في عموم، وهجر المحبوب الذي تمت وصاله ورجت لقياه. وبين الحاليين فرق من جهة الغاية والمقصد. على أن من القصائد ما يستدعي قصائد أخرى من جهة البناء وطرائق التشكيل. فقصيدة (كيف أشقى) (١٤) تستدعي في بنائها الشعري قصيدة إيليا أبو ماضي (لست أدري) (١٥) من جهة عروض النص - جاءت القصيدتان من بحر الرمل المجزوء، وتعددت في كل مقطع القوافي فصار لكل مقطع قافيته وحرف رويه - ومن جهة تكرار اللازمة، (لست أدري) عند أبو ماضي، و(كيف أشقى) عند البار. لكن البار خالف الشاعر المهجري الكبير في موضعين. أولهما أنه حرص على أن يأتي السطر الرابع من كل مقطع مكتملا وزنه (أربع تفعيلات كاملة)، وجعل اللازمة تفعيلة مستقلة في سطر مستقل (فاعلاتن). وثانيها أنه اتخذ للسطر الرابع

٣٧. قبيري ومأساة ميلادي على كتفي  
وحولي العدم المنفوخ والصخب (٨)  
سبعة أبيات يتعالق بعضها مع أبيات لأبي تمام فتستدعيها، ويستقل بعضها بلغته ورؤاه فيصعد في سلم الشعرية درجات على. فإذا كان البيت رقم (٣٢) يستدعي

اسمية مثبتة (السيف أصدق إنباء من الكتب)، ودلّ تقديم الجار والمجرور (في حده) - وهو في مقام الخبر - على اختصاص المبتدأ (الحدا) به، وانحصاره فيه للتمييز بين أشات الحالات، ومتناقضات المواقف.

## تصوغ الذات المبدعة الصور والرؤى في لغة تشف عن حضورها الإبداعي دون اتكاء على نص غائب أو حاضر، وهذه مسألة ذات أهمية لكونها تجعل عملية التناص جزءاً من التعبير اللغوي وليست كله .

قول أبي تمام:  
خليفة الخضر.. من يربع على وطن  
في بلدة.. فظهور العيس أوطاني (٩)  
وقوله في البيت رقم (٣٤) يستدعي قول أبي تمام:

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها  
تنال إلا على جسر من التعب (١٠)  
أما قول البردوني في البيت رقم (٣٣):  
أرعت كل جديب لحم راحلة  
كانت رعته وما - الروض ينسكب  
فيستدعي قول أبي تمام في وصف البعير:

رعته الفيا في بعدما كان حقبة  
رعاه.. وما الروض ينهل ساكبه (١١)  
إذا كان ذلك كله قد تجلى حاضره من غائبه، فإن في الأبيات أبياتاً تستقل بشعرتها عن هذا التداخل، وتنفرد بطرائق تعبير لا تمت إلى أية علة بنص غائب سابق. كمثّل قوله: (شبابه في شفاه الريح تنتحب)، (راحل في غير ما سفر)، (رحلي دمي)، (طريقي الجمر والحطب)، (أمتطي ناري وأغترب)، وقف على البيت رقم (٣٧) وسرّح الفكر في أبعاده الدلالية ستجد فيه ذاتا لم يعرفها أبو تمام ولا عصره. وسينتهي بك الفكر إلى أن (التناص) مدخل من مداخل قراءة (النص / القصيدة) ولا يصلح لأن يكون المدخل الوحيد لقراءتها. أقول قولاً هذا لألج منه إلى صور من التعالق النصي في ديوان البار هذا، تعددت مصادرها، وتتنوع نواتجها الدلالية، فجاءت على عدد من المستويات. منها مستوى العنوان في قصائد الديوان، فحين تفتح أولى صفحاته تلقاك أول

مثول النص السابق - بيت أبي تمام - في البنية السطحية للنص اللاحق - بيت البردوني - لا ينفى الغياب الكامن في المستوى العميق للنص اللاحق. حيث يثوي المسكوت عنه، ولعله المقصود من وراء استخدام بنية التناص في هذا المقام، أعني بذلك البحث عن (القوة) في مقام (الضعف)، و(التحدي) في ثنايا (الانكسار)، و(المغامرة) في أنساغ (اللكوص)، ومن هنا يترأى بيت أبي تمام ماثلاً في بيت البردوني وغائبا في آن. وثمة مسألة تتصل بما سلف وتتعلق بمقدرة الذات المبدعة على تصريف القول وفق ما تبتغي وتروم، وعلى ولوج مضايقه لجلاء مقاصدها من الكلام حين تملك اللغة تملك عزيز مقتدر، فتصوغ الصور والرؤى في لغة تشف عن حضورها الإبداعي دون اتكاء على نص غائب أو حاضر. وهذه مسألة ذات أهمية كونها تجعل عملية (التناص) جزءاً من التعبير اللغوي وليست كله. قال البردوني:

٣١. حبيب تسأل عن حالي، وكيف أنا؟  
شبابه في شفاه الريح تنتحب  
٣٢. كانت بلادك (رحلا) ظهر (ناجية)  
أما بلادي فلا ظهر ولا غيب  
٣٣. أرعت كل جديب لحم راحلة  
كانت رعته وما - الروض ينسكب  
٣٤. ورجت من سفر مضن إلى سفر  
أضنى .. لأن طريق الراحة التعب  
٣٥. لكن أنا راحل في غير ما سفر  
رحلي دمي .. وطريقي الجمر والحطب  
٣٦. إذا أمتطيت ركاباً للنوى فأننا  
في داخلي أمتطي ناري وأغترب





العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

قافية ورويا يتناغم مع الصوت المتكرر في  
اللازمة كما في قوله من القصيدة مثلاً  
شرودا ليس إلا:

كيف أشقى وزهور الروض في الروض تنوح  
وطيور الأرض بالالحن تغدو وتروح  
تنشق العطر شذياً في الروابي والسفوح  
فإذا حاكيتها فعلاً واحساساً وذوقاً  
كيف أشقى

وهو ما لم يفعله الشاعر المهجري الكبير،  
فاكتفى في السطر الرابع للمقطوعة بثلاث  
تفعيلات، وعدّ اللازمة (لست أدري) تكملة  
لتفعيلات السطر فصارت أربعة، دون أن  
يلتزم بحرف روي يتناغم معها كما في قوله  
من القصيدة مثلاً شرودا ليس إلا:

كم فتاة مثل ليلى وفتى كابن الملوح  
أنفقا الساعات في الشاطئ تشكو وهو يشرح  
كلما حدث أصفت وإذا قالت ترنج  
أحفيف الموج سر ضيعاه؟  
لست أدري

مما يشي بأن الشاعر البار وإن عمد إلى  
الاستدعاء، استدعاء النصوص السابقة إلى  
نصه اللاحق، لا يقف عند حدود ذلك النص  
السابق بل يخالفه لتوكيد خصوصية  
الذات الإبداعية. لكنه في قصيدته التي  
عنوانها (مع التونسي) (١٦) يتجاوز حد  
الاستدعاء إلى حد المعارضة، حيث بدت  
قصيدة الشاعر بيرم التونسي في السخرية  
من (المجلس البلدي) في مصر صوتاً قابله  
الشاعر البار بصدى تمثل في قصيدة يسخر  
فيها من (المجلس البلدي) الذي أنشئ في  
(حضر موت)، وكان الناس يتأملون منه خيراً  
لكن آمالهم خابت فاستحق سخرية الشاعر  
وتنديده فقد (طغى على حضرموت  
المجلس البلدي). والبار في قصيدته هذه  
يحتذي حذو التونسي في قصيدته من  
جهة الوزن فكلتاها من البحر البسيط،  
وفي توحيد القافية وحرف الروي حيث  
الترما (المجلس البلدي) في موضع القافية  
فكررها من أول القصيدة حتى آخرها.  
وكانت السخرية سبيلهما للنيل من ذلك  
المجلس في عصرهما. قال البار:

في كل يوم أرى سيارة ملئت

قمامة .. ورئيس المجلس البلدي  
وإذا كانت المعارضة هنا - وهي صورة  
من صور التناس - بادية للعين لا يخفى  
مصدرها، فإن قصيدته التي رثى بها

العلامة الحبيب عبدالرحمن بن عبيد اللاه  
السقاف، ومطلعها:

عبرت حياتك عزة وإباءً

واليوم تسمع لَمَمُونَ نداً (١٧)  
تستدعي إلى الذاكرة قصيدة أحمد  
شوقي في رثاء عمر المختار، ومطلعها:

ركزوا رفاتك في الرمال لواءً

تستنفض الوادي صباح مساء (١٨)  
فكلتاها على وزن واحد وهو (الكامل  
التام)، وقافيتهما وحرف رويهما واحد كما  
تري.

والبار في قصيدته (مع التونسي) يستدعي  
صورة من الأدب الأجنبي يمثلها قوله:

فمن بكى لي من الحرمان قلت له

اسكب دموعك عند المجلس البلدي  
وإن شكى لي رومي من صبايته

قلت اتصل برئيس المجلس البلدي (١٩)  
وهنا يستدعي البار العلم (رومي) من أدب  
شكسبير ليجعله علامة على العاشق  
المحروم الذي يرجو وصال من يحب ولكنه  
لا يقوى على الوصول إليه. وليس في هذا  
الاستدعاء من طريف، لكن النظر في  
دلالتة وصلته بما تلاه ينبئ عن طريف.

قصيدته كيف يشاء، ومن مثله صور أخرى  
يستدعي فيها أبيات شعراء سبقوه  
فيتناس معها، ولكنني أتجاوزها لأقف عند  
استدعاء الشاعر للموروث الديني كالذي  
نجدته في قوله معترفا بأخطائه وخطايه  
في كنف المصطفى عليه الصلاة والسلام:

أضعت زهرة عمري في هوى نهم

بين المظاهر أو بين المزامير  
ورحت أركض في لهوي وفي عبثي

وما تفرقت يوماً بالقوارير (٢٠)  
فالاستعارة التصريحية في آخر الشطر  
الثاني من البيت الثاني من هذين البيتين  
(القوارير) تستدعي إلى الذهن الحديث  
النبوي الذي رواه أنس كما في سنن أبي  
داود حيث قال: (كان أنجشه يحدو  
بالنساء، وكان البراء بن مالك يحدو  
بالرجال، وكان أنجشه حسن الصوت، وكان  
إذا حدا أعنت الإبل. فقال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم: ويلك يا أنجشه! رويدك  
سوقك بالقوارير) (٢١). فتلك هناك من هذه  
هنا. ومثله قوله في هذه القصيدة:

دعوتني فأجاب القلب داعية

كما دعا الله يوماً صاحب الطور (٢٢)

**تنبئ قراءة متن الديوان عن انغماس الإبداع في مشكلات المجتمع،  
وقضايا الأمة، ومستجدات الواقع المعيش، وعن انكفاء الإبداع  
على التعبير عن ذلك كله وجلاء صورته رغبة في  
إصلاح المختل وتقوية المعوج .**

وهو يعني بصاحب الطور نبي الله موسى  
عليه السلام، والطور في الأصل (الجبيل)،  
وليس علماً على مكان. والشاعر يستدعي  
قوله من سورة مريم: ﴿وناديناه من جانب  
الطور الأيمن وقربناه نجياً﴾ آية رقم ٥٢.  
ومثيلاتها من آيات القرآن الكريم التي  
عرض فيها جوانب من قصة موسى عليه  
السلام. وإذا وجدنا في البيت مأخذاً فإننا  
نجد الشاعر يدفعه عن نفسه بقوله تعالى:  
﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون. ألم تر أنهم في كل واد  
يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ (الآيات  
٢٢٦-٢٢٤ من سورة الشعراء). وتلك  
حجتهم من قديم الزمان وما تزال  
وستظل. وما لا يفعلون تنفسح في الدلالة

فروميو غدا مؤشراً على جملة العشاق  
الذين يرومون وصالاً (بغواني المجلس  
البلدي) (الكائنات قلوب المغرمين)  
واللاتي (تروي مكانسهن ألحان الغرام إذا  
ترنمت بأغاني المجلس البلدي)، فغدا  
مفرداً في صيغة الجمع. فإذا نظرت إلى  
فعل الأمر في الشطر الثاني من البيت،  
وهو مَقُول القول، تراءى لك رئيس  
المجلس البلدي في صورة مزدرة نُجِّلَ  
مقامه الكريم عن التردي إليها وهو ذو  
منزلة عالية ومكانة سامية. لكنه نزق  
الشعر وبدوات الشعراء. وحسبك هذا  
إيضاحاً. وفي كل صور الاستدعاء التي  
سلفت تجد المظان الأدبية هي مقصد  
الشاعر يتنقى منها ما يشاء ليوظفه في





71

العدد (4)  
أبريل  
يونيو  
2017م

قد دهاها في عهده ما دهاها

ودهاها من حكمه ما دهاها (٢٥)

فالجرحان من ألم، والدمعان من وادٍ.  
ولقد بدا ميسراً لنا الحديث عن (أنا)  
الشاعر البار في هذا الديوان كما جلته  
قصائده، لكننا أعرضنا عن ذلك ليتسع  
الحديث فيشمل محاور أخرى كشفت عنها  
القصائد فدلت على سعة في التجربة،  
واستغراق في وصف أبعادها. فصَحَّ لنا من  
ذلك خمسة محاور هي:

- ١- محور الذات المتكلمة في النص.
- ٢- محور الاحتجاج على الموجود دون البحث عن  
المنشود.
- ٣- محور الاحتجاج مع البحث عن المنشود.
- ٤- محور الموت.
- ٥- محور الدين.

وستتناولها محورا محورا بادئين بـ:

### محور الذات المتكلمة في النص:

تتراءى الذات المتكلمة في النص على  
صور متنوعة، تحتويها سياقات مختلفة  
وأنساق شتى. فهي تارة ظاهرة في مقام  
الاعتراف بالخطيئة:

إني هنا يا أبا الزهراء في كنف

يحيى النزيل ويرضي كل مقهور

قدمت أحمل آلامي ولي أمل

وأنت تعرف ما يعنيه تعبير

يا طالما خفقت روحي مصفقة

إذا تمثلت لي تصفيق مسحور

أبغى الفرار على شوقي فيقعدي

إني بماء الخطايا جدّ مغفور

أضعت زهرة عمري في هوى نهم

بين المزهرة أو بين المزامير

ورحت أركض في لهوي وفي عبثي

وما تفرقت يوما بالقوارير (٢٦)

هنا تتسلسل (الذات) من دائرة (الكلية)  
المطلقة (يحيى النزيل ويرضي كل مقهور)  
إلى دائرة (الخصوصية) المنحصرة في  
شجن الذات وانشطار وعيها بالحياة بين  
المزامير وبين الشوق لبلوغ متعة تتجاوز  
الآني إلى سرمدٍ سامٍ (يا طالما خفقت  
روحي مصفقة إذا تمثلت لي تصفيق  
مسحورا، ولقد تردد ضمير (الكلم) تسع  
عشرة مرة في ستة أبيات مما يشي برغبة  
الذات في التخفف من عبء الإثم الذي

وليل البار أعرق ظلمة فهو (الليل)، وامرؤ  
القيس يرجو انجلاء الليل ليقينه بإقبال  
الصبح، وليل البار لا صبح له فالحيرة فيه  
غير منقطعة (فما تدري متى هو ينجلي؟).  
وهكذا يبين لك أن البار ذو بصمة أسلوبية  
في شعره وإن احتذى سابقا من الشعراء  
وترسم بعض خطاه.

## تتسلسل الذات المتكلمة من دائرة الكلية المطلقة إلى دائرة الخصوصية المنحصرة في شجن الذات وانشطار وعيها للحياة بين ملذات تتعدد ألوانها ( المزهرة أو المزامير ) والشوق لبلوغ متعة تتجاوز الآني إلى سرمدٍ سامٍ .

### هواجس (الموضوع) في الديوان

تنبئ قراءة متن الديوان عن انغمار  
(الإبداع) في مشكلات المجتمع، وقضايا  
الأمة، ومستجدات الواقع المعيش. وعن  
انكفاء (الإبداع) على التعبير عن ذلك كله،  
وجلاء صورته برغبة في إصلاح المختل  
وتقويم المعوج، والتنديد بالقبح والظلم  
والظلم، والشر في كل صورته. ومع ذلك،  
وعلى الرغم منه، فقد اتسع (الإبداع)  
لهجوم الذات المتكلمة في النص فحضرت  
في متنه، وتعالى صوتها صافيا، وانتشرت  
في قصائد الديوان ممثلة بضميرها  
النحوي على مختلف صورته فاعلا ومفعولا،  
متصلا ومنفصلا، ظاهرا ومستترا. فما خلت  
منه قصيدة أو كادت، وإن اختلف مدى  
حضورها كثافة وانتشارا بين قصائد  
الديوان. فبينما تراه مهيمنا في قصائد  
مثل (حيرة وكيف أشقى وبالله يا جنبات  
الواد وحنين إلى الماضي وما أشبهها)  
حتى ليسم لغتها بالوظيفة التعبيرية تجد  
قصائد أخرى يزاحم فيها ضمير المتكلم  
سواه من ضمائر الغيبة والخطاب. بل  
ويتجاوز الحال شبكة الضمائر في الديوان  
إلى جوهر الناتج الدلالي في القصائد.  
فبينما تراه يصف لك معاناة وطنه من  
حاكم ظالم طاغ، إذا هو يمزج بين معاناة  
الذات وبين معاناة الوطن في معادلة تدنو  
من اتحاد الذاتين في كيان:

أنا أبكي من حكمه، وبلاد

منه تبكي بمدغم هتّان

حتى تشمل ما يتخيلون ويصورون  
ويشبهون. وفي جلالة تنزليها ما يحمي  
الشعراء من شطط أخيلتهم وحذقات  
ألسنتهم، وحسبك من القلادة ما أحاط  
العنق.

والبار قد تملك لغة شعره واستطاع بها  
الصعود درجات عليا في الشعرية، وتمكن  
من جلاء هواجسه وتجسيد رؤاه كما رام

وقصد، وإن لم يأت بتلك اللغة من صور  
الاستدعاء ما وجد سبيلا إليه ميسرا. قال  
(في رثاء ولده الصغير علي بن الحسين  
الذي غودر في طفولته في أثناء إقامة  
الشاعر بالحجاز) كما كتب في صدر القصيدة:

- ٩- أواه يا أمل الغريب — نورك المتهلل
  - ١٠- يا فضة العمر الكنيب وبهجة المستقبل
  - ١١- يا رفة الروض الخصيب ويا غناء الجدول
  - ١٢- يا فرحة الأم الحنون وبهجة العيش الجلي
  - ١٣- ماذا صنعت بأملك الولي ولما تحول؟
  - ١٤- أدميت مقتلها ولم ترحم بكاء المعول
  - ١٥- أجدبت حاضرها الضحوك برمية في المقتل
  - ١٦- وتركتها من — زنها في ثوب ليل أليل
  - ١٧- أرخى ستانره فما تدري متى هو ينجلي؟ (٢٣)
- فالأبيات من رقم (٩) إلى رقم (١٥)  
تتسلسل لغتها في تعبير استعاري يشف  
عن شجن عميق لفقد الطفل الصغير، عن  
عاطفة محترمة للأمل التكللي، وعن ألم  
معض في وجدان الأب الغريب النائي عن  
أحبته، حتى إذا ما وصلنا إلى البيتين (١٦)  
و (١٧) تراءى التناسل منبثقا من صورة الليل  
في معلقة امرئ القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدوله

علي بأنواع الهوم ليبثلي

فقلت له لما تمعل بصلبه

وأردف أعجازا ونا. بكلكل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجل

بصبح. وما الإصباح منك بأمثل (٢٤)

فقرب ليل الأم في قصيدة البار من ليل  
امرئ القيس وإن تخالفا، فليل امرئ القيس  
أشد شمولاً للوجود فهو (كموج البحر)





72

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

ييهظها، فكان اعترافها بالخطايا التي  
ارتكبتها وسيلتها في التخفف منها (قدمت  
أحمل آلامي ولي أمل.... أبغي الفرار على  
شوقي فيقعد بي...) فهل خلعت (الذات)  
عنها عبء آثامها؟ وهل اتحد شطراها بعد  
هذا الاعتراف؟ هذا ما سنراه في سياق غير  
هذا السياق.

والذات تظهر تارة أخرى في مقام الحسرة  
على فائت عزيز على النفس فقدها كأننا ما  
كان، طفلا من أبنائه، أو مصلحا بلغ في  
حماسه للإصلاح حد الزعامة، أو فنانا رائدا  
عز نظيره في الواقع الحضرمي كما نجد في  
قوله راثيا الفنان الكبير محمد جمعة خان:

ثرى توسد فيه متعب لغب

من رحلة في سماء الفن يطويها  
أعلى الشراع وولى بعدما عثرت

به أمانى كثر ظل يعليها  
وبلبل ما قضى من دهره وطرا

عبر الليالي التي قد عاش شاديها  
غنت على شدة الأحقاد راقصة

حيناً من الدهر قاصيها وذانيها (٢٧)

وتلقاها ثالثة في مقام الحنين إلى أشواق  
في النفس لا تتناهى، كما في هذه النجوى  
التي يبيت فيها شكواه إلى ربّه:

منك الإعانة والرعاية وبك الإغاثة والحماية  
مالي سواك مؤمل أرجو نداء لكل غايه  
أنت الملاذ وأنت إن أضنتني الدنيا نهايه  
إني بلطفك عائد فزع ألجج في الشكاية  
وهي ذات لم تنتف عنها الحيرة وإن أمضت  
في الحياة سنين عددا، وقاربت سن  
الكهولة نضجا، فتاهت بين رفاق جاءوا  
وقالوا كلاما:

وقال الرفاق إلا ما إلا ما

إلا ما التفتني

بحلو التثني

وسود الليالي وساع التهنّي

وبين رفاق آخرين قالوا كلاما مناقضا،  
يحثون به الذات على التفتّي:

وقالوا رفاق: تفتّن تفتّن

فإننا نصيخ، وإنّا وإنّا

فصف ما تراه

وصور رؤاه

وأترع وجودك من كل دنّ

ولم ينه فريق ثالث عن الغناء، ولكنهم  
نظروا في محسّات القبول فأوصوه  
بموضوعه خيرا:

وصف للحياة صنوف الحياه

وهول الظلام وجور الظفاه

وأرسل غناء

يروي الظماء

ويرسم أطياف يؤس وحزن

وصور حياة بدوت مثقله

من الوهم والبؤس والزلزله

فشعبك عبد

قد التفت قيد

برجليه، والقيد غير مرّن (٢٩)

ردده لي فلقد سئمت ملاحنا

أسنت ولا بست الحياه عوادي

عد بي إلى الماضي لأشهد لحظه

مرح الحياه .. وزينة الأعياد

عد بي إليه عساك تبعت نشوة

في باهت متلفع بسواد (٣١)

تنطلق (الذات) مع (الأخر) من دائرة

الأنس به، والركون إليه ليخفف بعض

الأمها، وينجيها من براثن حاضِر بئس

## لا تخفي الذات الشعرية ضعفها في مواجهة الحاضر ورغبتها في الفرار منه اعترافاً بالعجز عن تغييره وإن تمردت عليه، وحملت عليه في مظلان أخرى من المتن الشعري.

ترفضه، علّها تقنع في أكفّ ماض يهدد  
أحلامها وينعش أعماقها. وتلك نغمة  
عزفها شعراء (الوجدان) في تاريخ الشعرية  
العربية في عصرها الحديث، تجدها عند  
(الهمشري) كما تجدها عند (الشابي) ولم  
يخل منها (علي محمود طه) ولا (إبراهيم  
ناجي) في كثير من أشعارهم. وهنا تتراءى  
صورة (الأخر) في ملامح نعيم منتظر. لكنّ  
(الحياة) من حيث هي غائبة في حالة فعل.  
غائبة تعمل جاهدة في سبيل فردية،  
(والدنيا) بما هي وجود متعين متحقق  
يستحيلان جميعا لا ينقطع:

ذقت الحياة بها مرارة علقم

بين النواح تمرّ والعواد

وشربتها صابا بأنة مخلص

ممزوجة أو غمرة من عاد

ولذلك تتصاعد شكوى الذات من (الحياة)

(والدنيا) كونها لم تحظ منهما بأنس ولا

سلوى تلوذ بهما من شقاء ألم بها غير

منبت:

ماذا لقيت من الحياة سوى الأسى

والنائبات يقفن بالمرصاد

يا ويح لي ما كنت أعلم أنني

ومصائب الدنيا على ميعاد

أواه يا دنيا رأيكك قحمة

حدياء لا تحنو على الأولاد

تلديننا لمصائر مجهولة

ومسالك مبهوثة الأرصاد

وتلك شنشنة عرفتتها الشعرية العربية

فحملت الذات من كل هؤلاء وأولئك  
كلاما كثيرا يفخ لظى، وقولا قليلا يفوح  
عبيرا:

فاترعت كأسى

وقلت لنفسى

هم الناس ... فاستعجلي أو تاني

وتلك حيرة قد تفضي إلى حال من  
اللامبالاة، ويصير مأل الذات إلى صفات  
من الشقاء والتعاسة. فكان لا بد من  
انتفاضة داخلية تعمر المتهم، وتفتح  
للأمل أبوابا ونوافذ لتجدد صور الأمل  
رغم اليأس:

لي من النجم إذا رفّ جليس لا يمل

لي من الأنسام أنغام وأرواح وظل

وحديث ساحر الإيقاع للأحرار يجلو

فإذا ما همست في أذني واحدة منهن صدقا

كيف أشقى؟ (٣٠)

وهذه (الذات) لا تتجلى في المتن الشعري  
معزولة عن (الأخر) ولكنها تتجلى فيه ومعه  
وبه. وتتباين علاقتها به، فهو تارة (جسيم)  
لا يطاق، وفي أخرى (نعيم) تأنس به—  
(الذات)، وتقلب بها أحوالا بها تتقلب  
أحوال (الذات) وتتغير أجواؤها النفسية.  
ففي خطابها (الأخر) تنطلق (الذات) هاتفة  
به في مقام الالتماس والاستعطاف:

رَوّ القواد بخمرة الأباد

وأشع رؤاها في وجود الصادي

ردد بيبانك يا هزارفانتي

ظمى إلى هذا البيان النادي





73

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

- (٣) الأعمال الشعرية الكاملة: ص ٣٠.
- (٤) نفسه: ص ٢٠.
- (٥) نفسه: ص ٨٢.
- (٦) عتبات: عبدالحق بلعابد، ط ١، منشورات الاختلاف، عام ٢٠٠٨م ص ٦٨.
- (٧) لعيني أم بلقيس، عبدالله البردوني، ط ٢، دار العودة، ص ٨٣.
- (٨) نفسه: ص ٨٩ - ٩٠.
- (٩) ديوان أبي تمام ج ٣ شرح التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، ص ٣٠٨.
- (١٠) نفسه ج ١ ص
- (١١) نفسه ج ١ ص
- (١٢) الأعمال الشعرية الكاملة: شعر/ علي محمود طه، ط ١، دار العودة، ص ٣٧-٣٨.
- (١٣) الأعمال الشعرية الكاملة: شعر/ حسين محمد البار ص ١٩٩ وما بعدها.
- (١٤) نفسه ص ٢١٤ وما بعدها.
- (١٥) ديوان الجداول: إيليا أبو ماضي، ط ١، دار العلم للملايين، ص ٨٦م، ص ١٤٥.
- (١٦) الأعمال الشعرية الكاملة: شعر/ حسين محمد البار ص ٢٠٢ وما بعدها.
- (١٧) نفسه ص ٢٢٤ وما بعدها.
- (١٨) انظر الشوقيات ج ٣، ص ١٧.
- (١٩) الأعمال الشعرية الكاملة: شعر/ حسين محمد البار ص ٢٠٢ وما بعدها.
- (٢٠) نفسه ص ٢٣٩.
- (٢١) مسند أبي داؤود، حديث، رقم ٢١٦١.
- (٢٢) الأعمال الشعرية الكاملة: شعر/ حسين محمد البار ص ٢٣٩.
- (٢٣) نفسه: ص ٢١١ وما بعدها.
- (٢٤) ديوان امرئ القيس ط محمد أبو الفضل + إبراهيم، دار المعارف ص ١٨.
- (٢٥) الأعمال الشعرية الكاملة: شعر/ حسين محمد البار ص ٢٣٦.
- (٢٦) نفسه ص ٢٣٩.
- (٢٧) نفسه ص ٢٩٢.
- (٢٨) نفسه ص ٢٤١.
- (٢٩) نفسه ص ٢٠٥ وما بعدها.
- (٣٠) نفسه ص ٢١٥.
- (٣١) نفسه ص ٢٥٨ وما بعدها.
- (٣٢) ديوان أبي الطيب المتنبّي شرح العكبري ج ١ ص ١٢٤.
- (٣٣) سقط الزند لأبي العلاء المعري ط دار مكتبة الحياة، بيروت ص ٤٠.
- (٣٤) نفسه ص ١٦٣.
- (٣٥) انظرها في اللزوميات.
- (٣٦) سقط الزند: ص ١١١.
- (٣٧) الأعمال الشعرية الكاملة: شعر/ حسين محمد البار ص ٢٢١.
- (٣٨) نفسه ص ٢٢٢.

- ونبع شعري ووحى الخافق الدامي  
ودعت فيك عهداً تست أذكرها  
إلا وتصرخ أناتي وألامي  
ودعت فيك غوافي العمر حالمة  
ملأى الجوانب من شدو وأنغام  
مرت لياليك والأيام راكضة  
نشوى فيها ويح ليلائي وأيامي  
إني أقدّسها ذكرى وثمها  
روحاً فلا برحت روحي وأنسامي (٣٧)
- هنا (الأخر) مكان تأنس إليه الذات إذ  
تمحي من أعماقها فيه كل بلابلها وأساها  
فتلوذ فيه بما ينسيها شقاء يرهقها  
ويزيدها ألماً على ألم، فتراها تحيل المكان  
- وهو وادي دوعن - من مذكر لغة إلى  
مؤنث لغة، لأن الأنثى أنس القلب التائه  
والذات الحائرة، ناهيك بأن (المكان) إذا لم  
يؤنث لا يعول عليه) كما قال محيي الدين  
ابن عربي، ومن ثم كان الابتهاج رغم  
الشقاء:
- أنا الشقي ولكنّي سعدت بها  
في نفحة من عبير الناضر النامي  
في همسة الليل والأكون صامتة  
يذيبها قطرات منه خالدة  
ملء المشاعر من نبع الهوى السامي (٣٨)
- وللذات في هذا المتن الشعري صور أخرى  
سنلقاها في غير هذا المحور من محاور  
دلالية. وهذا إنما كان هكذا بسبب من أن  
الشعر عند شعراء الوجدان تعبير فلا تخلو  
القصيد من هواجس الذات وتصوير  
ذبذباتها الداخلية في كل موقف ومقام.  
ومن هنا وسم الواسمون لغة ذلك الشعر  
بالوظيفية التعبيرية لانكفائها على ذات  
المرسل في هجس شعري.
- الهوامش:
- (١) هي: اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، مركز عبادي للدراسات والنشر، دار حضرموت للدراسات والنشر. الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ.
  - (٢) م، صنعاء.
  - (٣) أقرأها كاملة في كتاب (الينبوع المتفجر، الشاعر حسين محمد البار) دراسات مختارة، جمع وإعداد: د. عبدالله حسين البار، مركز عبادي للدراسات والنشر، اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين. الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، صنعاء من ص ٣٣ إلى ص ٦٠.

- عند أبي الطيب الذي قال:  
كيف الرجاء من الخطوب تخلصا  
من بعد ما أنشبن في مغالبا  
أوجدنني ووجدن حزناً واحدا  
متناهيا فجعلته لي صاحبا  
ونصبنتي غرض الرماة تصيبني  
مجنّ أحد من السيوف مضاربا  
أظمتني الدنيا فلما جنتها  
مستسقى مطرت عليّ مصائبها (٣٢)
- ومن بعده ضجّ أبو العلاء بالشكوى في  
صور متنوعة:
- علائني فإنّ بيض الأمانني  
فنيث والظلام ليس بفان  
كم أردنا ذاك الزمان بمدح  
فشغلنا بدم ذاك الزمان (٣٣)
- تأملنا الزمان فما وجدنا  
إلى طيب الحياة به سبيلا  
ذرا الدنيا إذا لم تحفظ منها  
وكن فيها كثيراً أو قليلا (٣٤)
- ولم يقف عند ذلك بل جأر بتأففه من  
خساسة ما حوله، فقال:
- يسوسون البلاد بغير عقل  
فينفذ حكمهم .. ويقال ساسة  
فأف من الحياة وأف منّي  
ومن زمن رئاسته خساسة (٣٥)
- وقد قاده ذلك التذمر من الحياة إلى حال  
من استواء الأضداد في نفسه، فقال:
- غير مجد في ملّتي واعتقادي  
نوح باك ولا ترنم شادي  
وشبيه صوت النعي إذا قيس  
بصوت البشير في كل ناد  
أبكت تلكم الحمامة أم غنت  
على فرع غصنها المياد (٣٦)
- وتلك هي النتيجة التي اعترفت بها الذات  
في قصيدة (البار) فهتفت:
- سيان عندي صرخة نائح  
دامي الفؤاد .. ونفمة من حاد  
والذات لا تخفي ضعفها في مواجهة  
الحاضر، ورغبتها في الفرار منه اعترافا  
بـالعجز عن تغييره وإن تمردت عليه،  
وحملت عليه في مظان أخرى من المتن  
الشعري. لكنها تتجاوز ذلك الضعف بشيء  
من الأمل الذي يدفع الألم، بقليل من  
الأنس بالآخر الذي يحيل الشقاء رمادا بعد  
أن كان نارا محرقة:
- ودعت فيك صباباتي وأحلامي





# من ديوان "أصداء" للشاعر حسين بن محمد البار قصيدة "كيف أشقى"



د. ماهر سعيد بن دهرى\*

## كيف أشقى

كيف أشقى؟ لم أبك؟ والدُّنا تضعك حولي  
وغداً تمحو يد الأيام جُثماني وظلّي  
وغداً تُغرسُ ألحمانِي من جذ وهزل  
وسينساني من لم آله ذكرأ وشوقاً  
كيف أشقى!!!

كيف أشقى ومصيري في تلايف الظلام  
لست أدري ما ورائي؟ أرحيل أم مقام؟  
لست أدري ما ورائي؟ أحياة أم حمام  
كل هذا غامض ليس إليه الفهم يرقى  
كيف أشقى!!!

الغد المجهول يشقيني وكأس في يدي  
وبوسعي رشقها اليوم فلا أرقب شيئاً  
وإذا حطمتها خوف غد من شفتي  
وهبت اليوم لنجان وقتلت الكأس دفاً  
كيف أشقى!!!

كيف أشقى! وزهور الروض في الروض تفوح  
وطيور الأرض بالألحان تغدو وتروح  
تنشق العطر شدياً في الروابي والسفوح  
فإذا حاكيتها فعلا واحساساً وذوقاً  
كيف أشقى!!!

أيها البحر ألا أسطيع أن أفهم سرّك؟

مقاطع. كما ألزم الشاعر البار نفسه في البيت الرابع من كل مقطع بما لا يلزمه، حيث التزم بروي يناسب روي البيت الخامس، وهو مالم يلتزم به إيليا أبو ماضي.

وعودة إلى قصيدة "كيف أشقى" لنبدأ الحديث عن هذا العنوان الذي جاء جملة اسمية تبدأ باسم الاستفهام "كيف" الذي عكس حالة من القلق كما أنه يثير فضول القارئ حول هذا الشقاء ما سببه وما طبيعته؟ ولم يشقى الشاعر؟ أهو شقاء خاص أم شقاء عام؟ وهل تغلب الشاعر عليه أم لا؟ وهذه أسئلة يثيرها العنوان دون أن يعطي أي إجابة عنها.

إن العنوان الذي يعد عتبة تضيء النص فجأ القارئ بهذه الصيغة، وهو وإن كان يمنح النص عتمة لكنها العتمة التي لا تفتأ تنبج شيئاً فشيئاً لتضع القارئ أمام النص في حوار يستكشف خبيثه ويفض بكارته ليصل إلى لحظة الكشف والتجلي بعد الاحتجاب الذي لف النص للوهلة الأولى. وقد اعتمد النص في التأجيل الدلالي على الأسلوب الإنشائي، حيث اختار أسلوب الاستفهام كعنوان للنص، لأن الأسلوب الإنشائي يتسلط على القارئ تسلطاً ثنائياً، فيقرّبه من النص بهذا السؤال، لكنه في الوقت نفسه يثنيه ويبعده حين يغلق عليه سبل الإجابة ليظل في حالة ترقب وانتظار ناتج عن عدم حسم سبب الشقاء.

يثير النص الذي يبين أيدينا عدداً من الأسئلة الفلسفية التي تورق الذات المبدعة الحاضرة في هذا النص حضوراً طاعياً، وهي أسئلة محيرة لا تجد الذات المبدعة لها جواباً؛ لهذا تظل تلح عليه من

آه لو حـدثتني عنك فماذا كان ضرك؟  
سوف أحیی مثلما تحیی فمن يدرك غورك؟  
وإذا ما النّفس ضاهتك رحايات وعمقا  
كيف أشقى!!!

لي من النجم إذا رفّ جليس لا يمل  
لي من الانسـام أنغام وأرواح وظل  
وحديث ساحر الإيقاع للأحزان يجلو  
فإذا ما همست في أذني واحدة منهن صدقا  
كيف أشقى!!!

وإذا الليل احتواني فهو محراب صلاتي  
طالما أصغى إلى أنات قلبي وشكاتي  
طالما فجر في النفس معين الذكريات  
وإذا هدهد آلامي وقصد راق ورقاً  
كيف أشقى!!!

(١)

قصيدة "كيف أشقى" إحدى قصائد ديوان "أصداء" للشاعر حسين بن محمد البار، وقد نسجها على منوال قصيدة الطلاسم لإيليا أبي ماضي، حيث ترسم الشاعر البار خطى إيليا أبي ماضي، ولكنه لم يطابقه تمام المطابقة، بل اختلف النص الذي بين أيدينا عن نص الطلاسم في أمور وشابهه في أمور، فتشابه النصان في ما هو آت:

١. كل منهما مقسم إلى مقاطع .  
٢. كل مقطع في النصين مكون من خمسة أسطر أو أبيات، يختم البيت الأخير بكلمتين تترددان في كل مقطع (لست أدري) (كيف أشقى).

٣. الأبيات الثلاثة الأولى من كل مقطع تنتهي بروي واحد ويختلف روي البيت الرابع.

وأبرز أوجه الخلاف من حيث عدد المقاطع حيث بلغت في "الطلاسم" واحداً وسبعين مقطعاً، بينما في "كيف أشقى" بلغت سبعة





75

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

لست أدري ما ورائي؟ أحياء أم حُمام  
كل هذا غامض ليس إليه الفهم يرقى

فقد ترددت مفردات الموت والخوف من  
المصير المجهول والقـلق على ضياع  
سيرتها من خلال (تمحو يد الأيام جثمانى،  
وغداً تُخرسُ ألحاني، وسينساني من لم آله  
ذكرأ، كيف أشقى ومصيري في تلافيف  
الظلام، لست أدري ما ورائي؟ أرحيل أم  
مقام؟، لست أدري ما ورائي؟ أحياء أم  
حُمام).

فهذه الذات تقف محملة بهموم المضي  
نحو المجهول كنتيجة مباشرة للرحيل  
الذي هو قدر كل المخلوقات، ومبعث  
الخوف ليس الرحيل، ولكن من المصير  
الذي ستؤول إليه الذات بعد هذا الرحيل.

المحور الثاني هو محور الزمان: الذي  
ضم ستاً وخمسين مفردة، جاءت ثمان  
منها محددة بظرف الزمان (غداً، الأيام،  
غدا، الغد، اليوم، غد، اليوم، الليل) وقد  
تعلقت بالموت والخوف، ووردت ثمان  
وأربعون مفردة استوعبت الزمن الماضي  
والحاضر والآتي، وحظّ الزمن الماضي  
منها عشرون فعلاً تعلق زمن الماضي  
بالضياع أو الفقدان أو القلق أو بعث للخوف  
(لست أدري، ليس إليه الفهم يرقى، وإذا  
حطمتها، ووهبت اليوم للحن وقلت

ويشترك في إكسابها حالة الفقد والوجع )  
تُخرسُ ألحاني، الغد المجهول يشقيني،  
أصغى إلى أنات قلبي).

(٢)

وإذا ما انتقلنا من الحديث عن الذات  
لنخوض في الموضوع الذي دار حـوله  
النص نجده حديثاً عن ثنائية السعادة  
والشقاء، وقد تناولها في مجموعة من  
المحاور، يلتقي بعضها ببعض الآخر وقد  
يتصادم معه، لكنه في الأخير يخدم رؤية  
الذات المبدعة ويتلاءم معها بطريقة أو  
بأخرى.



## نسج الشاعر البار قصيدته (كيف أشقى) على منوال قصيدة (الطلاس) لإلياء أبي ماضي، ولكنه لم يطابقه تمام المطابقة، بل اختلف النص الذي بين أيدينا عن نص الطلاس في أمور، وشابهه في أمور.

الكأس دقاً، حاكيته، حدثتني، ماذا كان  
ضرك، ضاهتك، رفاً، همست في أذني،  
احتواني، أصغى، فجر، هدهد، راق ورقاً أما  
الزمن الحاضر فقد بلغ ثمانية وعشرين  
فعلاً حمل حديثاً عن شعور بالسعادة أو  
الحزن وما يرافقهما من شيوخ الروائح  
الطيبة أو الغناء، أو اندراس سيرة ونسيان  
وغيره مما يدور في مجالي السعادة والفرح  
أو الحزن والشقاء.

المحور الثالث: محور المكان: وقد حضر  
المكان في ثانيا النص حضوراً ظاهراً إذ  
تدور كل الأحداث في زمان ومكان،  
والمكان الذي ورد في النص مكان يبعث

المحور الأول: هو محور الموت والمصير  
المجهول الذي ينتظر الذات المبدعة التي  
بدت في صورة المستسلم لما سيجري  
والقلقـة على غياب مآثرها واندراس  
سيرتها، وخوفها من القادم نتيجة عدم  
معرفتها بما سيؤول إليه الحال: لذلك دار  
معجمه حول هذا الأمر في النص حيث يقول:

وغداً تمحو يد الأيام جثمانى وظلي

وغداً تُخرسُ ألحاني من جد وهزل

وسينساني من لم آله ذكرأ وشوقا

كيف أشقى!!!

كيف أشقى ومصيري في تلافيف الظلام

لست أدري ما ورائي؟ أرحيل أم مقام؟

خلال إعادة اللازمة "كيف أشقى" التي  
ينهي بها كل مقطع.

ويتكون النص من سبعة مقاطع كل  
مقطع مكون من خمسة أسطر تنتهي  
بجملة: "كيف أشقى"؟

وقد اتكا النص على بنيتين رئيسيتين  
هما: ( الموت والحياة) أو التدمير والتكوين،  
والسعادة والشقاء، وسيتم الحديث عنهما  
عندما نخلص إلى الكلام عن الموضوع.

والملاحظ في هذا النص الذي نقف معه  
أن الذات كان لها حضور طاغ، يمكن  
الادعاء معه أنها تسربت في كل جزئياته،  
ويمكننا ملاحظة ذلك من خلال عد أبيات  
النص ومقارنتها بتكرار الذات فيها، حيث  
إن النص مكون من خمسة وثلاثين سطرأ،  
ومع هذا فقد تكررت الذات فيها أربعاً  
وسبعين مرة أي بمعدل تكرارين في كل  
سطر، حيث تكرر ضمير المتكلم خمساً  
وأربعين مرة، وتكرر ضمير الغائب اثنتين  
وعشرين مرة كما تكرر ضمير المخاطب  
سبع مرات.

إن حضور الذات المتكلمة ضعيف الغائبة  
يؤكد حرصها على أن تبقى صياغياً ليتوازي  
هذا الحرص مع حرصها على البقاء الفعلي.  
ويلاحظ كثافة حضور الذات ( أنا) في  
مناطق بعينها، هي مناطق توحى بالشعور  
بالحزن والضعف والعجز(أشقى - أبك -  
لست أدري - لا أرقب - لا أستطيع أن أفهم -  
أحيى) أما الضمير (ي) الذي يعود للمتكلم  
فإنه تكرر في المواطن التي ورد فيها معلناً  
شعوراً بالوحدة، وإحساساً بالآلام، والخوف  
من المجهول (الدنا تضحك حولي، تمحو  
يد الأيام جثمانى وظلي، تُخرسُ ألحاني،  
سينساني، مصيري في تلافيف الظلام،  
لست أدري ما ورائي، الغد المجهول  
يشقيني، بوسعي رشفا، أه لو حدثتني، لي  
من النجم إذا رفأ جليس، لي من الأنسام  
أنغام، الليل احتواني فهو محراب صلاتي،  
أنات قلبي وشكاتي، هدهد آلامي).

أما ضمير الغياب فإنه يعمل في اتجاهين  
متضادين، فتارة يتلاءم مع حالة السعادة  
المفقودة التي تنشدتها الذات المبدعة  
لكنها كانت حاضرة فيما حولها: ( الدنا  
تضحك، في الروض تفوح، تنشق العطر،  
حديث سحر الإيقاع للأحزان يجلو، فجر في  
النفس معين الذكريات، هدهد آلامي، راق  
ورقاً) وتارة أخرى يعمل في الذات المتكلمة





76

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

على الفرح والسعادة أو هو مكانٌ من يعيش فيه يشعر بالسعادة، حيث بلغت مفردات المكان عشـر مفردات (الدنا تضحك حولي، لست أدري ما ورائي، ووهبت اليوم للحنان، زهور الروض في الروض تفوح، طيور الأرض بالألحان، تنشق العطر شذياً في الروابي والسفوح، البحر) فالأماكن يلاحظ عليها أن بعضها قد أخذ بعداً مطلقاً خالصاً للمكانية (حولي - ورائي) وبعضها بعداً بين المحدودية والاتساع (الأرض - الروابي - السفوح) وبعضها بعداً موسعاً (الدنا - البحر).

ثم تكتمل ثلاثية الزمن بالآتي الذي جسّد حالة القلق والحيرة التي تعيشها الذات، وقد بدا هذا واضحاً في مخاطبته البحر وحديثه عن عدم فهم أسراره، وتمنيه لو يخبره، ومع هذا فإنه يختار أن يحيا مثله، (سوف أحيي مثلاً تحيي).

(٣)

ويأتي الاستدعاء بوصفه سمة رئيسة تساهم في إكمال المعنى الذي نشدته الذات المبدعة، فمن خلاله يعمل على استحضار أصوات متعددة تتوازي في رؤيتها مع رؤية الذات المبدعة، سواء في معاناتها أو حيرتها، أو تفاؤلها وحزنها وسرورها.

وقد اختارت الذات المبدعة استحضار نص "الطلاسـم" بكل ما فيه من أسئلة فلسفية تحمل قلقاً حول أسباب السعادة والشقاء التي تتناوبها في مراحل أو أوقات محددة، وهي أسئلة لها من الوجاهة الشيء الكثير، كما أنها أسئلة أُرقت الفلاسفة والشعراء وهاهي تُورق الذات المبدعة التي لا تستطيع لها جواباً إلا في إعادة السؤال المتمثل في اللازمة "كيف أشقى؟" التي ينهي بها تساؤلاته المقلقلة والمحيرة.

وأول ما بدا هذا الاستدعاء واضحاً في النص بقوله:

لست أدري ما ورائي؟ أرحيل أم مقام؟

لست أدري ما ورائي؟ أحياء أم حمام

هذه العبارة التي أثر إيليا أبو ماضي تكرارها نهاية كل مقطع واختتامها بها التي تعني على الصعيد الفلسفي تعليق الجواب أو اللا أدبية الفلسفية عنده. فلئن غاب عن إيليا أبو ماضي كيف جاء إلى الحياة وإلى أين يسير وهو أمر يعكس حيرة وقلقاً

واضطراباً فإن الأمر ذاته تشعر به الذات المبدعة لكنه منصبٌ ومسأط فقط على أسباب الشقاء.

ولما كان من الاستدعاء ما هو امتصاص لنصوص أخرى، بوصف أن أي نص ليس خلقاً من العدم ووجوداً من لا شيء، وإنما قد سبقته نصوص مشابهة له، هذه النصوص تجعله فرعاً من أصل أو جزءاً من منظومة متكاملة، ولبنة في بناء عام، وحلقة تكتسب دلالتها من التصاقها بسواها من النصوص. أو هو على حدّ تعبير جوليا "كل نص يتشكل من تركيبة سيفيسائية من الاستشهادات، وكل نص

هكذا تظهر الذات المبدعة في نوع من التآلف والتقارب مع مكونات الطبيعة. وانطلاقاً من الروح التفاؤلية التي تسيطر على الذات المبدعة، فإنها تنظر إلى الأمور من جانب ترى فيه الجمال، فهي تعد الليل فرصة للاختلاء بالنفس ومناجاة المحبوب، بل تعدّي هذا الأمر لتجعل الليل متعاطفاً معها، فهو يصغي إلى أناتها وشكواها، يقول النص:

وإذا الليل احتواني فهو محراب صلاتي

طالما أصغى إلى أنات قلبي وشكاتي

طالما فحّر في النفس معين الذكريات

بخلاف إيليا الذي يجعل الليل سجاناً

**لئن كان أبو ماضي متشائماً في طلاسـمه يجعل الزهور تمنح عطرها مكرهة فإن الذات المبدعة هنا أرادت عكس هذا الأمر تماماً رغبة منها في رسم الابتسامة وبعث السرور، فجعلت الزهور تمنح العطر.**

يكابده قائلاً:

لم أجد في القصر شينا ليس في الكوخ المهيمن

أنا في هذا وهذا عبيد شكٍ وبتقين

وسجين الخالدين الليل والصبح المبين

هكذا اكتفت الذات باستدعاء التجربة اللادرية من حيث الأسئلة الفلسفية التي أثارها لكنها استطاعت أن تكون تجربة أخرى من خلال المخالفة في طبيعة الأسئلة حيث ناقشت الذات المبدعة أسباب الشقاء التي تجعل الناس يضيعون أنفسهم ما ملكو وهو الوقت في أمور تافهة.

(٤)

ولما كان النص الذي بين أيدينا نصاً لغوياً في المقام الأول والأخير، فكان لزاماً الوقوف على الصياغة بوصفها الإطار الذي يستوعب النص، أو الوعاء الذي يشكل النص؛ ذلك أن الخطاب الأدبي يفرض تقاليده علينا في تعاملنا مع هذا النص أو ذلك.

وأول ما يواجهنا في التعامل اللغوي هو اعتماد النص على الجملة الفعلية رغم أن أول شيء نقابله هو الجملة الاسمية التي عنون بها النص، إذ تبلغ الجمل الفعلية اثنتين وثلاثين جملة، بينما بلغ عدد الجمل الاسمية خمساً وعشرين جملة، وهو ما يعني ميل الدلالة نحو التجدد، وأن الذات تميل إلى تجدد الأمل وتوسيع دائرة

هو امتصاص أو تحويل لنصوص أخرى (١)، لما كان ذلك كذلك فقد متحت الذات المبدعة من نص "الطلاسـم" معنى يعكس انتشار الروائح الطيبة التي جادت بها زهور الروض حين قال:

كيف أشقى! وزهور الروض في الروض تفوح

هذا المعنى الذي تماهى مع قول إيليا:

وزهور الأرض تشفي مجبرات عطرها

ولئن كان إيليا متشائماً في طلاسـمه يجعل الزهور تمنح عطرها مكرهة فإن الذات المبدعة هنا أرادت عكس الأمر تماماً؛ رغبة منها في رسم الابتسامة وبعث السرور فجعلت الزهور تمنح هذا العطر، وكل ما يحيط بهذا الجو كان باعثاً للسعادة وناشراً منهج التفاؤل:

كيف أشقى! وزهور الروض في الروض تفوح

وطيور الأرض بالألحان تغدو وتروح

تنشق العطر شذياً في الروابي والسفوح

وحين يخاطب إيليا البحر فإنه يستخدم لغة فيها نبرة من التعلالي والاستكبار قائلاً:

فيك مثلي أيها الجبار أصداف ورمـل

إنما أنت بلا عقل ولي في الأرض ظل

إنما أنت بلا عقل ولي، يا بحر، عقل

بينما تخاطبه الذات المبدعة بنبرة هادئة لا استكبار فيها حين تقول:

لي من الانسـام أنغام وأرواح وظل

وحديث ساحر الإيقاع للأحزان يجلو





77

العدد (4)  
أبريل  
يونيو  
2017م

ويستخدم النص بنية المقابلة ويخرجها عن دائرة التعامل مع المؤلف التي يقدمها المعجم إلى دائرة التداخل التي تزيل حدة المفارقة وتكاد تلغي الثنائية، فتشكل بنى طارئة تجمع بين التضاد والتوافق على صعيد واحد (جد وهزل) و(أرحيل أم مقام) و(أحياء أم حمام)، و(تغدو وتروح). واستخدم النص بنية الجناس التي تعمل على مستوى الإدراك السمعي والإدراك البصري، فقد وظفها النص وغالباً ما كان يختار القافية لتزيد من حدتها الإيقاعية مثل:

كيف أشقى! وزهور الروض في الروض تفوح  
وطيور الأرض بالأنغام تغدو وتروح  
وكذلك في قوله:

أيها البحر ألا أسطيع أن أفهم سرّك؟  
أه لو حدثتني عنك فماذا كان سرّك؟

كما استخدم النص بنية التكرار، وهي بنية لها طبيعتها الإيقاعية العالية، فالتكرار في حقيقته إلحاح على جهة هامة في العبارة يعني بها، ويسلط الضوء على نقطة حساسة فيها، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها أكثر من عنايته بسواها، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة، فبالإضافة إلى تكرار النص عبارة "كيف أشقى" في كل مقطع فقد جاء التكرار في قوله:

لست أدري ما وراني؟ أرحيل أم مقام؟  
لست أدري ما وراني؟ أحياء أم حمام

ولأن التكرار ليس مجرد ترديد كلمة معينة، أو عبارة محددة، بل هو وسيلة لغوية يحملها الشاعر نبضه وعاطفته، بوصفه مرتبطاً بالحالة الشعورية التي تلح عليه ولا تغيب عنه فقد ورد التكرار في النص في أثناء حديثه عن مسامراته قوله:

لي من النجم إذا رفاً جليس لا يمل  
لي من الأنسام أنغام وأرواح وظل  
وحين تحدث عن تعاطف الليل معه قال:

طالما أضغى إلى أنات قلبي وشكاتي  
طالما فجر في النفس معين الذكريات

وبهذا نكون قد أنهينا قراءتنا لقصيدة (كيف أشقى؟).

\* أستاذ الأدب الحديث والمعاصر المشارك -  
كلية الآداب جامعة حضرموت.

(١) أحمد الزعبي: التناس نظرياً وتطبيقياً، الطبعة الثانية، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع - الأردن، ٢٠٠٠م، ص ١٢.

آثارها (تمحو يد الأيام جثمانى وظلي) وإسكات أحنائها (تخرس أحناني) ومحاولة الغد تنغيص حسياتها (الغد المجهول يشقيني) إلا أن الذات استطاعت أن تحصل على تعاطف جزء آخر مكون من النجوم والأنسام والأنغام ما جعلها تشاركه وتهمس متعاطفة معه (همست في أذني واحدة منهن) وليس هذا فحسب، بل لقد شاركه الليل كل معاناته واستطاع تحويل

يقوم نص قصيدة ( كيف أشقى؟ ) على ثنائية (الموت والحياة) أو التدمير والتكوين، والسعادة والشقاء، لذا اتكأ النص على المفارقة التي تجمع بين الشيء وضده، وهو أمر يزيد من عمق النص .

وقت الوحدة إلى خلوة يختلي مع محبوبه الأسمى ليبعث في نفسه الطمأنينة والراحة والسعادة (وإذا الليل احتواني فهو محراب صلاتي)، ولم يكتف بهذا بل لقد شخّص الليل فجعله كثير التفاعل معه من خلال: ( طالما أضغى إلى أنات قلبي وشكاتي)، بل وجعله أضاً سبباً لبث السعادة من خلال: ( طالما فجر في النفس معين الذكريات)، ويزيد من تعاطف الليل معه فإذا هو يخفف الآلام ويبعث الشعور بالراحة التي تملأ نفسه بالسعادة الفامرة (وإذا هدهد الآمي، وقد راق، ورقاً كيف أشقى؟).

أشرنا سلفاً إلى أن النص يقوم على ثنائية: ( الموت والحياة ) أو التدمير والتكوين، والسعادة والشقاء؛ لذا اتكأ النص على المفارقة التي تجمع بين الشيء وضده، وهو أمر يزيد من عمق النص بوصفه فاقداً للفروق الحاسمة داخل الأضداد المذكورة، وقد استخدم النص بنية التقابل خمس مرات، جاءت بصيغة الفعل مرتين وبالصيغة الاسمية ثلاث مرات، وردت أولى الاستخدامات في قوله: (لم أبك؟ والدنا تضحك)، فالتضاد بين البكاء والضحك يقود إلى وجود فاصل بين الطرفين خصوصاً إذا نظرنا أن الفاعل في صيغتي المقابلة اثنان يتفقان في أن كليهما ضميراً مستتراً، ويختلفان في أن أحدهما للمتكلم الحاضر المذكر، والآخر للغائب المؤنث، ففي الأول الفاعل (أنا) وفي الثاني الفاعل (هي).

التفاؤل، مع محاولة لتحجيم دائرة الشقاء المتمثل في الجملة الاسمية التي تدل على الثبوت. وتبلغ الأفعال المضارعة واحداً وثلاثين فعلاً بينما تبلغ الأفعال الماضية فيها عشرين فعلاً وهو مؤشر على الرغبة الداخلية في نشر التفاؤل والسعادة للخلاص من الشقاء الذي تعانیه الذات المبدعة. وعند قراءتنا للنص الذي بين أيدينا نلاحظ أن الدوال انزاحت عن مرجعيتها

المعجمية أو العرفية، ولم تتمسك بها، بل لقد حاولت التخلص من هذه المرجعية بدخولها في دائرة المجاز وما يتصل به؛ لتحلق في دائرة الشعرية، ولتتمكن من ممارسة فاعليتها الإنتاجية بعيداً عن مراجعها التقليدية التي تقيد بها بإطار معلوم لا يحدث تأثيراً في المتلقي.

فقد وظف النص بنية الاستعارة المكنية اثني عشرة مرة تمثلت في: ( والدنا تضحك، تمحو يد الأيام، تخرس أحناني، الغد المجهول يشقيني، وهبت اليوم للحن، همست في أذني واحدة منهن، الليل احتواني، أضغى إلى أنات قلبي، فجر في النفس، هدهد الآمي، وقد راق، ورقاً).

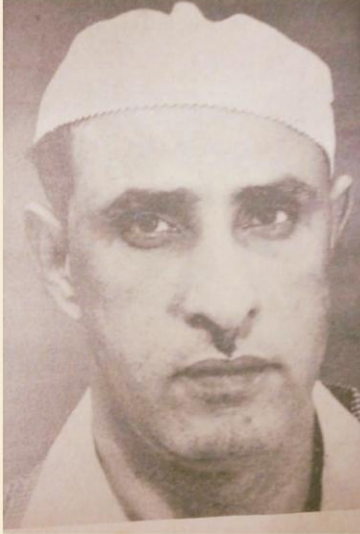
ففي الاستعارات السالفة لاحظت تخلص الجمادات من دلالتها المعجمية لتحمل دلالة أخرى، قادرة على الفعل وبث المشاعر فيما حولها والتأثير على الحالة النفسية لمن يعيش حولها، وإن كان الغالب فيها بعث الشقاء، إلا أننا نلمح شيئاً من السعادة يلوح في قوله: (والدنا تضحك حولي)، صحيح أن هذا الضحك قد يثير شيئاً من الحزن في نفس الذات المبدعة، لكنه في الوقت ذاته يسبغ الحياة بلون وطعم السعادة وإن بدواً خارج الذات.

هذا الكم الكبير من الشقاء والتعاسة التي رسمتها الذات المبدعة في تصويرها لما حولها لم يكن بمقدوره الانتصار على إرادة الذات المبدعة في نشر السعادة، فقد استطاعت الذات المبدعة التغلب عليها، وقد رسمت لنا الأيام وهي تسعى لمحو





# بعد العشق في شعر البار



هذه الصفحات من المتابعات عن ترجمة الشاعر حسين بن محمد البار، وهي تتناول بُعدَ العشق في حياته، وقبل أن نمضي في متابعة هذا البعد سنلج بالقارئ إلى مدينة الشعر الباري، قاصدين السوح في منطقة العشق والهوى، دون المناطق التي تحتوي على المديح والهجاء، والتغني بالوطن.

إن هذا القصد من المتابعة يتغيا تحسس تضاريس هذه المدينة العاطفية والوجدانية ناظرين إلى الكيفية التي رسمها الباب بأصابع قلبه لمعشوقته، وكيف تعامل مع هذه الصورة التخيلية التي تضيق بالواقع ولا تطيق احتمالاً وتلوذ باللغة وتقصد من حساسية دواها وبريق جمالها وسحر مفاتها هذه الصورة، بعد أن تغذيها بحرارة التجربة الحية واشتعالها الصادر من بحيرات الوجدان النائرة، والقارئ المتابع لن يتردد في إدراج هذه الصورة ضمن الأرشيف الرومانسي، الذي امتاز شعراؤه

بالعاطفة الملتهمبة التي لا تحمد، وبالنظر إلى هذه العاطفة بوصفها عاطفة مقدسة لا تخلو من سر إلهي أو بها قبس من نوره، وحين يقلب القارئ هذه الصورة ويعثر على عناصر من الطبيعة كالطير أو النخيل أو الماء أو النار يدرك تماماً بأنها لا تذكر عبثاً، بل لإذكاء عاطفة الحب وتصاعد لهيبها، وفي مثل هذه الأجواء العامرة والغامرة بالعاطفة يتشكل خطاب شعري حماسي يحتفي بنفسه، ويعمق حقائقه الداخلية، ويغذي حقائقه بالانفلات من الواقع، والإفراط في المبالغات الخيالية التي تعني لها مجداً وجدانياً على حساب الواقع الذي تضيق به ويضيق بها.

وسلاماً. إن اللا منطق يصبح هو المنطق في هذه العلاقة، واللا معقول يصير هو المعقول، إن العاشق يستسلم استسلاماً تاماً لمعشوقته ويرضى بأن يكون عبداً لها وهي معبودة له، إنها عبودية الحب وليست عبودية السياسة التي تتأسس على القهر والعنف والقوة وليس على التراضي والاختيار مثلما هو الحال في الحب.

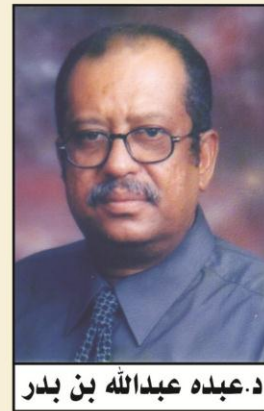
إن الشاعر مأمور بالحب من ربه ولا يعصي له أمراً، إن الحب ليس سلوكاً عابراً بلا غاية وبلا معنى، بل عبادة وفي هذا يقول الشاعر البار:

**دعي شاعراً يعبدُ جمال عاكفاً**

**عبادة من يهوى كما أمر الربُّ**

إن الشاعر يفتخر بهذه العبادة وهي عبادة لا مشاحة فيها يسبح العاشق بحمد الجمال.

الثالث، الذي ذاق فيه طعم الهدوء والاستقرار والسكينة، كما أقرت بذلك الترجمة نفسها. ولعل هذه التجربة في الهوى والعشق تفرز من تلك الفكرة التي تلج أن جغرافيا الزواج ليست هي المناخ المناسب لأشجار العشق؛ إذ لا تجد هذه الأشجار مياه كافية من الود والتلقائية والحرارة التي لا يحيا العشق بدونها، ومع مرور الزمن تجفف ينابـيع الهوى في جغرافيا الزواج. ولا حضور في الزواج إلا لتبعات الواجب وتحمل أعباء الحياة ونقلها الرتيب المضجر والملل، وعليه فإن الزوجة لا يمكن أن تكون معشوقة وزوجة في الوقت نفسه، فالمعشوقة منطقة جاذبة يستريح القلب فيها ولو اكتوى بنارها. وهذا ما ينطبق على البار الشاعر الذي لا يفرط في معشوقته حتى لو تعادت في صدها وهجرها يتمادى هو في عشقها، حتى نارها ولهيبها لا يرى فيها إلا برداً



د. عبده عبدالله بن بلدر

إن هذه الصورة الشعرية الرومانسية لها حضور جلي في شعر البار، الذي شرب من كأس الحب، ولم يكتفِ بشربة واحدة بل عاود الشرب، ولم يمنع قلبه من التدفق والخفقان لبيض الحسان. وليس هذا حسب بل إن تجربة الزواج لم تمنحه حصانة من فتك الحب ولواعجه؛ إذ ظلت هذه الحصانة منتهكة حتى بعد زواجه





79

العدد (4)  
أبريل  
يونيو  
2017م

الهوى من العاشق أن يستमित على العهد، ويبذل كل طاقته من أجل إسعاد معشوقته بالفن الجميل والكلام المعسول حتى إذا وقع على قلب معشوقته يلصق بها ويتغلغل إلى كيانها ولذا يقول:

**إني أنا الغريد في فنن الهوى**

**ولكم سقيتك من بديع فنوني**

**وأنا الحريص على الزمام وإن جنى**

**وأنا الذي شرع المحبة ديني**

وحين يريد العاشق أن يؤكد عشقه لمعشوقته يذهب إلى المعجم المقدس. ويصنع من دواله عبادة أهل الهوى والعشق، ويضع نفسه عبادة العابد للمعبود، ويرسم لهذا المعبود صورة في القلب، ولكنه لا ينسى وهو في حضرة هذه العبادة أن يقدم اسم الخالق ويجعل له الأولوية في القلب.

ويصنع من دواله عبادة خاصة تحت عنوان الهوى والعشق، ويضع نفسه عابداً مخلصاً لمعبوده المرسوم اسمه في قلبه يهتف له النشيد تلقائي ينبع من القلب نفسه وعبر عن ذلك بقوله:

**أمن الحق أن أعبد رسمك و خيالك**

ما سوى اسم لك، ثم اسم لربي يعبد فيه ينشدُ إن هذا الشاعر الذي يتنفس برئة العشق والهوى يعلن أن كيانه برمته يذوب في محيط الحب، وحواء الاسم الجامع لكل المعشوقات تعرف أنه قطرة في محيطها، وفعل العشق هنا يكسر سور الخصوصية وينطلق إلى فضاء العمومية، وهذا المعنى بلغة الشعر على النحو الآتي:

**أين حواء؟ فأسألوها لم يفن**

**فؤادي في حبها للهب**

وبمثل هذه المشاعر التي ترفع من لواء الحب لا تعجزه الحيلة حين تتعذر اللقيا فيلجأ إلى اللوذ بالأبدية، وهي أبدية لغوية بالتأكيد في الأبدية يكون التسامي والتجاوزات للثرات إذ تسقط حسابات الزمن المتناهية وتنتصر حسابات العشق الابدية التي تتغلب على قهر الزمان، وتطير روح العاشق لتحلق في فضاء الخلود. إن قيمة الحب هي من قيمة

أوردته، كل هذا لا يبذل سنّة الحب عنده، ولأنه يدرك تماماً أن الأذى الذي يصدر منها هو نعمة منها، ولو يعرف أن هذا الأذى صدر من مخلوق غيرها لزلزل الأرض بكل من عليها، إنها المبالغة في التصوير والتعبير عن إخلاصه. هذه سمة من سمات الرومانسية، ويبدو أن هذه اللغة التي تمنح من المعجم القــرآني في ديوان الشاعر مثل زلزلة الأرض زلازلها، ربما هي التي أوحى لنص الترجمة الخاصة عن

**إن اللامنطق يصبح هو المنطق في علاقة الحب، واللامعقول يصير**

**هو المعقول، فيستسلم العاشق استسلاماً تاماً لمعشوقته**

**ويرضى بأن يكون عبداً لها.. إنها عبودية الحب.**

الشاعر حسين البار أن تختار عنواناً ينتمي إلى البنية اللغوية القرآنية مثل (هل أتاك حديث الهوى).

إن الشاعر في قصيدة (رحماك) كرر فكرة الفداء، وهي فكرة يفرضها مطلب الواجب الديني نحو المقدس، فالمرء لا يقدم على الفداء اعتباطاً بل تفتاناً وعشقا لهذا المقدس، ولذا يعلن الشاعر:

**أقدس إله الحسن دون تردد**

**وعبد حقيقته بلا إشراك**

إن الشاعر حين يفصح عن عبادته لمعشوقته لا يرضى أن تنفصل هذه العبادة عنه، وبما أن العبادة تقتضي أن يبني محراباً من أجل العبادة، فيرى أن أفضل مكان لبناء هذا المحراب هو قلبه، إن الشاعر يحمل معشوقته معه أينما حل وأينما ارتحل، ومن ثم ليس هناك مكان مناسب للحفاظ على سلامته وعافيته مثل القلب ويدفع به غيابها إلى أن يتعلق بأشائها المفضلة لديها مثل عطرها الذي لامس أنفاسها وانتشر في كيانها، فيشكو إليه فراقها ويطلعه على حاله، ويؤلمه أشد الألم أن تنسيه معشوقته ولو لثانية واحدة، ليس هذا حسب بل ولو بمقدار غمضة عين، ولذا يلجأ على هذه المعشوقة أن تلجأ بذكره على الدوام في غيابها قبل حضوره، حتى يضمن استمرار هذا الذكر، لا يربطه بالجسد الفاني، ويجعل محركه وحافظه الروح الأبدية، ويقتضي شرع

إن الشاعر لا يتحمل الأذى مهما صغر حين يكون صادراً من الآخرين ويواجه الأذى مواجهة عنيفة ولسوف يزلزل الأرض ومن عليها ليصد هذا الأذى، ولكن حين يكون من حبيبته فهو يحتمله ولو كان كبيراً. إن الشاعر يُقلب صورة العشق، ولكن هذا التقلب محكوم بالإخلاص والتفاني في هوى المحبوب، فهو لا يحتمل الفراق ولا تسكب دموعه دمعاً مثل خلق الله، بل تسكب دماً لا يتوقف عن النزيف.

إن التعبير عن عشقه لا يصل إلى الذرى بالمجان، بل بالدخول في دنيا الموت ليحيا الحب ويكبر في عين معشوقته، إنه لا ينسى تلك القبل التي استطعم مذاقها، وعلى الرغم من ذكره هذه المتعة الحسية فإنه لا يسـرـف في ذكرها، إن فراق المعشوقة يعصر جسده وكيانه ككل إلى درجة النزيف، ومقابل هذا العشق العظيم يتوقع من معشوقته أن ترتفع معه إلى مستوى الشغوب بحرقة الفراق، ولذا نراه يهمس معشوقته ويقول لها:

**فإن فراقك مر المذاق**

**فبالله كيف وجدت الفراق**

إن العاشق في لحظة الوجد الشديد تتنامى درجة الحساسية عنده وتصير غاية في الشفافية فيرى في معشوقته كياناً مقدساً منحه السماء، ومن الطبيعي أن يكشف المقدس عن مضمونه وتتجلى قدسيته.

فهو الروح المحلقة والضياء الذي يشعشع ويتلألأ. ومثل هذا الكيان المقدس يستحق الفداء والتضحية.

إن الشاعر لا يتعامل مع معشوقته بطريقة قاسية تقوم على ردود الأفعال ومواجهة الهجر بالهجر أو الصد بالصد، بل يتعامل معها وفق سياسة الاستسلام المطلق، ولا يثنيه عن هذه السياسة جـودها ولا تفننها في تجريعه الويلات والالام التي تجرف وديان قلبه وتقطع





80

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

الخلود وكل مادونها مسترذل .

ومن نافلة القول أن ينظر الشاعر البار إلى معشوقته ابنة الوادي بوصفها الولي الذي لا يصغي إلا إليه ولا يطيع سواه ولا ياتمر إلا بأمرها.

إن الحب الجارف والخوف على المحبوب من الأذى وغدر الزمان وغيون الحساد يرفع الشاعر إلى أن يذهب بمعشوقته إلى أماكن عصية، بل يريد أن يغيب عن الوجود المرئي ويضعه في الوجود المخفي فيقول:

**كل من حب يطبق عليه الدف**

**يلقيه وسط العين والنون**

يحسب لهذه السيرة الغيرية التي كتبها الدكتور عبد الله حسين البار بعنوان الشاعر حسين البار توجعها الذي اعتنى بالجانب العاطفي في سيرة الشاعر (حسين بن محمد البار)، مما أعطى لهذه السيرة قيمة أدبية وفنية، لأن سيرة تهمل هذا البعد العاطفي ليست بسيرة، بل يمكن للمرء أن يشك في هويتها الإجناسية ولا يمنحها جواز مرور لإدراجها ضمن أدب السيرة الغيرية إذ يعد البعد العاطفي بعداً أصيلاً في هذه السيرة رسخته بعد صراع مع التوجهات التقاليدية التي تهمل هذا الجانب الإنساني الحي الذي من أجله يقيم المرء الدنيا ويقعدها في بعض الأحيان .

إن المترجم بمثل هذا الفعل الشفاف يمد الجسور بينه وبين القارئ وينفتح عليه ويطلع على هذه التفاصيل الخفية فيرفع عنها الغطاء، وبهذا الرفع يكسب ثقة القارئ ولا يتعالى عليه بما يعرفه عن الشاعر البار ويصطحبه إلى هذه التفاصيل الحية، ويستعيد معها ثانية من الماضي البعيد فيصباح لها معنى وطعم آخر، يتذوقها القارئ وتثير عنده تداعيات وأسئلة، ولعل السؤال الذي يبحث له القارئ عن جواب . هو لماذا كانت صورة العاشق المحروم في الشعر الوجداني للبار هي الصورة المهيمنة؟ ولعل هذا الجانب العاطفي من السيرة هو الذي يفسر هذه الصورة وعمقها كما سنرى في الصفحات اللاحقة.

إن التجربة العاطفية هي تجربة إنسانية لا تحدث للأشجار والأحجار، والإنسان من بين جميع الكائنات الحية هو الذي يعشق

ويهوى ويختار من يهوى ويعشق ولا يفرض عليه الاختيار من خارجه، بل من داخله.

ولقد وعي المترجم هذه الحاجة الإنسانية ورأى من الضرورة أن يفصح عنها بقدر ما حصل عليه من معلومات من هنا وهناك، ويبدو أن المترجم قد تردد في بداية الأمر في تضمين سيرة البار هذا الجانب العاطفي، لكنه حسم أمره ومضى غير مبال بالقليل والقال وانتصر للفن والحقيقة ونبض الحياة الإنسانية، ولعل المتأمل للغة المستخدمة في العنوان ربما يؤكد حدس القارئ بشأن تردد المترجم.

والقارئ وهو يتأمل هذا العنوان الفرعي الذي ارتضاه المترجم يتعيا تهيئة شعورية خاصة ويدرك أن المترجم سيتحدث عن أمر خطير وجلل ولذا أدرج هذا الحديث ضمن الكتلة اللغوية الجليّة، التي يقشع لها البدن وترتجف لها الروح ويهتز لها الكيان البشري برمته حين يمضي في تقليب صفحات قصة العشق عند البار يتضح له مدى مرارة هذه التجربة

تجعض هذا القول الحر فامنحوا من ذاكرة الزمن وأصبحوا نسياً منسياً .

إن هؤلاء الشعراء الأبطال يمثلون شاهد حال على تغنت العقلية القبلية التي تسيء للشعراء الأحرار من أمثال البار فعاش يكابد ويعاني من العنت الذي تكرر معه أكثر من مرة، إذ كان يقمع في كل مرة يسمح لنفسه فيها أن يدخل مدينة العشق، (لقد تعرض الشاعر البار للهوى مرتين في إطار قريته وواديه، وثالثه حين ثوى في المكلا واتخذها مستقراً له ومقاماً) وفي المرة الأولى وقف أهله (ضد رغبته في شراسة وأبوا عليه تحقيق تلك الرغبة فانكسر قلبه، وانزوى في ضلوعه باكياً شاكياً أكثر من شعر الشكوى والأنين).

ولم يقتصر الأمر على هذا الرفض، بل خُطبت لابن عمه من لحمه ودمه وكان هو الأولى بها (( وهاله أن الشيوخ والأمهات لم يعترضوا على ذلك، بل باركوه فرُفت الحبيبة إلى غير من أحبها وأرغمت الأيام عاشقها أن يكتب لابن عمه قصيدة تهنة

**يحسب للسيرة الغيرية التي كتبها الدكتور عبد الله حسين البار عن أبيه بعنوان (الشاعر حسين محمد البار) توجعها الذي اعتنى بالجانب العاطفي مما أعطى لهذه السيرة قيمة أدبية وفنية، لأن سيرة تهمل البعد العاطفي ليست بسيرة.**

بهذه الزجة، كتبها (( وقلبه ينزف دماً.. ثم كان قراره بالرحيل من قريته )) .

هذه هي المعشوقة الأولى التي حرم منها واسمها (رقوان) وحياتها لم تدم طويلاً إذ توفاه الله ورثاها الشاعر البار، أما معشوقته الثانية فلم تفصح الترجمة عن اسمها واكتفت بالاسم الشعري بدلاً عن اسمها الحقيقي، وصل إليها عن طريق أحد أجدانه وأترابه الذين يحبهم حباً جما (فاتصل الهوى بينه وبينها في نقاء لا يشوبه قدر، وسمو لا يعرف ابتذالاً. وامتدت العلاقة بينهما سنين عدداً حتى وإن تزوج مرتين وتزوجت هي بآخر.. لقد أحبها حباً عنيماً جارفاً ملأ عليه جنانه.. ففكر بجديّة في الاقتران بها، لكن أمه في ذلك خاب كما خاب أمه في حبه الأول.

إن الترجمة كثفت الحب الجارف لهذه

الإنسانية وكيف هشمت التقاليد روحه، وكم كان البار نفسه يمقت هذه التقاليد، ويتعاطف القارئ معه، ويرى أن تجربة قيس تتكرر بجوهرها وإن اختلفت في صورتها إذ إن المجتمع العربي كان ولا زال يسحق اختيارات الفرد الحرة ويقرر مصيره، وينتصر لعقلية القبيلة والعشيرة، وإن تجربة الحرمان هي التجربة المهيمنة في تاريخ العشق العربي، وأبطالها قيس وليلى، وكثير وعزة (والبار ورقوان) وغيرهم آخرون، وهؤلاء حازوا البطولة على الرغم من أنهم خسروا مملكة العشق فإنهم فازوا بمملكة الشعر، وخارج هذه المملكة أولئك الذين لم يستطيعوا تدوين تجاربهم المرة والحلوة بالشعر الذي يمثل القول الحر الخالد في مقابل الضرورة الاجتماعية التي تحـاول أن





81

العدد (4)  
أبريل  
يونيو  
2017م

وتزوجت هي بآخر. لكن زواجه وزواجها لم يكونا بمانعين العاشق ومعشوقته من احتساء لذات الهوى ما استطاعا إلى ذلك سبيلاً) والترجمة حرصت على أن تنقل لنا صورة هذا العشق بلغة غاية في التسامي ومكحلة بالحشمة والوقار فاتصل ((الهوى بينه وبينها - يقصد هنا في نقاء لا يشوبه قذراً وسمو لا يعرف ابتذالاً)) رغم أن الشاعر حظي منها بقبلة في حياته أنسته الدنيا ومن عليها. بل إن الشاعر اختزل كيائها كله في قبلة (وما أنت إلا قبلة منذ دقتها سكرت ولما زلت في نشوة السكر) وليس بالضرورة في مثل هذا البيت الشعري أن يكون شاهداً حياً على الملامسة الجسدية مع معشوقته، وبلغة واضحة لا يوجد تطابق بين الفعل الشعري والفعل الجسدي، ولو صح الأمر لخربت الدنيا وهلك البشر وأصبحت الحياة لا معقولة لأن الحجر سينطق والزهر سيضحك وستزلزل الأرض زلزالها كما قال الشاعر البار.

ولا نريد هنا أن نذهب من الترجمة إلى الشعر ومن الشعر إلى الترجمة حتى نتحرى عن واقعة مثل هذه الواقعة التي لا تكمن أهميتها في حسمها. بل في تراوحها بين الحسم واللاحسم ولأنها مرتبطة بفعل العشق والهوى وما أتاك عن حديث الهوى على حد تعبير المترجم، فإن الصفحات اللاحقة ستتناول منا مناقشة طبيعة الهوى، وهل هو غريزة تلقائية من الصعب قتلها أو هو داء يصيب الجميع بلا استثناء، وغيرها من الأسئلة التي يبتهج العقل حينما يجيب عنها، وسنخضع تجربة الشاعر البار إلى هذه المسألة وسنبداً من قول الشاعر البار نفسه عن الهوى فهو من وجهة نظره (ذلك الداء القديم الذي قلّ من بني الإنسان من لم يتعرض له ويصّب بإحدى شظاياه).

إن الحب مرض يصيب الجميع بلا استثناء لا أحد يسلم من زخات طلاقاته القاتلة للقلوب، وفكرة مثل هذه الفكرة ليست بالجديدة فهي ذائعة في أدبيات العشق، ويمكن مقاربتها مع ذلك الرأي الذي يطابق بين الحب والمرض على غرار ما يذهب إليه جانيه فالحب عنده انفعال يتولد في لحظة هبوط نفسي تكون مواتية بصفة خاصة للتقبل المرضي أو

الوادي ومدلهتي، فمرة يبني لهن محراباً في قلبه ومرة أخرى يطبق عليهن (الدنف والنون) حتى يحفظهن من الأذى ويحملهن معه أينما ذهب. إن الشعر لآية من آيات الخلق والإبداع لقد خرجت من بين أصابعه كائنات غاية في الفطنة والجمال لن نقول عنها ورقية، بل كائنات فنية شعرية وبالتعبير الرومانسي جنيات إنسيات لا يمل المرء من النظر إليهن، والإصغاء لهن طول الدهر، بل تصبح العلاقة معهن علاقة مقدسة، ولذا نرى الشاعر البار يتمادى في عشقه حتى ولو تمادين في الصد والهجران. إن معشوقات (الشاعر البار) كن ثلاثاً اثنتان محسوبتان على الوادي وتخصيصاً

### فضّل الشاعر البار أن يذكر الاسم الحركي لغنائي لمعشوقته على طريقة الأحزاب السريّة الخفية (مدلهتي) وهذا الاسم الفني ذاع صيته ورفع المعشوقة درجات فأصبحت تتوهج في سماء الأغنية الحضرية

القرين وهي قرية صغيرة رابضة في جغرافيا دوعن، والثالثة محسوبة على المكلا المدينة، ولذا مس حبها شيء من وهج الحداثة إذ احتفظت بصورة عاشقها الفوتوغرافية إلى يومنا هذا، وهذه الطريقة لحفظ الذكريات لم تتوافر للمعشوقتين السابقتين في ذلك الزمن الذي مضى واللافت أن الحداثة خصتها بصوت محمد جمعة خان بأن يحتفى بها غنائياً وطار أسماها في مدينة المكلا، وربما تعيد تذوق هذا العشق دائماً بحرارة كلما استتمعت إلى أغنية (مدلهتي) والترجمة نفسها التقطت هذه اللحظة الاحتفائية بالعشق بعد أن صرحت بأن قصيدة مدلهتي ذاعت وردتها الشفاه منذ شدا بها الفنان محمد جمعة خان.

أن البار في عشقه لم يكتف بواحدة، بل تنقل قلبه من واحدة إلى أخرى، وقد يجد المتابع العذر له في عشقه الأول والثاني، فالعشق الأول قبل الزواج والثاني بعد الطلاق، والثالث في أثناء الزواج بل إن العشق الثاني الخاص بابنة لوادي تقول عنه الترجمة (وامتدت العلاقة بينهما سنين عدداً حتى وإن تزوج مرتين،

المعشوقة حين تأملت في شعره وسبرت وجدانه الذي احتفى بها في الدواع واللقاء فهو ((لم يدع أي حدث في حياته يمر دون أن يجعلها بؤرته فإن بارح قرينته جعل الدواع لها، وإن عاد إليها جعل ابتهاجه بالعودة مخصصاً بمرآها وإن أثقله الزمان بالامه وأوجاعه فزع إليها واستجار بها من الزمان، وإن خير في حياة أخرى يجتمع فيها بمن عرف من نساء فلا أحسبه يرضى بسواها)).

وتبقى المعشوقة الثالثة التي تعاملت الترجمة معها بقدر من التحفظ ولم تعطها القدر نفسه من الاهتمام مثلما هو الحال مع المعشوقتين السابقتين وقد ذكرتها بوصفها ذكرى عابرة.

وفضلت الترجمة أن تذكر اسمها الحركي الغنائي على طريقة الأحزاب السرية الخفية (مدلهتي) وهذا الاسم الفني ذاع صيته ورفعها درجات وأصبحت تتوهج كالكوكب الدري في سماء الأغنية الحضرية، ورغم هذه السرية التي أحيطت بالمعشوقة الثالثة فإن الترجمة تفضلت على القارئ بقطرة من البحيرة وحجبت عنه مياهاها كلها وسربت للقارئ بعض المعلومات التي تكشف أن هذه المعشوقة مازالت تستطعم العشق إلى اليوم وحريصة على ذكرى معشوقها وهي لا تزال حيه ترزق وإن علاها الكبر وخط الشيب رأسها، ولكنها لم تزل على وفاء لذكرى هواها وفي أضاويرها بعض هداياه لها، ومنها صورة فوتوغرافية له، وخلفها قصيدة وجهها لها خاصة مكتوبة بخط يده ولقد ذاعت القصيدة.. منذ شدا بها الفنان خالد محمد جمعة خان، وهي قصيدة ((مدلهتي)) واستطاع الشاعر البار أن يفلت بمعشوقاته من الزمن الواقعي ويحملهن بشعره إلى عالم سببه الخلود، وحتى ينتزعهن إلى الأبد من هذا العالم البائس اختار لهن أسماء شعرية مثل حواء، وابنة





82

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

الاستقبال الشاذ، وفي مثل هذه اللحظة يستطيع أي موضوع كائناً ما كان أن يجي فيحدث تأثيره على الدماغ المريض، أو يترك انطباعه في تلك العقلية المختلة، والسؤال الآن هو هل كان العاشق البار قبل تغريده أغنية العشق مصاباً بحمى الهوى أو المهبوط النفسي واندفع بدون إرادة لشرك الحب. لقد وقع شاعرنا في الحب قبل الزواج وبسعدته وفي أثناء الزواج الثالث. وباختصار كل حياته تغلغل فيها العشق ولم يصمت قلبه أبداً عن النطق بالحب. وإذا ما أخذنا بهذا الرأي النفسي سنجد عاشقنا من الاختيار وسنضعه في مربع الإكراه، وفي هذا الحال يصبح الحب لعبة مرضية يمكن أن يلعبها مع أي كان ومن كان ويصبح الحال مع العاشق البار ومعشوقاته لا معنى له، إذ بالإمكان أن يلعبها مع أي كان من نساء الأرض، وفي هذه الحالة يصطف البار مع تلك الشخصيات التي شكلها (بروست) على صورة كائنات خاوية لا إرادة لها (وجميعها بلا استثناء تشعر بالحاجة إلى الحب وليس المهم عندها كيف يحدث الحب؟ المهم أن يحدث وليس بالضرورة أن يذهب القارئ لتأييد هذا التفسير في كليته، فإذا كان يمكن للقارئ أن ينساق مع هذا الرأي في جزئياته التي ترى أن الحب داء حتمي يصيب الجميع، فربما يقف بالصد من تلك الجزئية التي تذهب إلى أن أي امرأة في العالم يمكن أن تمثل الداء، وليس بالضرورة أن تكون امرأة محددة. ولعل تجربة البار الحسية تتجاوز هذا العمى في الحب، وتجربته الأولى التي عشق فيه (رقوان) وحين أجبرته الأسرة على أن يختار امرأة أخرى لتحل محلها فرفض بحزم وصرح لأسرته بأنه لا مكان لامرأة أخرى يمكن أن تحل محل (رقوان) وكان ما كان من فرار من قريته بعد أن أجبر على الزواج بأخرى، ولعل لحظة الحرمان التي عاشها بعد اختطاف التقاليد الأسرية معشوقته (رقوان) جعلت نزيف الحرمان يستمر بداخله، ولم ينقطع هذا النزيف إلى آخر لحظة من حياته وتعمقت تجربة الحرمان في حياته، ولم تعد هذه التجربة قادرة على المكوث في وجدان البار لأنها ستقضى عليه فحمل هذا الحرمان إلى عالم الشعروهاك حاول

أن يتحرر من ضغط هذا الحرمان ويكثف لحظة العشق من أولها إلى آخرها في تجربة متسامية ولذا يقول:

قدس إله الحسن دون تردد

واعبد حقيقته بلا إشراك

وفي مكان آخر يقول:

أني أنا الغريد في فنن الهوى

ولكم سقيتك من بديع فنوني

وأنا الحريص على الذمام وإن جنى

وأنا الذي شرع المحبة ديني

إلى معجم بوليسي مثل الضبط والتلبس، ويمكن أن يأخذ القارئ هذا اللزم والغمز من باب المجاز والمداعبة البريئة مع الشاعر البار، وفي كل الأحوال فإن هذا الرأي يؤكد كم كان حضور المرأة طاعياً في شعر البار، بالرغم من قساوة هذه التجربة إلا أنها لم تكسره وتثنه عن المضي في الحياة بحلولها ومرها وحصد من النجاح في الشعر ماحصد، بل نجح أيضاً في عالم الصحافة، وكان صاحب قلم ذي أنياب كما يقول برناد شو، فضلاً عن ممارسته للمحاماة التي اصطبغت بصبغة إنسانية، وقدرته على إبداع الشعر الغنائي فصيحاً

## شعر البار لا يحيا في معاطف الخمول والكسل الروحي والحياة الباردة، بل يكابد ويعاني ويكتوي بنار الحب ويموت فيه من أجل أن يحيا الشعر ويضيء بنوره الدنيا.

وعاميه . وكيف تلقف هذا الشعر الفنان محمد جمعة خان وتمكن هذا أن يعيد إرسال هذا الشعر مرة ثانية ليس للقراء بل للمستمعين في أشكال غنائية اتحد فيها اللحن الجميل مع الصوت الشجي فأسعد جماهير المكلا. إن هذا الفنان حمل معه وهو يغني صوت الشاعر حسين البار الشعري الذي يصور تقلباته في العشق والغرام . وتظل تجربة العشق بما فيها تجربة البار تحمل سمة فردية وليس هناك من تطابق في تجارب العشق بين البشر. والترجمة باركت هذه التجربة وتفاعلت معها وهي ترى أنها حاجة إنسانية، والبار أثمرت تجربته شعراً خالداً وبلغت الترجمة (إن هوى البار الجارف .. أمكنه من إبداع قصائد خلده لأنه خلد فيها صورا من ذلك الهوى، وملاحم من حيوات تلك المعشوقات، وما قصائده مثل (حنانيك) و(مدلته) و(بعد الوداع)، (ثورة) و(يا من على البعد أهواها وتهواني)، وغيرها أخريات إلا شواهد على ذلك الهوى ومكابدة الفتى ناره الحامية .

((وانعم بها من نار)) والقارئ العاشق لن يتردد في إطلاق هذه التهنيدة التي صدرت من أعماق المترجم وكأنه هو الآخر قد تلظى بهذه النار.

إن الحب في نظر البار الشاعر ليس مرضاً ، بل رفع الشاعر لواء الحب كما هو واضح في الأبيات السابقة ، وهناك من يهمس أن البار لو فاز بتجربة العشق الأولى مع (رقوان) لما كرر تجربة العشق أكثر من مرة ، ولما عاش هذا الحرمان الذي لف حياة العشق عنده ، لكن تجربة البار مضت على غير هذا النحو الافتراضي وكان في كل مرة يغطس في بحيرة العشق تتجدد طاقته الشعرية ويتفجر بالقصائد الجميلة ، ويبدو أن هذه الطاقة لا تشتعل إلا باشتعال الحب، فشعر البار لا يحيا في معاطف الخمول والكسل الروحي والحياة الباردة ، ويكابد ويعاني ويكتوي بنار الحب ويموت فيه من أجل أن يحيا الشعر ويضيء بنوره الدنيا، والطريف أن الأستاذ سعيد باوزير في دراسة له عن الشاعر البار بعنوان (تعريف بالشعر والشاعر) يقول معلقاً على هذا البيت :

ولن تصبحي إلا غرامي وفتنتي

ومصدر إناسي وملهمتي شعري

وليقف القارئ هنيهة عند الشطر الثاني من البيت .. ليضبط الشاعر وهو متلبس بالاعتراف بأن المرأة في شعره هي مبعث وحيه ومصدر إلهامه. واللافت في هذا التعليق لجوء المدارس





83

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
م 2017

# إشكالية وحدة حضرموت والجنوب العربي

## وعلاقتها باليمن في صحيفة "الرائد"

١٧ أكتوبر ١٩٦٠ - ٢٧ يوليو ١٩٦٤ م



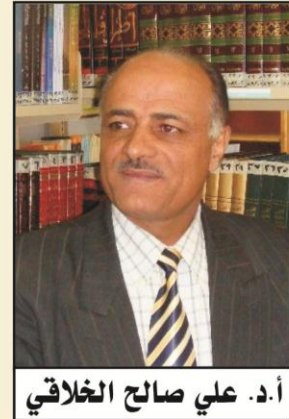
الرائد، صحيفة أسبوعية، قومية، جامعة، أصدرها الأستاذ الأديب الشاعر والصحفي حسين محمد البار في المكلا في النصف الأول من ستينات القرن الماضي، واستمرت في الصدور قرابة أربع سنوات، وتحديدًا منذ ١٧ أكتوبر ١٩٦٠ م، وهو يوم صدور عددها الأول، وحتى ٢٧ يوليو ١٩٦٤ م الذي صدر فيه العدد رقم (١٨١) ثم توقفت بعده عن الصدور.

والجنوب العربي، والعلاقة باليمن التي شغلت حيزاً بارزاً في اهتمامات البار وصحيفته "الرائد"، وتناولها هو وغيره من الكتاب في أكثر من مناسبة خلال تلك المرحلة، فرأيت من الضروري إضاءة تلك المواقف المبكرة التي عاجلت هذا الموضوع، سواء أكانت وحدة حضرموت المجزأة حينها تحت حكم السلطنتين القعيطية والكثيرية، أم وحدة الجنوب العربي بعد تقرير مصيره وحصوله على استقلاله أم وحدته مع اليمن أو مع أي قطر عربي آخر.

### وحدة حضرموت

#### وعلاقتها بالجنوب العربي

في البدء لا بد من الإشارة إلى أن حضرموت عريقة وضاربة في القدم، وهي من أقدم الممالك العربية الجنوبية التي ظهرت قبل الميلاد، وما زال اسمها حياً يُطلق على مساحة واسعة من الأرض، فلها أن تفخر بهذا على الحكومات العربية الأخرى التي عاشت قبل الميلاد، ثم ماتت أسماؤها، أو قلّ ذكرها قلة واضحة. وقد قطع اسمها مئات من الأُمَيال قبل الميلاد، فبلغ مسامع اليونان والرومان وسجله



أ.د. علي صالح الخلاقي

حينما وصلت إلي أعداد "الرائد" جميعها في شريط مدمج، من صديقي الرائع أ.د. عبد الله سعيد الجعدي مدير مركز حضرموت للدراسات والتوثيق النشر، سررت بهذه الهدية الثمينة، وأتيحت لي فرصة تصفح هذا الأرشيف التاريخي الذي كنت أعود إليه بين حين وآخر، متصفحاً وقارناً لما يشد انتباهي من موضوعات وأخبار. ومن بين الموضوعات الحيوية والهامة التي لفتت انتباهي وشدّنتي كثيراً مسألة قديمة جديدة ما زال الجدل الساخن يحتدم حولها حتى اليوم بين نخب المثقفين والسياسيين، بل عامة الشعب، هي مسألة وحدة حضرموت

كُتّابهم في كتبهم لأول مرة في القارة الأوروبية، وكُتِبَ لذلك التسجيل الخلود حتى اليوم (١). وقد تمركزت في مناطق الساحل والوديان الممتدة من عُمان حتى عدن، وبذلك يشمل امتدادها الجغرافي وعمقها الحضاري المخلد في صفحات التاريخ مناطق الجنوب العربي كلها، أو معظم جنوب الجزيرة العربية. وفي عصر الإسلام كانت حضرموت تشكل أكبر المذاهب اليمنية -مقارنةً بخلاف الجند وصنعاء- حيث تمتد جذورها من عدن متجهة شرقاً حتى عُمان (٢).

وبالعودة إلى أعداد صحيفة "الرائد" الصادرة خلال النصف الأول من ستينات القرن الماضي نجد أن وحدة حضرموت كانت من أبرز القضايا الملحة والحيوية التي تم تداولها، وخُصّصت لمناقشتها العديد من المقالات وطُرحت الآراء التي تعددت فيها وجهات النظر حول شكل هذه الوحدة وصيغتها ومستقبلها. وكان البار وكُتّاب "الرائد" سواء الذين كتبوا بأسمائهم الواضحة أم المستعارة مجمعين على وحدة حضرموت ومتيقنين





84

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

من تحقيقها. لكن أي وحدة يريدون؟! هل هي وحدة كما يريد لها الحكام في السلطنتين (القيصرية والكثيرة)، أو كما يريد لها الاستعمار، أو وحدة تنبع من الشعب وتنال رضاه؟..

إنهم كما تجلى من كتاباتهم ضد الوحدة الفورية المتسارعة التي لا أساس لها (٣). وكذا ضد الوحدة التي يفرضها أو يدفع بها الاستعمار سواء تلك التي تقول بوحدة قطاعات حضرموت لتكون أو لتخلق "دولة حضرموت المتحدة" مستقلة بذاتها، أو توحيدها تمهيداً لانضمامها إلى اتحاد الجنوب العربي (الفيدرالي)، أو حتى عدم توحيدها ما دام ستضم رأساً إلى ذلك الاتحاد، وهذه الآراء في نظرهم تعد كلها استعمارية (٤).

أما الوحدة التي يريدونها فنباعة من صميم إرادة الشعب لا وحدة مفروضة فرضاً إجبارياً.. وحدة قائمة بين الشعب وتخدم مصالحه وتحقق له الرفاهية والسعادة، وتسبقها تهينة نفسية وجذرية لإرجاع الحياة والثقة لهذا الشعب، وإشعاره في كل خطوة يخطوها بأنه هو مصدر السلطات وليس كماً مهملًا (٥). لكي يشارك عملياً في تحمل المسؤولية، ويحقق الوحدة بإرادته؛ لأن أي وحدة لا تكون موضع رضاه ولا تتبثق عن إرادته هي وحدة مفتعلة تزول قطعاً بزوال من أوجدتها (٦).

وهكذا فإن الوحدة -في نظر البار- نوع من تقرير المصير، والشعب هو وحده صاحب هذا الحق. كتب في افتتاحية العدد (١٧) تحت عنوان "تساؤلات حول الوحدة؟" إنه "لما كانت الوحدة في شكلها الأكمل أو حتى في شكل آخر من الأشكال الجزئية البسيطة نوعاً من تقرير المصير، وتقرير المصير هو من حق الشعوب، وهي وحدها صاحبة الكلمة العليا فيه فإننا نتساءل هنا: كيف ستكون هذه الوحدة في ظل الأوضاع القائمة هنا في هذا الجنوب أو في هذا الجزء من الجنوب العربي [يقصد حضرموت] إلا إذا كانت توحيداً للأجهزة والمصالح الحكومية؟. وكيف يمكن اعتبار هذه الوحدة تعبيراً عن إرادة شعب هذه المنطقة في الوقت الذي لا يؤخذ رأيه

فيها؟" (٧).

أما وقد أضحت وحدة حضرموت مطلباً شعبياً، فإن البار في ركنه الشهير "يقول بوعامر" يطالب بلسان حال الشعب بتسريع وحدة حضرموت (المنقسم حينها بين سلطنتين) قبل فوات الأوان، كما أفصح شعراً بهذه الأبيات التي نظمها متخفياً باسم الشاعر الحكيم بوعامر:

يقول بوعامر متى با شوف وحدة حضرموت؟  
الشعب كله يطلب الوحدة بغا عره وقوت  
انسوا المصالح، شو بلد لحفاف هذا بايفوت  
كما عبر نثراً باللهجة الحضرمية عن شوقه الجامع للوحدة قائلاً: "بغينا الوحدة، هاتوا الوحدة، حققوا الوحدة، لا تخلوها عصيد في كعدة" (٨).

إن وحدوية البار، كقومي عربي وحدوي، لا حدود لها، فهي تتجاوز وحدة حضرموت والجنوب العربي إلى وحدة الوطن العربي بكامله، كما تجلى في كتاباته وكتابات غيره في صحيفته "الرائد". فقد أفصح مراراً أنه من دعاة وحدة الشعب العربي كله من الخليج إلى المحيط، إذ كتب في افتتاحية العدد (١٧) متفانلاً بتحقيقها يقول: "والظواهر تدل على أن هذه الوحدة قد تصبح حقيقة واقعة سواء كان ذلك في دنيا حضرموت أو في دنيا الجنوب العربي بأكمله على شكل من الأشكال لا نستطيع أن نحده الآن أو نقف على دوائر داخل أمره.. ونحن من دعاة وحدة الجنوب العربي باعتباره جزءاً لا يتجزأ من الشعب العربي، بل إننا لمن دعاة وحدة الشعب العربي كله من الخليج إلى المحيط، ونعتقد أن هذه الحواجز والتقسيمات سوف تزول وتتلشى يوم يمتلك هذا الشعب القدرة على إزالتها" (٩).

والوحدة التي يسعى إليها ويدعو من أجلها هو وغيره عبر صحيفته "الرائد" هي وحدة يصنعها الشعب سواء على مستوى حضرموت أو الجنوب العربي أو توحيد الشعب العربي جميعه في جميع بلدانه ودياره وفي كل أقطاره.. فوحدة حضرموت خطوة يجب أن تكون متبوعة بخطى أخرى سريعة في سبيل تحقيق وحدة الجنوب الشعبية ضمن نطاق الوحدة العربية الشاملة (١٠).

لم يكتب البار أن يشهد وحدة حضرموت ووحدة الجنوب العربي التي طالما حلم بها وناضل من أجلها، فقد توفاه الله عام ١٩٦٥م، وبعد رحيله بأقل من ثلاثة أعوام تحقق حلمه وتوحدت حضرموت عشية الاستقلال الوطني في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م، وحُسمت مسألة وحدة حضرموت والجنوب العربي في إطار الدولة الوليدة جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية.

لكن وللأسف الشديد، حدث أن تسَلَّ الخوف والقلق من عودة تجزئة حضرموت مجدداً بعد إعلان الوحدة اليمنية الاندماجية المتسارعة عام ١٩٩٠م، ولا سيما بعد حرب اجتياح الجنوب واحتلاله من قبل عصابات نظام صنعاء صيف ١٩٩٤م، وهو ما لقي اعتراضاً قوياً ومقاومة شديدة من أبناء حضرموت فأعاقوا وأفشلوا تحقيق هذا المشروع لقوى النفوذ الشمالية ومن سار على نهجها وارتبط بمصالحها.

وما أشبه الليلة بالبارحة! وكان التاريخ يعيد نفسه، فما هي مسألة وحدة حضرموت والجنوب العربي واليمن تبرز على السطح من جديد وتثير جدلاً واسعاً اليوم، خاصة بعد فشل الوحدة الاندماجية المتسارعة بين نظامي الحكم في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية والجمهورية العربية اليمنية، التي أعطت نموذجاً سيئاً وقضت على حلم الوحدة الجميل في نفوس من حملوا مشعل هذه الفكرة، خاصة بعد أن تم الغدر بشركاء الوحدة الجنوبيين وطغيان فكرة الضم والإلحاق، ثم الحرب الأخيرة ٢٠١٥م.

ولعله من المفيد الوقوف هنا أمام تلك الآراء التي عالجت هذه المسألة مطلع ستينات القرن الماضي في ضوء سياقها التاريخي حتى نتقرب من جوهرها ولكي يتعظ المتعظون ويدركوا حقيقة أن لا وحدة إلا بإرادة الشعب.

### الجنوب العربي وحدة لا تتجزأ:

هذا هو باختصار موقف البار وصحيفته "الرائد" وكتائبها، فتحت هذا العنوان كتب البار في العدد (١٣٨) يؤيد طلب مدير الهجرة والجوازات بإعفاء أبناء الجنوب العربي من التقييد بشكليات رخص الدخول





85

العدد (4)  
أبريل  
يونيو  
2017م

الوطني. وتأسيساً على ما تقدم فقد نشر البار خيراً في الصفحة الأولى بعنوان "قضية الجنوب العربي في الأمم المتحدة للمرة الثانية"، حول رحلة الأستاذ شيخان عبدالله الحبشي الأمين العام للرابطة إلى نيويورك لعرض قضية الجنوب العربي في المنظمة الدولية وفي اللجنة المنبثقة عن لجنة تصفية الاستعمار. وهذه هي المرة الثانية التي يعمل بها حزب الرابطة للخروج بقضية الجنوب العربي من المجال العربي والإقليمي إلى الصعيد الدولي... وتتخصص المطالب التي قدمها حزب الرابطة إلى الأمم المتحدة المطالب في الآتي:

(١) تعتبر الرابطة الجنوب العربي وحدة سياسية واجتماعية واقتصادية متكاملة وتعتبر أي عرض جزئي لقضية الجنوب جريمة تاريخية لا تغتفر.

(٢) تطالب الرابطة بإزالة الوجود البريطاني عن المنطقة ووضعها تحت إشراف هيئة دولية محايدة تهيئة لاستفتاء شعبي يقرر فيما بعد شكل الحكم الذي يدير مرافق البلاد.

(٣) تعتبر الرابطة الشعب العربي في الجنوب المسئول الأول والأخير عن تقرير مصيره وإليه وحده تعود مهمة تحديد شكل الحكم الذي يلزم آماله وأهدافه (١٦).

### الجنوب العربي وعلاقته باليمن:

تكشف لنا كتب التاريخ سرّاً لم تذكره نقوش الكيانات العربية الجنوبية القديمة التي مدت سيطرتها على معظم أجزاء الجزيرة العربية، لكنها لم تتسم باسم اليمن، وتذكر هذه النقوش عن وجود كيان سمي "يمناً" ولكن لا يعرف بعد موقعها الجغرافي قياساً بحضرموت أو سبأ أو حمير أو قتبان ومعين. وقد تعارف المؤرخون أن اليمن لدى عرب الشمال يعني الجنوب لا أكثر ولا أقل حسب تعبير د. محمد عبد القادر بافقيه الذي يدل أن وجود باب في مدينة صنعاء المؤدي إلى الجنوب هو باب اليمن (١٧). وهكذا فإن اليمن في لغات جزيرة العرب القديمة تعني الجنوب وعكسها الشمال وتعني الشام. وفي علم الجغرافيا تبدأ حدود الجنوب حيث تنتهي حدود الشمال، فإذا

الأحوال تسمية "جزئية"، وكذلك العدني الذي من عدن، والعولقي من العوالق واللحي من لحج... إلخ. إلخ. مثلاً في الجمهورية العربية المتحدة: القاهرة والإسكندرية والصعيد... و.و. ونسمع من يقول هناك أنا قاهري، أي من القاهرة، والثاني إسكندراني من الإسكندرية، والآخر صعيدي من الصعيد... ولكن كل تلك التسميات أو الشخصيات تدوب كونهم كلهم مصريين عرباً. لا شك في هذا وكل واحد يقول في الخارج إذا سئل، مصري عربي، ولا يقول أنا من القاهرة أو قاهري أو صعيدي أو إسكندراني. بل هذا أمر لا يختلف فيه أثنان. وهنا في هذا الجنوب نسمع من يقول أنا حضرمي، وآخر عدني... إلخ. هذه الاسطوانة المشروخة المكررة. وكل يتمسك بشخصيته ولا يريد أن يقول أبداً: أنا عربي جنوبي. وكل يريد أن تستقل بلاده على حدة، وكأنها ليست جزءاً من هذا الجنوب الواحد. الجنوب كله واحد. وأبناء الجنوب كلهم أبناء وطن واحد. حضرموت وعدن ولحج والعوالق وبيحان والبقية كلها واحدة لا تتجزأ. لكن أعداء الشعب والاستعمار يريدونها متفرقة متنافرة ليستطيعوا تشديد قبضتهم على الشعب، واللعب بمقدراته. ونحن نريد لهذا الجنوب الاستقلال الكامل ونريد لقرارات هيئة الأمم المتحدة أن تنفذ بالنص. نريد وحدة شعبية حرة. نريد شخصية جنوبية عربية خالصة" (١٤).

وإجمالاً اتضح لنا أن صحيفة "الرائد" تبنت موقف حزب رابطة أبناء الجنوب العربي نفسه إزاء وحدة الجنوب العربي، وحرصت على نشر أخبار الرابطة وبياناتها، وتغطية تحركاتها الداخلية والخارجية، وتوضيح مواقفها (١٥). وقد ارتبط رئيس تحرير "الرائد" الأستاذ البار بعلاقات حميمة وثيقة مع قيادات الرابطة وفي مقدمتهم السيد محمد علي الجفري (رئيس الرابطة) والأستاذ شيخان عبدالله الحبشي (الأمين العام للرابطة) وآخرون، ولهذا برزت بصماتهم ورؤاهم المتقاربة وإن لم نقل المنسجمة، على مستوى الوحدة الحضرمية ووحدة الجنوب العربي في تلك المرحلة التي سبقت الاستقلال

إلى هذا الجزء من بلاد الجنوب... وانتقد الذين قرروا في مجلس الدولة القيعطي إعفاء طوائف معينة فقط، دون أن يشمل ذلك أبناء الجنوب العربي، وقال: "ومهما يكن من أمر فإن نظرة عابرة تؤكد أن وحدة الجنوب العربي، ووضع الحضارم في عدن وغيرها من مناطق هذا الجنوب، ومصلحة أبناء شعب حضرموت العربي وإرادة هذا الشعب في إشعار أشقائه بوحدة الدم ووحدة التاريخ ووحدة المصير ووحدة التراب هذه الاعتبارات جميعها لم تخطر للذين أصدروا هذه القرارات العجيبة ببال... ونحن الذي يهمنا في الدرجة الأولى تأكيد وحدة المنطقة على المستوى الشعبي نستنكر هذا الإجراء" (١١).

وبالمثل اعترض الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف على هذا القرار، الذي يقضي بإقامة حواجز الهجرة ضد دخول إخواننا العدنيين وأهالي ولايات اتحاد الجنوب العربي إلى حضرموت، وعده من أغرب القرارات التي اتخذتها حكومة الدولة القيعطية فيما يسمحون لليهودي البريطاني أو الأمريكي... إلخ (١٢).

ظلت وحدة الجنوب العربي هاجساً يشغل بال البار وغيره ممن تعرضوا لها على صفحات "الرائد"، ففي العدد (١٦٢) وتحت عنوان "وحدة هذا الجنوب العربي والآراء المؤيدة لسياسة الاستعمار لتفرقة أجزاء الجنوب" ورد أن "حضر موت جزء لا يتجزأ بأي حال من الأحوال عن هذا الجنوب العربي، ومصير شعب حضرموت هو مصير شعب هذا الجنوب. وتقرير المصير كله بالنسبة لهذا الجنوب أمر هو من الأهمية بمكان. ولقد جاءت قرارات الأمم المتحدة في ديسمبر الماضي (أي ١٩٦٣) مؤيدة لحق هذا الشعب في استقلاله ووحدته وتقرير مصيره بنفسه تحت إشراف الأمم المتحدة. ومصير شعبنا في حضرموت لا ينفصل أبداً عن مصير بقية مناطق هذا الجنوب" (١٣).

ولبسط وجهة نظره وإيصالها للقارئ الذي يخاطبه أضاف الكاتب موضحاً: "نحن لا ننكر أن من ولد في حضرموت بالطبع يسمى حضرمياً أو أنه (يجب) أن يطلق على نفسه هذه التسمية، ولكنها بأي حال من





86

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

اتخذت أية نقطة في وسط الجزيرة ولتكن الكعبة مثلاً، فإن الشام هو شمال تلك النقطة واليمن جنوبها (١٨).

وتأسيساً على ما تقدم فإن التعريف التاريخي لليمن في المصادر التاريخية والجغرافية العربية لا صلة له بالهوية الواحدة أو الشعب الواحد. وكل الدول والممالك والكيانات الكثيرة التي قامت في جنوب الجزيرة العربية مثل سبأ وحميز ومعين وقتبان وحضرموت وأوسان وغيرها عرفت بأسماء ملوكها أو مناطقها، ولم تجعل من اليمن كإقليم تعريفياً عن هويتها، ولم يحدث أن خاضت حروباً باسم وحدة اليمن، أو رفعت اسم اليمن كمسمى جامع لوحدة سياسية. ولأن الشيء بالشيء يذكر فقد أنكر الأديب الكبير الراحل عبداللّه البردوني فكرة أو مفهوم "إعادة توحيد اليمن" كاشفاً أنه لم يتحد عبر التاريخ وإنما تخضع الجغرافية لأنواع من السيطرة الداخلية (١٩).

وفي عام ١٩١٨م ظهرت لأول مرة في التاريخ دولة تحمل صفة أو مسمى اليمن هي "المملكة المتوكلية اليمنية"، ومنذ ذلك الحين أصبح الاسم لصيقاً بها وبمناطق نفوذها السياسي.. ثم احتفظت الجمهورية العربية اليمنية بالاسم بعد الانقلاب الذي أطاح بالنظام الإمامي..

أما الجنوب العربي فلم ينسب قط إلى أية دولة بصفتها اليمنية وحتى عام ١٩٦٧م عرف بأسماء سلطاته ومشيوخاته المحلية التي كانت تعرف بسلطات ومشيوخات الجنوب العربي، ثم توحدت عشية الاستقلال باسم جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، ولهذه التسمية ملاساتها التي بدأت خيوطها تتكشف الآن ولسنا بصدها هنا.

ومن هذا المنطلق لم يتعرض البار أو يتحمس لمسألة وحدة الجنوب العربي مع اليمن، بعد نيل استقلاله، سواء في كتاباته أو فيما نشر لغيره في صحيفته "الرائد" رغم إيمانه العميق والقوي بالوحدة العربية وكونه من دعاة، ولعل لهذا الموقف صلة في كون الأوضاع السياسية المضطربة وظروف الحياة المتخلفة في اليمن (المملكة المتوكلية اليمنية ولاحقاً الجمهورية العربية اليمنية)

حينها لم تقدم نموذجاً يغري بالانجذاب إلى وحدة معها أو حتى مجرد التفكير بذلك، وهذا في تقديري سر تحفظ البار في طرق أو تناول هذه المسألة، وهو موقف مترو سبقه إليه آخرون من سلاطين ومشايخ الجنوب؛ إذ يذكر الأستاذ أحمد السقاف أنه عند اجتماعه بالسلطان علي عبد الكريم (سلطان لحج)، في مطلع الخمسينات من القرن العشرين، لمس لديه تحفظاً لرفض ما يخططه الإنجليز لجنوب اليمن خلافاً لما كان يتبادر إلى الأذهان من أن جميع السلاطين دون استثناء ينفذون ما يفرضه والي عدن دونما مناقشة أو اعتراض، وكتب يقول: "أستطيع أن أؤكد أن جميع سكان المحميات يكرهون الوضع الراهن في المحميات ويودون الالتحاق بالوطن الأم اليمن، ولكن الأوضاع في اليمن هي وحدها التي تجعلهم يترددون في الالتحاق، فعسى أن تبادر حكومة اليمن إلى الإصلاح الشامل" (٢٠).

ومثل هذا التردد أفصح عنه أيضاً شيخ مكتب الموسطة في يافع أحمد أبوبكر النقيب، في أواخر الخمسينات، عندما سأله الإمام أحمد عن ما يقوله أهل الجنوب، فقال: "أهل الجنوب يقولون متى ما تحسن اليمن نحن من اليمن وإلى اليمن" (٢١). وكان النقيب يأمل أن يجد رأيه صدى لدى الإمام لعل وعسى أن يغير من سياسته ويصلح أمور البلاد نحو الأفضل، لكن شيئاً من ذلك لم يحدث.

وفي ضوء ما تقدم، كان البار في كتاباته وفي كل ما ينشره في صحيفته يتجاوز ذكر الاتحاد أو الوحدة مع اليمن ويقفز إلى ذكر حق شعب الجنوب في (الاتحاد أو الوحدة مع أي قطر عربي آخر)، دون تحديد قطر بعينه، ولم يذكر من قريب أو بعيد مسألة الوحدة مع اليمن، إلا في معرض تناولاته الخيرية التي لا تعبر عن رأيه، بل عن رأي حزب الرابطة في إطار المعركة السياسية التي كان يخوضها الحزب، وهي مواقف يشوبها الحذر عند طرح هذه المسألة في المحافل الإقليمية والدولية؛ إذ يشترط ربطها بإرادة الشعب في الجنوب العربي بعد أن ينال استقلاله وسيادته. ففي بيان

لحزب رابطة أبناء الجنوب العربي جاء: "إذا كان لا بد من استفتاء شعبي عام كمظهر شكلي ديمقراطي لهذا الحق الجوهري، حق تقرير المصير في جنوبنا العربي فالشعب مخير بين وضعين اثنين لا ثالث لهما هما:

١- التحرر التام الناجز من الاستعمار وأعدائه وعملائه.

٢- الانضمام مع اليمن في وحدة شريطة الاختيار الحر المنبثق من إرادة الشعبين هنا في الأجزاء المحتلة من الجنوب العربي واليمن (٢٢).

وحينما وصلت القضية إلى أروقة الأمم المتحدة، تمسك حزب الرابطة باستقلال الجنوب العربي ووحدته، وأن الشعب بعد أن ينال استقلاله وسيادته له حق الاتحاد والوحدة مع أي قطر عربي آخر.. فيما يرى حزب الشعب الاشتراكي أن هذه المنطقة جزء من اليمن وعليه أن ينضم الجنوب إلى اليمن (٢٣).

مثل حزب الرابطة شيخان الحبشي للاتصال باللجان المختصة في هيئة الأمم المتحدة، وطلب الاستماع إلى التقرير الخاص بالجنوب العربي الموجود باللجنة الرابعة، فوافقت على ذلك وحدد له موعد.. لكن محمد سالم باسندوة ممثل حزب الشعب الاشتراكي اتصل بمكتب الجامعة العربية في نيويورك طالباً التقيد بقرار الجامعة العربية السابق في الدار البيضاء بأن الجنوب تابع للمملكة المتوكلية اليمنية. وإزاء هذه الإشكالية كان موقف حزب الرابطة ما يلي: "أنه إذا الجامعة العربية قد أصدرت قرارات أو توصيات سابقة ولا حقة فيما يخص الجنوب فإن الرابطة ومن ورائها شعب الجنوب يريان أن هذه ليست ملزمة لشعب الجنوب لأنه ليس طرفاً أو حاضراً أو مشتركاً في الجامعة العربية. وبعد فإن سيد الموقف وصاحب الحق الأول والأخير في هذه القضية هو شعب المنطقة الذي يملك هو وحده أن يقرر بمحض إرادته المصير الذي يرضيه لنفسه" (٢٤).

**الجنوب عربي قبل أن يكون يمنياً:**  
إن إشكالية هوية الجنوب العربي وعلاقته باليمن شغلت في تلك الفترة اهتمام الكثيرين، ممن تصدوا لها بين مدافع عن





87

العدد (4)  
أبريل  
يونيو  
2017م

كونها انتماءً جغرافياً لجهة جنوب بلاد العرب، كما كانت لدى امرئ القيس الكندي الحضرمي، ومن حق شعب الجنوب (طالما كان ذلك تقريراً لحقيقة أولية ثابتة هي أن الجنوب عربي أولاً قبل أن يكون يمينياً) أن يقرر مصيره بنفسه سواء في البقاء في إطار وحدة ذات صيغة جديدة مع الشمال أو بناء دولته الجديدة المستقلة سواء باسمها السابق (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية) أو بأي مسمى آخر يختاره الشعب بمحض إرادته كالجانب العربي أو دولة حضرموت، ولن يغير ذلك من انتمائه الطبيعي وهويته العربية. ونذكر هنا للعبارة فقط، أن المغرب تُسمى ببساطة المملكة المغربية (هكذا)، وهذا لا يلغي ولا ينتقص من عربيته أو انتمائه لمحيطه العربي. وبالمثل فإن تسمية "دولة الإمارات" بهذا الاسم لم ينتقص من عربيتها ولم يكن عائقاً أمام اتحادها الأخوي النموذجي الذي دخلت فيه بقوة ركب الحضارة والتطور.. وأصبح المواطن فيها يفخر بالقول: (أنا إماراتي) مع أن مدلول الكلمة للغوي نسبة للإمارات، لكنها أصبحت هوية وانتماء بالنسبة لمواطني الإمارات..

ومن حق شعبنا اليوم أن يحدد اسم دولته حسب قناعاته. قد يقول قائل، كما قيل حينها عام ١٩٦٤م:

- أنتم انفصاليون، وأنتم.. وأنتم.. ولماذا كل هذا؟؟... لأننا أمانا بعروبة الجنوب أولاً. وهم يقولون يمنية الجنوب أولاً. والفرق كما تعلمون كبير (٢٩).

### الخلاصة:

وقف البار وصحيفته وكتابه مع وحدة حضرموت النابعة من صميم إرادة الشعب التي تخدم مصالحه وتحقق له الرفاهية والسعادة، وتسبقها تهينة نفسية وجذرية، وعدوا حضرموت جزءاً لا يتجزأ من الجنوب العربي، ووحدتها خطوة في سبيل تحقيق وحدة الجنوب الشعبية ضمن نطاق الوحدة العربية. ومع أن البار من دعاة الوحدة العربية الشاملة، غير أنه لم يتحمس لمسألة وحدة الجنوب العربي مع اليمن، إلا بعد أن ينال استقلاله، ولعل أسباب تحفظه هو ونجله وغيرهما من

الانفصاليون ينطلقون في تفكيرهم من التحديد القائم على أساس التكوين السياسي الحاضر للأجزاء العربية المبعثرة. فالجنوب في عرْفهم يعني أولاً، وجزء من اليمن الطبيعية ثانياً، ومن الأمة العربية ثالثاً. ولذلك يتحتم على الجنوب، وفقاً لما يقولون بعد تحرره واستقلاله أن ينضم كجزء متمم إلى اليمن الجمهوري، قبل أي قطر عربي آخر، دون تحفظات أو اشتراطات لأنه في نظرهم جزء لا يتجزأ من (اليمن) الأم. ونحسب أن نطلق في ردنا على (الانفصالية الجديدة) من إيمان واثق يطمئن بعروبة الجنوب كجزء من كل، هو الأمة العربية الواحدة، لا كجزء من جزء هو اليمن الطبيعية أو الصناعية، كما يقول أنصار الانفصالية الجديدة، فعروبة الجنوب سابقة دونما ريب على اليمنية التي ينادي بها أنصار الانفصال، كما أن عروبة العراق سابقة على عراقيته، فالصفة الأولية الأصلية الثابتة هي العروبة. ولو كانت العلاقة هي الجوار الجغرافي لكان يتحتم على مصر أن تتحد مع السودان بدلاً من سوريا عام ١٩٥٨م وعلى العراق أن تتحد مع سوريا.. أما أن (ينضم) الجنوب بعد تحرره إلى اليمن كجزء متمم لليمن الطبيعية (الأم)، أو كحفنة من (الطين) تكمل وحدة (التراب اليمني) فهو انفصالية جديدة مقنعة (٢٧).

وتساءل في نهاية مقاله، ونكرر معه هذا التساؤل الذي ما زال ملحاً إلى اليوم: "وماذا يضير الجنوب بعد تحرره واستقلاله أن يتحد مع أي قطر عربي آخر تتوافر فيه الشروط الموضوعية مهما بعدت المسافات والحدود، ومهما اختلفت الكيانات الطبيعية ووحدة الطين والتراب، طالما كان ذلك تقريراً لحقيقة أولية ثابتة هي أن الجنوب عربي أولاً قبل أن يكون يمينياً" (٢٨). وبعد كل الأحداث التي عصفت في المنطقة بعد الوحدة المغدورة، ما أوجنا اليوم لفهم هذه الحقيقة التاريخية الجلية التي تصدى لها البار وجيل الرواد التي لا يمكن تجاهلها، خاصة في ظل الجدل الدائر حالياً حول مستقبل الجنوب العربي وهويته وحريته واستقلاله. فلم تعد صفة اليمنية بالنسبة لشعبنا، كما أسلفنا، سوى

هوية الجنوب العربية ككيان حر ومستقل بعد أن يتم طرد الاستعمار، وبين من يرى تبعيته أو ضمه لليمن، كما أسلفنا. وكان البار وصحيفته من أشد المدافعين عن الرأي الأول سواء من خلال كتاباته أو كتابات غيره ممن نشر لهم أو من خلال تبني موقفه رابطة أبناء الجنوب العربي ونشره.

بيد أن نجل رئيس التحرير، الأستاذ عمر حسين البار، الذي شارك والده في إدارة الصحيفة وكتابة افتتاحيتها في آخر عهدها، كان أكثر من تصدى لهذه الإشكالية وبقوة، مقارعاً الحجة بالحجة، وكان أكثر وضوحاً في تحديد رؤيته لمستقبل الجنوب العربي وهويته، ففي افتتاحية العدد (١٧٢) أوضح أن الأحداث التي تكتنف الجنوب العربي خطيرة وفاصلة، لأنها تتعلق بوجود الشعب العربي بهذه المنطقة، وبكيانه ومستقبله ومصيره. وفي رأيه: "إن منطق هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ النضال العربي، لا يعنيها أن تكون هذه المنطقة يمنية، طليعة ومزاجاً وتاريخاً، طالما كان الإيمان بعروبيتها أسبق من التشبث بالدراسات التاريخية الأكاديمية التي تؤكد يمنية المنطقة، وتصر عليه بشكل يغمز مفهوم الفكر القومي العربي ويجافيه... ولن يضير الجنوب العربي بعد تلخصه من الوجود الأجنبي أن يتحد مع جمهورية اليمن أو الجزائر أو العراق أو العربية المتحدة أو أي قطر عربي متحرر آخر إذا كان ذلك تعبيراً عن إرادة الشعب العربي بهذه المنطقة وانعكاساً لأهدافه وآماله ومطامحه... ذلك أننا ندرك جيداً أن الكلمة الأولى والأخيرة لشعب هذه المنطقة وأن فصل الخطاب في مستقبل الجنوب لأبناء الجنوب العربي ليس إلا" (٢٥).

وانتقد الأستاذ عمر حسين البار موجة الجدل العقيم المندفع حينها وراء الألفاظ التي انتشرت وتصر على التحديدات الجغرافية وأطلق عليها (المدرسة الانفصالية) (٢٦) التي ينطلق تلاميذها من الإيمان العميق بتحقيق الأقاليم الطبيعية وإثبات شخصيتها كمرحلة أولية سابقة للعمل الوحدوي على مستوى الوطن العربي الواحد. وكتب يقول: "وهؤلاء





88

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

كتاب "الرائد"، هي تلك التحفـفـات والمحاذير نفسها التي ساورت قبيلهما سلطان لحج وشيخ الوسطة-يافع، تجاه التفكير بالوحدة مع اليمن لغياب عوامل جذب مغرية، سواء في ظل المملكة المتوكلية أو في عهد الجمهورية العربية اليمنية، بصرف النظر عن كون هذه المنطقة يمنية طبيعياً ومزاجاً وتاريخاً، منطلقين في ذلك من إيمان واثق يطمئن بعروبة الجنوب كجزء من كل، هو الأمة العربية الواحدة، لا كجزء من جزء هو اليمن الطبيعية أو الصناعية، فعروبة الجنوب سابقة دونما ريب على اليمنية (٣٠).

وقد أثبتت الأيام لاحقاً مدى صحة تلك المواقف المبكرة إزاء قضية الوحدة، فعند إعلان الوحدة الاندماجية المتسارعة غير المدروسة التي أقدمت عليها قيادة الجنوب مع نظام صنعاء من ورثة الأنظمة عام ١٩٩٠م، ولم تسبقها هئية نفسية وجذرية (سرعان ما انزلت إلى فشل مريع وتقلب القبيلة على الدولة وتحول الجنوبيون صانعوا الوحدة إلى (انفصاليين) في نظر عصابة (صنعاء)، وقاد ذلك الفشل إلى حرب ضروس بعد أربعة أعوام اتخذت طابع القسوة والتدمير لمعالم الهوية الجنوبية، (وحققت أهداف الاستقواء والتفوق الجهوي لقبول الشمال التي تفرض مشاريع توحيد تتخذ صيغة احتلال داخلي، تمنح السلطة والدور الرئيسي لممثلي التكوين الاجتماعي (الزبيدي) (٣١). وأصاب تلك الحرب فكرة الوحدة في مقتل، وأحس الجنوبيون بخطأ اقتراف قيادتهم لجريمة سياسية في لحظة اندفاع عاطفي ساقطهم بدون تفكير ولا رؤية أو أفق سياسي إلى إعلان وحدة متسارعة لم يحسبوا لأبعادها أو يضعوا شروطاً أو خيارات ملائمة لهم إذا ما فشلت اتفاقياتها فكانوا هم أول ضحاياها، ودفع شعبنا ثمناً باهضاً وما زالت تداعياتها حتى اليوم.

ختاماً.. مما لا خلاف عليه أن الدول والممالك تعيش وتموت وتضمحل، وتختفي أسماؤها أو تتغير، ولعل حضرموت استثناء في جزيرة العرب، ومثلها مصر في شمال أفريقيا. وسيكون فخراً لنا أن تحمل دولتنا المنشودة في الجنوب العربي اسم حضرموت لما لهذا الاسم من عراقية ووقع رنان في ذاكرة الزمان، منذ القدم وحتى

الآن، وما لأهلها من فضل في نشر الإسلام في أصقاع عديدة بحسن سيرتهم وأمانتهم وكسبهم لثقة الجميع، وصدق معاوية بن أبي سفيان حين أوصى واليه على مصر عمرو بن العاص بقوله: "لا تول عمك إلا حضرمياً فإنهم أهل أمانة" (٣٢).. وبعد كل هذا.. ألا يكون هذا الاسم مبعث فخر واطمئنان، وأن نعيد له المجد الذي كان.

الهوامش:

١. انظر المزيد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: الدكتور جواد علي، دار الساقبي، ط ٤، ٢٠٠١م، ٦٠/١.
٢. انظر: "الاعتراف المنيع في المسألة اليمنية- إشكالية الهوية والشرعية في بنية المجتمع اليمني"، أحمد عبدالله الصوفي، دار الأفاق للطباعة والنشر، صنعاء، ط ١، ١٩٩٩م، ص ١١٥.
٣. العدد (٩) ديسمبر ١٩٦٠م، انظر مقالة بعنوان "الشباب هم الذين سيقققون الوحدة"، بقلم ابن الشاطئ (بامطرف) وهو ضد الوحدة الفورية: انظر أيضاً العدد (٢٧) ٢٤ أبريل ١٩٦١م، مقالة "وحدة حضرموت بين التأجيل والتبجيل" باسم (جهينة).
٤. العدد (١٦٢-٢)، ٩ مارس ١٩٦٤م: انظر مقالة إبراهيم الكاف بعنوان "وحدة هذا الجنوب العربي والآراء المؤيدة لسياسة الاستعمار لتفرقة أجزاء الجنوب".
٥. العدد (٩) ديسمبر ١٩٦٠م. انظر كذلك، مقالة بعنوان "وحدة على الورق ووحدة في الواقع" بقلم مواطن. العدد (٥١-٣) ٦ أكتوبر ١٩٦١م: وانظر أيضاً: العدد (٢٦) ١٧ أبريل ١٩٦١م افتتاحية العدد "فسروا لنا هذه المواقف!!".
٦. العدد (١١-٣) ٢٦ ديسمبر ١٩٦٠م. انظر مقالة بعنوان "وحدة حضرموت بين الواقع والأمل" بقلم: المواطن العربي..
٧. العدد (١٧) ٦ فبراير ١٩٦١م.
٨. العدد (٢١-٥) ٦ مارس ١٩٦١م.
٩. العدد (١٧) ٦ فبراير ١٩٦١م.
١٠. العدد (٢٧) ٢٤ أبريل ١٩٦١م.
١١. العدد (٣٨-٢) ١٦ سبتمبر ١٩٦٣م.
١٢. انظر مقاله بعنوان "لكي لا تنسوا يلحاضارم"، العدد (٣٩-٣) ٢٣ سبتمبر ١٩٦٣م.
١٣. انظر: "وحدة هذا الجنوب العربي والآراء المؤيدة لسياسة الاستعمار لتفرقة أجزاء الجنوب" بقلم: إبراهيم الكاف. العدد (١٦٢-٢) ٧ مارس ١٩٦٤م.
١٤. العدد السابق نفسه، ص ٧.
١٥. على سبيل المثال نشر بيان للرأي العام من "حزب رابطة أبناء الجنوب العربي"،

العدد (٤٣) ٢١ أغسطس ١٩٦١م ص ٤. وكذا نشر خبر في الصفحة الأولى بعنوان: "قضية الجنوب العربي في الأمم المتحدة للمرة الثانية" حول مغادرة الاستاذ شيخان عبدالله الحبشي الأمين العام لرابطة أبناء الجنوب العربي إلى نيويورك لعرض قضية الجنوب العربي في المنظمة الدولية وفي اللجنة المنبثقة عن لجنة تصفية الاستعمار، العدد (١٦٣) ١٦ مارس ١٩٦٤م.

١٦. العدد (١٦٣) ١٦ مارس ١٩٦٤م.
١٧. "تاريخ اليمن القديم"، محمد عبدالقادر بافقيه، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٣، ص ١٩٢. انظر أيضاً: "الاعتراف المنيع في المسألة اليمنية"، ص ١٢٩.
١٨. انظر: "أوراق في تاريخ اليمن وآثاره"، يوسف محمد عبدالله، دار الفكر-بيروت ط ٢، ١٩٩٠، ص ١٨٨-١٨٩.
١٩. "الاعتراف المنيع في المسألة اليمنية"، ص ١٧٩.
٢٠. "أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية" أحمد السقاف، صدرت طبعته الأولى ١٩٥٥م. انظر: الطبعة الرابعة، ١٩٨٥م، ص ١١٥.
٢١. "شيخ الوسطة - نقيب يافع الشيخ أحمد أبوبكر النقيب.. حياته واستشهاده في وثائق وأشعار (١٩٠٥-١٩٦٣م)" د. علي صالح الخلاقي، دار عبادي، صنعاء، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ٨٤.
٢٢. العدد (٣٧)، ١٠ يوليو ١٩٦١م.
٢٣. انظر: قضيتنا في هيئة الأمم المتحدة.. الخبر الرئيسي عوضاً عن الافتتاحية، العدد (١٤٧)، ١٨ نوفمبر ١٩٦٣م.
٢٤. انظر: الجديد في قضية الجنوب العربي، العدد (١٤٩-٧) ديسمبر ١٩٦٣م ٢٥.
- العدد (١٧٢)، ٢٥ مايو ١٩٦٤م.
٢٦. انظر العدد افتتاحية (١٧٥) ١٥ يونيو ١٩٦٤م بعنوان "الانفصالية الجديدة".
٢٧. العدد (١٧٥) ١٥ يونيو ١٩٦٤م.
٢٨. العدد السابق.
٢٩. انظر: عمر حسين البار، "العروبة أولاً"، العدد (١٧٧-٢)، ٢٩/٦/١٩٦٤م.
٣٠. العدد (١٧٥)، ١٥ يونيو ١٩٦٤م، افتتاحية العدد بقلم: عمر حسين البار بعنوان "الانفصالية الجديدة".
٣١. "الاعتراف المنيع في المسألة اليمنية" ص ٤٥.
٣٢. فتوح مصر وأخبارها، ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم القرشي (ت ٢٥٧هـ)، تحقيق: محمد الحجري، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ص ١٤١.
- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، قتي الدين أحمد بن علي المقرئ (توفي ٨٤٥هـ)، طبعة دار التحرير عن طبعة بولاق سنة ١٢٧٠هـ: ١/١٧١.





89

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م



## بندر حيرج ( أم المشقاص )

### بوابة وادي حضرموت والمهرة على المحيط الهندي من فجر الإسلام إلى القرن الحادي عشر الهجري

تمهيد :

لم تحظ المنطقة الساحلية من حضرموت بالدراسات الأثرية الكافية لسبر أغوارها ودراسة تاريخها، إلا منذ فترات متأخرة، وإلى فترة قريبة جداً، لم يكن يعرف من موانئ حضرموت القديمة سوى ميناءين فقط هما ميناء قنا (عر ماوية) - الميناء الرئيس لدولة حضرموت وجنوب الجزيرة العربية في تلك الفترة الذي بدأت دراسته منذ عام ١٩٨٣ إلى ١٩٩١ م، عندما قامت البعثة الأثرية اليمنية السوفيتية بأعمال الحفر والتنقيبات (١). وميناء (سمهرم / خور روري) في إقليم ظفار وهو الميناء الثاني لدولة حضرموت القديمة بعد ميناء قنا، الذي بدأت دارسته منذ عام ١٩٥٢ م عندما شرعت بعثة أمريكية للأثار في أعمال الحفر في موقع خور روري ثم البعثة الإيطالية و أخيراً البعثة الفرنسية حوالي سنة ٢٠٠٠ م. لم يعرف عن موانئ حضرموت القديمة غير هذين الميناءين فقط، حتى ميناء الشحر (لسعا) الشهير لم يتم اكتشافه إلا سنة ١٩٩٥ م من قبل البعثة الفرنسية (٢).

(صنعاء والمكلا) (٣). وكان من نتائج هذه الدراسات اكتشاف العديد من الموانئ القديمة التي كان بعضها نشطاً خلال فترة حضارة جنوب الجزيرة العربية والعصور الإسلامية المبكرة، ومن أهم هذه الموانئ: ميناء شرق الشحر (لسعا)، ميناء الشحر الإسلامي (فترة العصور الوسطى) وموانئ شرمة، والمصينة، وحيرج، وخلفات (خلفوت)، وشروين، وكدمة يعرب (يروب)، ... وغيرها من الموانئ. إلا إن ميناء حيرج كان أكثر هذه الموانئ حظاً من حيث عدد البعثات التي أجريت الدراسات الاستقصائية عليه بالمقارنة مع الموانئ الأخرى.

فما هي حيرج إذن؟؟

كجزء من برنامج الدراسة على موانئ المحيط الهندي، وهو برنامج معتمد من قبل شعبة علم الآثار والأبحاث في العلوم الاجتماعية التابعة لوزارة الشؤون الخارجية الفرنسية (DGICID)، وكانت هذه المسوحات بمسؤولية الباحثة الفرنسية الدكتورة أكسل روجيل (Axelle Rougeulle)، من المركز الوطني للبحث العلمي - وحدة الأبحاث المشتركة (CNRS - UMR ٨١٦٧)، بمعمل العصر الإسلامي الوسيط، وبدعم من وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية (الإدارة العامة للتعاون الدولي والتنمية)، والمركز الوطني للبحث العلمي برنامج موانئ المحيط الهندي، وبالتعاون مع الهيئة العامة للآثار والمتاحف اليمنية



طاهر ناصر المشطي

إلا أنه في الفترة بين عامي ١٩٩٦-١٩٩٩ م، أجريت مسوحات واسعة على الخط الساحلي الحالي من حضرموت والمهرة، بين مدينة الشحر والحدود العمانية، ودراسات أخرى على سواحل سلطنة عُمان، وقد أجريت هذه الدراسة





90

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

## حيرج أم المشقاص :

وصف صاحب كتاب : ( النسبة إلى المواضع و البلدان ) مدينة حيرج في القرن العاشر الهجري و ما قبله قائلاً عنها : هي بلدة مشهورة على ساحل البحر ، بحر ظفار ، وهي أم المشقاص (٤) ، وفيها محمد الحشريت وشيوخهم الأشعثيون من كندة من ذرية الأشعث بن قيس بن معدي كرب الحضرمي ، وفي حيرج بندر يقصده أهل الهند ومقدشوه ويتوسمه (٥) أهل الشحر وحضرموت ويحمل منه الكندر (٦) والصيفة (٧) إلى عدن وبربرة وجدة ، وإلى كل جهة ، ذكرها القاضي مسعود (٨) .

هكذا كان بندر حيرج قبل القرن العاشر الهجري يعج بالحركة و النشاط الاقتصادي بين أقاليم حضرموت و المهرة و ظفار وموانئ المحيط الهندي ، كما كان مسرحاً للصراعات السياسية و العسكرية بين حكام هذه الأقاليم . وهو اليوم أطلال وخراب ، يشهد على ذلك العصر في خجل واستحياء خاصة و قد تغيرت الكثير من ملامح المكان مع تقادم الزمان بفعل عوامل التآكل سواء بوساطة الأمواج أو السيول أو الرياح الأمر الذي أثر على جيومورفولوجية الموقع تأثيراً كبيراً بما في ذلك طمسها للكثير من الآثار و المعالم .

ولإبراز تاريخ هذا الميناء الذي كان له دور مميز في تاريخ حضرموت و المهرة قمنا برحلة بحثية ميدانية إليه لدراسته واستطلاع ، وذلك للتحقق من موقع قرية آل بالحاف و وادي ( بالحاف ) ، الذي دار جدل حول موقعه ، و أنه كان المسمى لوادي الدير الشرقى (٩) ، فكانت هذه الرحلة ، حيث كان انطلاقنا من مدينة الدير الشرقى يوم السبت تاريخ ١٠ يناير ٢٠١٥م ، وقد شاركنا في هذه الرحلة رئيس جمعية التراث والآثار بالدير الأخ جمال سالم قرنج ، و مجموعة من شباب بيت نمور من منطقة يضبط و هم الأستاذ أحمد كناش النموري المنسق لهذه الرحلة و الأخ السائق عوض أحمد محمد النموري والأخ صالح أحمد محمد النموري المساعد بالإضافة إلى أخيكم الفقير إلى الله كاتب هذه السطور طاهر ناصر المشطلي . وبهذا نتقدم بالشكر الجزيل لجميع الأخوة

المرافقين لتحملهم عناء السفر خلال هذه الرحلة . كما نتقدم بالشكر الجزيل لمرشدنا الوالد علي بن محمد بن زين من قرية ذرفات الذي طاف بنا على قطاعات بلدة حيرج و مقابرها و حصنها و بقية أجزائها ، كما نشكر الباحث علي سعيد باكرت (١٠) على استضافته لنا في منزله ، وعلى المعلومات القيّمة التي قدمها لنا ، كما نشكر مرافقنا داخل مدينة سيحوت الأخ أحمد سعد مسمار ، و منسقنا داخل سيحوت الأخ أحمد محسن السقاف . كما بحثنا أيضاً عن المصادر القديمة والحديثة التي تحدثت عن هذا الميناء بما فيها نتائج البعثات الأثرية الألمانية والفرنسية وكتب تاريخ حضرموت . وكانت النتيجة هذا البحث المتواضع الذي نأمل أن نصدره في كتيب إذا أتيحت لنا الفرصة ، و قد أوجزناه في الآتي :

### موقع الميناء :

يقع ميناء حيرج بمحافظة المهرة إلى الشرق من مصب وادي المسيلة ( عيص المسيلة ) بمسافة ٨ كم ، و على بعد ٤ كم إلى الغرب من سيحوت عند تقاطع دائرة العرض ١٥° ١١' ٣٩" شمال خط الاستواء ، مع خط الطول ٥١° ١٢' ٣٢" شرق جرينتش ، بين واديين صغيرين ، أحدهما شرقي يسمى وادي ( طيكر ) حيث تظهر آثار الميناء على الضفة الغربية منه عند المصب ، والآخر غربي و يسمى وادي ( ذرفات ) الذي تقع على ضفته الشرقية قرية ( ذرفات ) والتي تبعد عن ميناء حيرج بحوالي واحد كيلو متر باتجاه الجنوب الشرقي .

أما حدود الموقع كما هو مبين من

الخريطة المرفقة ، يحده من الشمال خط الإسفلت الدولي الطريق الواصل بين سيحوت و الشحر حيث يبتعد الجزء الشمالي من مقبرة حيرج عن خط الأسفلت بحوالي ٢٠٠ متر فقط ، و من الجنوب . يحدها البحر و خور ( خليج ) صغير قديم قد امتلأ اليوم بالإرسالات الغرينية التي أرسبتها الأودية المجاورة ( المسيلة ، ذرفات ، طيكر ) ، و هي اليوم عبارة سبخات ، و من الشرق وادي ( طيكر ) و من الغرب وادي ذرفات .

### أهمية الموقع :

تكمن أهمية ميناء حيرج في الآتي :  
١ . إنه بوابة لوادي حضرموت على ساحل المهرة المتصل بالمحيط الهندي ، و ذلك لاتصال ميناء حيرج بوادي حضرموت من خلال مخرجه ( وادي المسيلة ) ، وهو الاسم الذي يطلق على الجزء الأدنى من وادي حضرموت باتجاه البحر ، والذي يبعد حوالي ٨ كم فقط إلى الغرب من حيرج . وهذا الوادي هو المذكور في المصادر التاريخية التي تتحدث عن حيرج باسم وادي ( بالحاف ) ، نظراً لوجود قرية صغيرة على ضفته لآل بالحاف ذكرت في بعض مصادر تاريخ حضرموت (١١) ، والدليل القاطع على أن ما كان يسمى بوادي بالحاف قديماً هو اليوم وادي المسيلة هو ما تؤكد بعض الوثائق القديمة للأراضي الزراعية في وادي المسيلة و الموجودة حالياً لدى مكتب وزارة الزراعة بمديرية العيص ، م / المهرة ، ورد فيها موقع تلك الأراضي الزراعية بوادي بالحاف (١٢) ، وكما تؤكد أيضاً المصادر التاريخية لحضرموت و المهرة (١٣) ، وكما يشار



موقع خور حيرج. والذي كان مرسى للسفن ،  
أما اليوم فقد امتلأ بالرواسب السبخية ويستخدم لتجفيف الساردين (العيد)





91

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

فالمقبرة لا تبعد عن خط الإسفلت الدولي سوى أمتار معدودة، وهي مقبرة عظيمة جداً بها آلاف القبور الإسلامية فتشعر هنا بهيبة المكان وأنت تمر على آلاف الأموات في هذه القبور الصامتة... وبالالتجاء جنوباً تلاحظ آثار المباني وأساساتها ماثلة للعين مبعثرة هنا وهناك وبئر معطلة، ثم تلة مخروطية موقع حصن حيريج الشهير في ذلك الزمان، و آثار المسجد وعند اقترابك من موقع الميناء التي قد طمرته الرواسب تشم نسمات البحر فتشم معها عبق التاريخ وتحس بعظمة المكان.

تقول الدكتورة أكسيل روجول: ميناء حيريج هو موقع كبير جداً يمتد على مساحة تصل إلى أكثر من ثلاثين هكتاراً على طول الضفة اليمنى لمصب وادي طيكر tika أحد الأودية الكبيرة نسبياً (١٦) (انظر الشكل).

وعندما زارها عالم الآثار الألماني Burkhard VOGT سنة ١٩٩٣م شبهها بميناء العصور الوسطى المتأخر في (جلفار) بإمارة رأس الخيمة. حيث قال: عند دخولي إلى الموقع لأول مرة اندهشت

التعامل مع ما تبقى من البلدة الحضرية التي غطت جميع أنحائها بالكتل من الفخار والأواني الحجرية وغيرها من القطع الأثرية الأخرى، سرعان ما أدرك الفريق وبوضوح أن تاريخها يرجع إلى العصور الوسطى، التي لا يعرف عنها إلا القليل جداً من الآثار الإسلامية في هذه المنطقة. ومن ثم تم دراستها لفترة وجيزة في عام ١٩٩٣م من قبل فريق من معهد الآثار الألماني في صناعاء، وكان موقع الميناء الوحيد من كل هذا الساحل الذي قد تم رصده قبل بداية عمل البعثة الفرنسية في المنطقة، فقد كان الميناء مؤرخاً في الفترة بين القرنين الرابع عشر إلى السابع عشر الميلادي، و حدد الميناء المذكور في نصوص ذلك الوقت باسم (حيريج / حيرج / Khayrig)، وقد تم دراسته في أثناء الاستكشافات الأولية للبعثة الفرنسية لعام ١٩٩٥م، ومن ثم دراسته مرة أخرى في عام ١٩٩٦م (١٥).

### وصف الميناء :

عند الدخول إلى الموقع الواقع جنوب شرق قرية ذرفات، تشعر بعظمة المكان،

كثيراً إلى هذا الوادي في تلك المصادر بلفظ (الوادي) فقط، كمعلم معروف ومشهور، كما نقول اليوم: إن فلان جاء من الوادي.. يفهم مباشرة إنه جاء من وادي حضرموت، لأنه الوادي الرئيس في المنطقة، وفي ذلك إشارة إلى وادي بلحاف، الذي هو امتداد لوادي حضرموت نحو الساحل، وهو وادي المشقاص الرئيس. وهذه الأهمية ساعدت على الاتصال والتبادل التجاري بين وادي حضرموت وميناء حيريج وبقية الساحل من خلال القوافل التجارية التي تنقل البضائع من سواحل المهرة عبر وادي المسيلة (بالحاف) إلى وادي حضرموت والعكس، التي ربما وصلت من وإلى شبوة. وبذلك أصبحت حيريج همزة الوصل بين سكان وادي حضرموت وساحل المهرة وحضرموت من جهة وبينهما والمحيط الهندي من جهة أخرى.

٢. يتوسط ميناء حيريج على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية بين عمان واليمن، كما إنه يقابل جزيرة سقطرى والقرن الإفريقي، لهذا فهو ملتقى للسفن بين موانئ عمان والخليج وموانئ عدن والبحر الأحمر من جهة وبين هذه الموانئ وجزيرة سقطرى وموانئ شرق إفريقيا من جهة أخرى. كما إنه كان يقف على طريق خطوط سير السفن العباسية بين الخليج العربي والبحر الأحمر، ربما أيضاً كان مكاناً لتوريد وعرض البخور المحلي وفقاً لبعض النصوص (١٤).

### الاستكشافات الأثرية للميناء :

اكتشف الميناء لأول مرة من قبل فريق روسي يترأسه الدكتور الكسندر سيدوف Dr. Alexander Sedov وذلك عام ١٩٩٠م، ونظراً لقصر مدة إقامة الفريق الروسي في الموقع ظلت هذه الاكتشافات دون أي نتائج تذكر لدرجة عدم قدرة الفريق من التحقق بدقة من تاريخ المكتشفات السطحية و الاسم المحلي لها، وفي يناير كانون الثاني عام ١٩٩٣م قام الفريق الألماني برئاسة Burkhard Vogt الذي كان يعمل على الهضاب الجنوبية المرتفعة من حضرموت بجولة قصيرة إلى مصب وادي المسيلة. وخلال ساعتين من البقاء في هذا الموقع تم فيها



خريطة البعثة الفرنسية توضح موقع ميناء حيريج على الخليج و حدوده ومعالمه و تمدد المدينتين على الضفة الغربية ل وادي طيكر (تعريب طاهر المشعني)





92

العدد (4)

إبريل

يونيو

2017م



للفتنة من خلال هذا الضرب من التشابه مع ميناء العصور الوسطى المتأخر في جلفار بإمارة رأس الخيمة. فهو مثل جلفار وهذا هو أفضل وصف للوضع العام لهذا الموقع الجديد (١٧).

### أقسام الميناء :

ينقسم الميناء إلى أجزاء هي :

أ. الميناء ( المرسى ) :

تري الدكتورة أكسيل روجول إن ساحل حيريج يبدو أنه قد تشكل فيما مضى على خليج امتلاً اليوم بالرمال ، ويشكل زاوية قائمة عند مصب الوادي ، يعزل تلة مسطحة كبيرة موازية للبحر، مساحتها على وجه التقريب حوالي ٩ هكتار ( انظر خريطة ) ، قد تشكلت بالفعل في ذلك الوقت من العصور الوسطى ، وهذا الخليج يمكن أن يكون بمثابة الميناء ، أو على الأقل حماية طبيعية للمدينة المثبتة على شبه الجزيرة ( شكل خريطة اكسل ) .

و موقع هذا الخليج قد امتلأ اليوم بالرواسب السيلية التي أثرت عليها ملوحة البحر مما حولها إلى سبخات ، تستغل اليوم لتجفيف ( العيد ) . إلا أن آثار الساحل السابق في هذا القطاع واضحة ولكن: يبدو أن أجزاء كبيرة و رئيسية من الموقع قد مُحسنت و جرفتها الأمواج العالية وبتأثير المد و الجزر ، إلا أن الأساسات الحجرية الأعمق فقط في بعض الأماكن منعت من اكتمال التآكل و النحت ، مما يترك بعض الجزر الصغيرة. (١٨).

مسافة ٧٠٠ متر تقريباً من منطقة التجمعات الحضرية في الخليج حتى الطريق الحالي، وهي مساحة أكبر من المدينة . وتوجد ثلاثة قبور مبنية تقع إلى الشمال من هذه المقبرة ، ليست بعيدة عن الطريق. وقد تميزت بوضع شواهد عليها عبارة عن قطعة من كتلة منحوتة مستطيلة من الحجر الجيري محاطة بإطار



### ب. أطلال البلدة :

العديد من الأساسات أو جدران المباني القديمة تظهر على سطح الأرض بين الحصى في وادي طيكر وعلى ضفته الغربية ، وقد حدد الفريق الألماني أحد الشوارع الرئيسية الكبرى العريضة الذي تصطف على كل جانب منه المباني المستطيلة المتجاورة، ربما هي عبارة عن منازل أو محلات تجارية، فضلاً عن سور فاصل على طول الشاطئ الشمالي ( انظر الشكل ) . كما يوجد العديد من المباني، بما في ذلك مبنى كبير ومسجد صغير، وتقع أيضاً على طول الشاطئ الشمالي من الخليج، تواجه مع شبه الجزيرة، وفي منطقة البرزخ.

### ج. المقبرة :

الميزة الرئيسية لحيريج هي وجود مقبرة كبيرة شاسعة غنية بها عدة الآلاف من القبور، والتي تمتد على مدى ما يقارب من

وهي مزينة مع ألواح كبرى المدرجة منقوشة واحدة منها مؤرخة بتاريخ ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م (١٩).

معظم القبور في هذه المقبرة عبارة عن قبور تقليدية ، باستثناء تلك الثلاثة القبور التي يبدو إنها لبعض أعيان حيريج . و من مشاهير المقبورين في هذه المقبرة الشيخ الأديب الصالح الفقيه عفيف الدين عبد الله بن أحمد أبا كريت والد الشيخ محمد المقبور بسيحوت ، المشهور بـ (عبد الله الأديب) جد جميع آل باكرت الذي توفي سنة ٦٦٧ هـ (٢٠)، والذي له زيارة لا تزال تقام إلى يومنا هذا ثالث أيام عيد







93

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

## موجز تاريخ حيريج :

يعود إنشاء ميناء حيريج إلى فترة العصور الإسلامية المبكرة . فالاستيطان فيه يعود تاريخه على الأقل إلى القرن العاشر الميلادي ( الثالث الهجري ) . ويبدو في ذلك الوقت أن المدينة قد تمددت خارج شبه الجزيرة إلى حافة الخليج ، والمقبرة كانت تقع على حافة المدينة . وكان الميناء بالفعل نشطاً في التجارة الدولية ، وبالتأكيد فهو يقف على طريق خطوط سير السفن العباسية بين الخليج العربي والبحر الأحمر ، ربما أيضاً كان مكاناً لتوريد وعرض البخور المحلي ، وكان أيضاً أحد الأماكن الرئيسية للانطلاق إلى جزيرة سقطرى ( ٢٦ ) . بلغت حيريج أوج ازدهارها خلال دولة أبي دجاجة في ساحل حضرموت والمهرة : ( ٨٢٥ - ٩٠١ هـ ) التي تنسب إلى سعيد بن فارس الكندي ، المكنى ( بأبي دجاجة ) ، وأول ذكر لهذا الفارس سنة ٨٢٥ هـ ، ولعل هذه بدايات دولته ( ٢٧ ) ، الذي اتخذ من ميناء حيريج عاصمة له ، و امتدت هذه الدولة في أوج قوتها إلى الشحر وكادت تمتد إلى ظفار وعدن إلا إن الأقدار حالت دون ذلك ، كما اشتهرت بالدور الذي اضطلعت به في القرن السادس عشر الميلادي ( العاشر الهجري ) في الصراع بين البرتغاليين و السلاطين المحليين للسيطرة على ساحل حضرموت في ذلك الوقت ( ٢٨ ) .

تم التخلي عن ميناء حيريج في القرن السابع عشر الميلادي ( الحادي عشر الهجري ) وهُجرت ( ٢٩ ) منذ ذلك الوقت بالتدريج ، ونرى أن من الأسباب التي أدت إلى هجرها هو تراكم الرواسب في الميناء مما أدى إلى ضلالتة ومن ثم صعوبة رسو السفن فيه ، وكذلك إنشاء مدينة سيحوت المجاورة



مرافقنا الوالد علي بن محمد بن زين في الوسط والأخوين عوض وصالح الثموري ممسكين بأحد شواهد القبور

السلطان بدر بوطوبيرق حيريج و ذلك آخر النهار من يوم الأربعاء ٢١ جمادى الأولى سنة ٩٤٢ هـ مع جماعة من الأشراف الزيدية و البدو وبعض القبائل الموالية له ، منع حصنها ، و جعل فيه أربعين رامياً منهم عشرة بنادقية ، و جعل فيه زربطانات ( ٢٣ ) وملاة طعاماً و تمرأ وماء ( ٢٤ ) .

الأضحي ولأهل المشقاخ فيه اعتقاد ( ٢١ ) . ترى الدكتور أكسيل روجيل أن التوسع في المقبرة بدأ من الجنوب نحو الشمال لوجود الجزء القديم من المقبرة مثبتة قرب التكتلات العمرانية للمستوطنة ( المدينة ) ، و تحول الدفن بعد ذلك تدريجياً نحو مناطق الأراضي الداخلية الشمالية ( ٢٢ )



قبر الشيخ عبدالله الأديب جد آل باكريت من أعيان حيريج في القرن السابع الهجري

## هـ . مسجد حيريج :

وينسب هذا المسجد إلى الشيخ عبد الله القديم عبّاد ، المتوفي سنة ( ٦٨٧ هـ ) ، الأخذ عن الفقيه محمد بن علي باعلوي ( ٢٥ ) ، لم تبق من آثاره سوى كومة كبيرة من الركام ، هي عبارة بقية الجدران و السقوف .

• ويلاحظ أن السيول المارة بوادي طيكر قد جرفت عدداً من هذه القبور .

## د . القلعة ( حصن حيريج ) :

هو لحماية الميناء و الدفاع عنه ومراقبة السفن القادمة إلى الميناء ، وهو الهيكل الأكثر بروزاً بشبه الجزيرة ، ويقع الحصن على التل الكبير المخروطي الشكل ، ارتفاعه حوالي ٥ أمتار ، يقع في الزاوية التي يلتقي فيها وادي ( طيكر ) بالبحر ، ولا زالت آثار الحصن وبقاياه إلى يومنا ماثلة للعيان ، وإلى الشمال من الحصن توجد بئر قد بنيت جوانبها بالحجارة لحمايتها من الانهيار ، كما توجد آثار دفاعات حربية عبارة عن ( متاريس ) باتجاه البحر . و تذكر المصادر التاريخية عندما دخل

موقع حصن حيريج عند تقاطع مصب وادي طيكر مع خط الساحل لم منه إلا هذا التل محتفظاً بركاماته







94

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

كميناء منافس لحيريج، والتي اختطها الشيخ محمد بن عبد الله باكريت (٣٠) بإشارة من شيخه عبد الله القديم (٣١) في القرن الثامن الهجري قبيل هجر حيريج، كما يتحدث بذلك كثير من شيوخ آل باعباد، وكان خراجها خالصاً له، إلا أنه يهدي مطبخ الشيخ القديم ما تسمح به نفسه (٣٢). هكذا كانت حيريج حاضرة المهرة وحضر موت سيطرت تاريخها في ظل تجاذبات إقليمية ودولية فسادت رداً من الزمن ثم بادت، إلا أن ذاكرة المكان، لا تزال تحدثنا عن ذلك الماضي، وتخبّرنا على ما دار عليها من أحداث.. ولا تزال تروي لنا الروايات والأخبار.. وسترويها إلى يوم القيامة.. (يومئذ تحدث أخبارها بأن ربها أوحى لها..)

#### الهوامش :

- 1) الشيعي، خالد صالح قاسم (ميناء قنا من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي) رسالة دكتوراة من جامعة عدن سنة 2007م ص 52.
- 2) (Hardy-Guilbert & Rougeulle 1995, 1997a-b). and Axelle Rougeulle & Anne Benoist (Notes on pre- and early Islamic harbours of Hadramawt (Yemen), Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 31 (2001) p.203
- 3) Rougeulle Axelle (Hayriç, Šarwayn, Ĥalfât, les ports anciens du Mahra ) Yémen. c. ix-xiie siècles . Anisi 42 (2008), p. 377
- 4) يطلق لفظ ( المشقاص ) على الجهات الواقعة إلى الشرق من مدينة الشجر وعكسها ( المغرب ) .
- 5) يتوسمه أهل الشجر وحضر موت : يطلبون الكلاً الوسمي، و هو الكلاً الناتج عن مطر الربيع .
- 6) الكندر : اللبان ، نوع من أنواع العلك .
- 7) الصيفة : زيت كبد الحوت .
- 8) بامخرمة ، جمال الدين عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد ، النسبة إلى المواضع والبلدان ص 257.
- 9) انظر: مفلح ، سالم فرج ( قرية بلحاف الاسم التاريخي لمدينة الديس الشرقية ) ، مجلة التراث الصادرة عن جمعية التراث بغيل باوزير العدد 15 لسنة 2007م .
- 10) الأستاذ علي سعيد باكريت ، باحث في تاريخ المهرة له كتاب بعنوان ( المهرة الأرض و السكان ) صادر عن دار جامعة عدن 1999م
- 11) جاء في أحداث سنة 813 هـ : أخذ ابن فارس قرية آل بالحاف ( شمبل / 203 ) .

12) اطلع على هذه الوثائق الباحث الأستاذ علي سعيد باكريت و أكد لنا ذلك في مقابلة معه مسجلة بصوته، في أثناء زيارتنا له بمنزله بسيحوت بتاريخ 10 يناير 2015م.

13) لعل حملة السلطان بدر أبو طريق على قشن سنة 953 هـ الدليل الواضح على أن وادي المسيلة هو ما كان يسمى بالحاف حيث جاء في الخبر : ( و كان خروج السلطان من الشجر في 22 ربيع الثاني إلى أن دخل وادي بالحاف و أقام فيه تسعة أيام بعد أن توصل محمد ابن بدر من حضر موت من طريق المسيلة ) ، فالمكان الذي انتظر فيه السلطان بدر لابد أن يكون ملتقى طريق الشجر و وادي حضر موت باتجاه الشرق . راجع تفاصيل الخبر في العدد 1 / 198 ، راجع أيضاً تاريخ الشجر لبلأقيه أحداث هذه السنة ص 322 ، و كذا أحداث سنة 970 هـ حدوث غيث و أمطار وسيول كبيرة حيث قال : ( ... و أخذ سيل حضر موت جملة خلائق من النساء و الرجال من المسفلة فمنهم من ظهر ميتاً في البحر نحو حيريج و سواحل جوانبها رجالاً و نساءً بحليهن لأنه كان يوم زينة عيد الفطر و قليل منهم تعلق بخشب النخل و سلم و أخرجت أسوار كثيرة ، و أخذ من النخل شيئاً لا يحصى وأخذ جميع ذبّر المسيلة بوادي بلحاف والعيص و جعله رحبة ... ) .

14) Rougeulle Axelle (Hayriç, Šarwayn, Ĥalfât, les ports anciens du Mahra ) Yémen. c. ix-xiie siècles . Anisi 42 (2008), p. 381

15) ROUGEULLE Axelle (Hayriç, Šarwayn, Ĥalfât, les ports anciens du Mahra) Yémen. c. ix-xiie siècles. Anisi 42 (2008), p. 379

16) ROUGEULLE Axelle (Hayriç, Šarwayn, Ĥalfât, les ports anciens du Mahra) Yémen. c. ix-xiie siècles. Anisi 42 (2008), p. 379

17) يبدو هذا التشابه بينهما بأن عدة نواح مشتركة منها : موقع الميناءين بأنها تقع على هامش السهل الساحلي و سفوح الجبال الساحلية مع سلسلة جبال ترتفع لنحو من 500 إلى 600 متر، في الخلف وموازية للساحل في مسافة 4 أو 5 كم. منها : الخور في الميناءين ملئ بالغرين ( الطمي ) بسبب رواسب الأودية التي تصب بالقرب من الميناء، و تآكل شاطئ البحر بشكل كبير و منها : نعومة التربة السطحية داخل مدينة الميناء ومنها : التفاصيل الإنشائية فضلاً عن تكوين وطبيعة مخزونها ..... إلخ . للمزيد من المعلومات راجع : ( Vogt ,1994 p.138 )

- 18) Burkhard Vogt, (A Lost Late Islamic Port on the South Arabian Coast ) . Bulletin of Archaeology, The University of Kanazawa, Vol. 21, 1994 p.138
- 19) Rougeulle Axelle (Hayriç, Šarwayn, Ĥalfât, les ports anciens du Mahra ) Yémen. c. ix-xiie siècles . Anisi 42 (2008), p. 380.
- 20) شمبل ص 128 .
- 21) هذه المعلومات استقيناهما من مرافقنا الوالد علي بن محمد بن زين من سكان منطقة ذرفات .
- 22) Rougeulle Axelle (Hayriç, Šarwayn, Ĥalfât, les ports anciens du Mahra ) Yémen. c. ix-xiie siècles . Anisi 42 (2008), p. 380.
- 23) مدافع صغيرة تعد للضرب .
- 24) العدد 1 / 179 .
- 25) السقاف، السيد عبدالرحمن ابن عبيد الله، ( إدام القوت في ذكر بلدان حضر موت ) الطبعة الأولى 1425هـ - 2005م ، دار المنهاج للنشر و التوزيع بيروت لبنان ص .
- 26) Rougeulle Axelle (Hayriç, Šarwayn, Ĥalfât, les ports anciens du Mahra ) Yémen. c. ix-xiie siècles . Anisi 42 (2008), p. 381
- Tibbetts, نقلًا عن 381 (2008), p. 91.
- 27) بن زومة الجدحي ، سعد بن سالم بن علي ( تاريخ المهرة ، المسمى : التطواف حول تواريخ و مشاهير بلاد الأحقاف ) ، دار المستقبل للطباعة و النشر ، الطبعة الأولى 1434هـ - 2013م ص 151
- 28) Serjeant, The Portuguese ; Vogt, A Lost Late
- 29) Rougeulle Axelle (Hayriç, Šarwayn, Ĥalfât, les ports anciens du Mahra ) Yémen. c. ix-xiie siècles . Anisi 42 (2008), p. 380
- 30) الشيخ محمد بن عبد الله بن أحمد باكريت ، أحد أعيان الساحل الحضرمي في القرن الثامن الهجري ، من أخص تلاميذ الشيخ عبد الله القديم عباد ، توفي سنة (733هـ) بسيحوت ، له راتب مشهور ، و هو مجموعة أذكار و أدعية ، و من هذه الأذكار : (يا الله لنا بالسعادة ، و الخاتمة والشهادة . يالله بدعوة مجابة ، و العرش مفتوح بابه . رب اسقنا غيث الإيمان ، غيث المودة و الإحسان . يا الله بنظرة من الله، نظرة وفيها المسرة) وغيرها.
- 31) هو الشيخ: عبد الله بن محمد باعباد، المعروف بـ (القديم) المقبور بشبام سنة 687هـ.
- 32) السقاف، السيد عبد الرحمن ابن عبيد الله، ( إدام القوت في ذكر بلدان حضر موت ) الطبعة الأولى 1425هـ - 2005م ، دار المنهاج للنشر والتوزيع بيروت لبنان ص 235 ، 236





95

العدد (4)  
أبريل  
يونيو  
2017م

# البقرة في الاختلاف ودرجات التعريف

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَخَذْنَا هُزُوءًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانَ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تَأْمُرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظَائِرَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْنَا بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) ﴾ البقرة : ٦٧ - ٧١ .

## ٤) الوظيفة :

يعود السؤال من جديد عن الماهية وكأن شيئاً لم يكن، لكن مع توضيح أن السبب في عدم وصولهم إلى البقرة المرادة يعود إلى أنهم وصلوا إلى درجة الاشتباه والحيرة في الاختيار؛ أي أن البقر لم يتميز بعد، وهو أمر يدعو في الجواب إلى سلب مزيد من صفات البقر المشتركة حتى يتم الاقتراب نحو التعيين، وفي كلمة : ( مهتدون ) إشارة إلى أنهم ( ضالون ) لم يهتدوا إلى الحق في تعيين هذه البقرة بعد، فجاء الجواب بالانتقال من سلب بعض الصفات الشكلية إلى سلب صفتين من الصفات الوظيفية العملية للبقر : وهي : الترويض لإثارة الأرض، وسقي الحرث، مع الخلو من النقص، والخلو من العيب .

وعليه فهي بقرة : لا إنسان، ولا حمار، ولا جماد، ولا سماء، ولا أرض، ولا تراب، ولا نار ...

وهي بقرة : لا ناقة، ولا فرس، ولا شاة، ولا طائر ...

وهي بقرة : لا كبيرة ولا صغيرة، وهي بقرة : صفراء، أي : لا سوداء ولا بيضاء ولا حمراء ...

وهي بقرة فاقع لونها : أي صفرتها لا خفيفة ولا ضعيفة .

وهي بقرة : لا تثير الاشمزاز ولا النفور . وهي أخيراً بقرة : لا تثير الأرض، ولا تسقي الحرث، لا نقص فيها، ولا عيب .

هكذا لا يكون تعريف البقرة بوصفها كلمة وعلامة إلا عن طريق السلب والنفي والاختلاف .

البقرة مهما كانت صغيرة أم كبيرة، ملونة أم غير ملونة، تعمل أم لا تعمل، صحيحة أم معيبة، هكذا يكون تعريف البقرة بشكل علمي وهو أمر في غاية الجدية والمعرفة والوضوح، لا مجال معه للاستهزاء أو السخرية أو اللعب .

## ٢) العمر :

إن السؤال عن الماهية بعد تحديد صفات البقرة بهذه الدقة والوضوح والجدية يعني أنهم لم يتبينوا وضوحاً بعد، أو أنهم فهموا أن الله يعني بقرة معينة محددة ومميزة تنطبق على بقرة واحدة فقط، وليس على جنس متعدد من البقر، ولن يكون لمعنى التعريف بالبقرة إلا الإنقاص من صفات البقرة المكتملة كلها سلباً وإيجاباً : وهو الأمر الذي نلاحظه في التعريف لها في المرحلة الثانية : إذ يتم إسقاط صفتين من صفات البقر متعلقة بالناحية الشكلية وهي العمر : فهي لا كبيرة، ولا صغيرة، هي بقرة بصفاتها السابقة مع إسقاط صفتين : فهي ليست مسنة هرمة، لا تحمل ولا تلد، وليست صغيرة .

## ٣) اللون :

والسؤال عن اللون يتعلق بالناحية الثانية من الشكل بعد السؤال عن العمر، وتعيين اللون الأصفر هنا يعني :

(أ) أنه لا أسود، ولا أبيض، ولا أحمر ...

(ب) الأصفر الفاقع هو الشديد والصافي، وهو بالضرورة ينفي وجود الدرجات الأخرى الضعيفة، والفاتحة والخفيفة من هذا اللون .

(ج) أن هذا اللون في البقرة يجعلها بقرة جميلة تثير العجب والاستحسان، لا الاشمزاز والنفور .



د. أحمد سعيد عبيدون

نود الوقوف هنا على الطريقة التي تم بها تعريف كلمة (بقرة) في القرآن الكريم بوصفها : صورة صوتية (ب-ق-ر-ة)، وصورة ذهنية ملازمة لها وضرورية لوجودها، يؤدي التحامهما إلى (علامة) واحدة تدل على جنس مختلف عن أجناس الكلمات للحيوان في العربية، وهذه الطريقة تكشف عن أن الحديث عن تعريف البقرة والوصول إلى تحديد مميز ودقيق لها منذ (الأمر) حتى تنفيذه بـ (الذبح) قد مر بمراحل أربع :

## ١) الماهية :

في هذه المرحلة تكون البقرة معرفة بجنسها في اختلافها عن بقية الأجناس الأخرى، وفي تميزها عن غيرها من جنس الكلمات الأخرى في العربية؛ فهي بقرة : أي :

أ) لا إنسان، ولا حمار، ولا جماد، ولا سماء، ولا أرض، ولا تراب، ولا نار ...

ب) ليست حيواناً آخر مما يذبح : أي : لا ناقة، ولا فرس، ولا شاة، ولا طائر ...

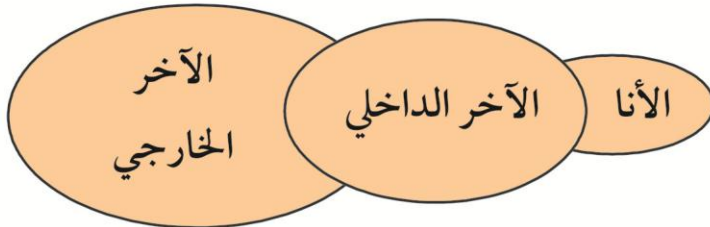
وعليه فإن كلمة (بقرة) تشمل كل بقرة في جنسها في احتفاظها بكل الصفات الإيجابية والسلبية معاً؛ وسوف تدخل في هذا التعريف كل بقرة ينطبق عليها وصف





# السيرة الذاتية

## من التسجيل إلى التخيل



وغيرهما، لهذا تساءل غير واحد من الدارسين عن إمكانية عدّ السيرة الذاتية جنساً أدبياً مستقلاً قائماً بذاته.

هذا التساؤل له مشروعيتّه؛ يسأله مألُ التأمّل في (خانة الأشكال ذات العائلة الإجناسيّة الواحدة فيصعب التميّز العلمي المقنع والنّهائي بين السيرة الذاتيّة والمذكرات وبينها وبين السيرة والرواية الشخصيّة وقصيدة السيرة الذاتيّة واليوميات الخاصّة

ويتشكّل الآخر تجريباً بوصفه حالةً من حالات التكوين النفسي لأي فرد بوصفه الآخر / الآخر قسّياً إلى الأنا الخاصّة بحسب تعبير تودوروف.

وعلى الرغم من هذا التداخل تسعى السيرة الذاتية إلى محاولة إماتة (الآخر) بإقصاء صوته -قدر المستطاع- فتتضخم (الذاتية) في إطار الأحداث (الراهنّة) فلا نسمع خلال تدفق السرد إلا صدى صوت (الذات) فيتلاشي -جرّاء ذلك- صوت (الآخر) مع حضور طيفه



د. طه حسين الحضرمي

(١)

**مصطلح (السيرة) الموصوف**  
بـ (الذاتية) (Biographie) ليس أميناً إلى حد كبير إلا على سبيل التجوّر. فالذات هاهنا تبحر في محيط (الآخر) ولا وجود لها على الواقع المعيش منفردة. فالذاتية هنا لا تعدو مواضعاً للتعريف بأن هذه السيرة (تاريخ ذات) لا تستطيع الوعي بـ وجودها إلا في إطار التعايش مع الآخر بكل تجلياته أو مواجهته. إذن فهي ذاتية منفتحة تتداخل مع الآخر. وهذا التداخل بين الأنا والآخر ينبثق من تصور جوهري في اتحاد الجنس البشري في مشارق الأرض ومغاربها، بيد أنه في تصور الواقعي يثير قضية من أهم قضايا العصر يشير سهمه الدلالي إلى تفاعل الأنا مع الآخر مواجهةً أو حواراً.

تتمايز الأنا عن الآخر في صور متداخلة على النحو الآتي:

### يصعب التمييز العلمي بين السيرة الذاتية والمذكرات وبينها وبين السيرة والرواية الشخصية وقصيدة السيرة الذاتية واليوميات الخاصة والرسم الذاتي أو المقالة

والرسم الذاتي أو المقالة فضلاً عن علاقة السيرة الذاتية بالرواية، فقد نجد عنصراً مفارقاً في علاقة هذا الشكل بالشكل الآخر ولكن الحدود الفاصلة قد لا تبدو مطلقة ونهائية بقطع النظر عن النظريّة التي تبيح التداخل بين الأجناس الأدبيّة وتشكّل في الحدود الفاصلة بينها) على حد تعبير الدكتور محمد الباردي.

فمن هنا جاء سعي الدارسين الحثيث إلى رسم حدود فاصلة بين السيرة الذاتية والأجناس الأدبية المتاخمة لها من مثل المذكرات واليوميات بشكل

الشفاف في إطار الأحداث بوصفه مسانداً للوظيفة الأساسية للسرد؛ إذ لا يتحقق السرد السير ذاتي إلا من خلال هذا التداخل/القسري بين الأنا والآخر.

(٢)

تثير السيرة الذاتية بوصفها جنساً أدبياً إشكالية تتعلق بمقوماتها الفنية التي ترسم الحدود الفاصلة بينها وبين الأجناس الأدبية الأخرى مما تعتمد السرد الخيالي مثل الرواية ومما تعتمد الذاتية المحضّة المستندة على التسجيل المباشر مثل اليوميات والمذكرات





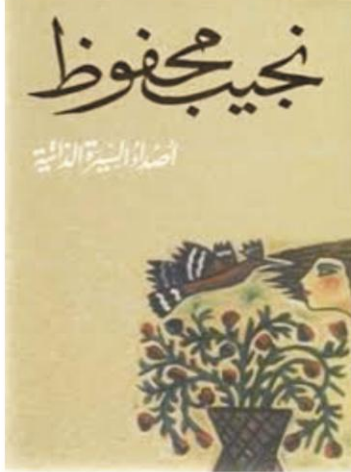
97

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

يتوخاها كاتب السيرة؛ انطلاقاً من التسجيل المحض للأحداث بلغة علمية محدودة الدلالات إلى التخيل المحلق بلغة أدبية تكثر فيها الانزياحات.

احتضنت كتب التاريخ شذرات مما عُرف بالتراجم التي تدور في إطار الغيرية؛ بيد أن بعض المؤرخين والأدباء انفردوا بإيراد تراجمهم الذاتية في مصنفاتهم اقتداءً بالمحدثين على نحو ما صنع ياقوت الحموي في (معجم الأدباء) ولسان الدين بن الخطيب في (تاريخ غرناطة) وجلال الدين السيوطي في (حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة).

ثم اتخذت الترجمة الذاتية سبيلاً آخر أكثر إغلا في الأدبية ولكن في دائرة التسجيل مثلما فعل أسامة بن منقذ في (الاعتبار) ثم حُلقت في فضاء البعد المعرفي والروحي كما هو عند الإمام أبي حامد الغزالي في (المنقذ من الضلال). ظلت السيرة الذاتية تراوح بين هذين الاتجاهين في إطار التسجيل الحر لحياة صاحب السيرة. وهذا ما نلاحظه في



كتابات السيرة الذاتية في العصر الحديث التي اتخذت عنواناً مباشراً مثل (حياتي) / أحمد لطفي السيد، أحمد أمين، عبد الرحمن بدوي، أو بعنوانات مراوغة ذات بعد تشويقي مثل (ذكريات عارية) للسيد أبو النجا. كما إن الأديب قد يلجأ إلى الاتكاء على الأحلام والتمائم والرؤى كما صنع نجيب محفوظ في أصداء سيرته الذاتية على طريقته المعهودة في البعد عن المباشرة والتقريرية.

السردية المختلفة في أحضانها وتوهج الجانب الفني في متونها من جانب آخر.  
(٣)

هل السيرة في عمق هويتها الانطولوجية - بوصف الانطولوجيا عمقاً معرفياً للتصنيف - ومآلها الإنتاجي علم أو فن؟ يرى السير (هارولد نيكلسون) أن السيرة الذاتية بوصفها تاريخاً لحياة الأفراد فرع من الأدب؛ بيد أنه يتنبأ متشائماً - على حد تعبير ليون إدل - بأنها ستتحول لا محالة إلى فرع من العلم. وهو بهذا

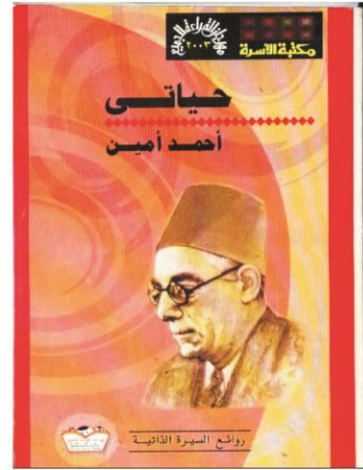


القول يبدو واقعا تحت تأثير الرواد الميسرين للتحليل النفسي ومنغمسا في موجات (التقليعات) الزائلة التي كانت تقول في أوائل القرن العشرين بإمكانية نقل غدد القرد إلى الإنسان! لهذا كان على يقين بأن السيرة ستتحول باستمرار إلى تاريخ علمي، بدلا من أن تروي حياة أصحابها بأسلوب أدبي.

أما (فرجينيا وولف) فتقف مترددة للفصل في هذا الأمر مستخدمة توصيفا يشي بأدبية السيرة؛ إذ إنها ترى أن السيرة ليست فنا ولا علما وإنما هي نوع من الصنعة الراقية. فبهذه الوسطية جعلت (ولف) كاتب السيرة (صانعا) يعين على التخفيف من غلواء الأخيلة الأدبية البحتة ويساعد على تسرب (الحقيقة الرزينة) إلى هذا العالم في توازن موسق بين التسجيل والتخيل.

(٤)

تتخذ السيرة الذاتية طرائق تشكيل وسبلا تعبيرية أشتاتاً وفقاً للغايات التي



أساسي، وكثيراً ما قُرّن بين السيرة الذاتية وبين المذكرات، على الرغم من الفارق البين بينهما؛ لأن السيرة الذاتية تدور في إطار سرد أحداث المعرفة الذاتية بعيداً عن سرد الأحداث العامة. أما المذكرات فتحرص عادة على تدوين الأحداث دون الالتفات الدائم إلى ذاتية كاتب المذكرات.

كما أن استخدام الزمن يكاد يكون حداً فاصلاً إلى حد ما بين السيرة الذاتية واليوميات؛ لأن السيرة الذاتية مرتبطة بإطار زمني منتقى لحياة كاتب السيرة ويكون للاختيار مسوغه التأليفي ولكن اليوميات تدور في إطار راهنية الزمن الماضي القريب على الرغم من أنهما يسلكان (اتجاهاً زمنياً واحداً [فهما]) ينطلقان من الحاضر إلى الماضي ومن لحظة الكتابة إلى لحظة التجربة فإن المساحة الزمنية التي تفصل بين زمن الكتابة وزمن التجربة تكون في السيرة الذاتية أوسع منها في اليوميات بحسب رؤية الدكتور محمد الباردي.

ثم إن الإحالة المرجعية بين هذين الجنسين تختلف، فإذا كانت مرجعية اليوميات تتسم بالدقة بحكم قرب لحظة التدوين من لحظة التجربة، فإن مرجعية السيرة الذاتية والمذكرات قد يشوبها الكثير من التشويش والاضطراب بحكم اعتمادها على الذاكرة، وقد قيل إن الذاكرة خوّانة.

على الرغم من كل ذلك تظل السيرة الذاتية بوصفها شكلاً أدبياً مثار تساؤلات لا تعد ولا تحصى بسبب تداخل الأجناس





## الشروط الفنية لتحويل الرواية والقصة إلى دراما مسرحية تلفزيونية أو سينمائية

الدراما في الواقع هي حركة الأشخاص والصراع من أجل الحياة والعيش كل وفق نظريته وهيما يريد ويبتغي .. فكل له نظريته إلى هذه الحياة ، فثمة من يرى أن حياته لن تتحقق إلا إذا تمكن من الإمساك بكل أوجه العيش المادي والروحي . وهناك من يعتقد أن عيشه مرتبط بحياة الآخر ، وآخرون يرون أن لا حياة له إلا بأخذ كل ما يريده عنوة .. ولا يهمهم إن كان الذي سيأخذه سيشتقي الآخرين .. فمثل هؤلاء في مقدمة تفكيرهم وسعيهم " أنا " وليس الآخر أياً كان قريباً أم بعيداً . الدراما قبل أن تتحول إلى فن هي موجودة في الحياة ومرتبطة بالمجتمعات .. غير أنها كانت تحكمها البدائية وتحكم القوى على الضعيف فالأضعف إلى أن ظهرت الديانات الوضعية والسماوية والمعتقدات والنواميس والأعراف .



صالح سعيد باعامر

في النص .  
ومن أحشاء الدراما المسرحية ظهرت الدراما الروائية والقصصية والتمثيلية والمسلسل الإذاعي والتلفزيوني والدراما السينمائية وغيرها من التفرعات الدرامية كالشهد المسرحي والتعبير والمنولوج الغنائي .. وعلى المسرح المرتجل .  
اعتمد المسرح على النص وعلى المخرج وعلى الممثل وعلى الجمهور .. ومع تطور الفنون السردية وبروز الفن الروائي انجذب القارئ إلى هذا الفن وعند بروز أي رواية تعتنى بالتاريخ والتسجيل الروائي أو السينمائي سرعان ما تتحول إلى نص مسرحي لجدية موضوعاتها وفنياتها بل أحياناً كثيرة نجد كثيراً من الروايات العالمية تتحول إلى أفلام سينمائية .  
في الوطن العربي ومع ازدهار الدراما المسرحية والدراما السينمائية والتلفزيونية تحولت عدد من الروايات العربية إلى مسرحيات وأفلام سينمائية ومن أبرز هذه الروايات روايات نجيب محفوظ ولطفي الخولي وإحسان عبد القدوس ويوسف السباعي ويوسف إدريس وباكثر وغيرهم ..

عندئذ تعددت المذاهب الدرامية بوجود مدارس للمسرح ومدارس للسينما وظهر مسرح سمي بمسرح الجيب والمسرح الفكري أو الذهني والمسرح التجريبي وظهرت السينما الجديدة " الواقعية والتسجيلية وسينما الخيال العلمي وأفلام الأطفال " ومؤخراً سينما الفانتازيا .  
وهنا لا بد أن نشير إلى أن تحويل الرواية والقصة إلى مسرحية أو فيلم سينمائي

والعقدة التي تصعد من الصراع، وكان الأسلوب الطاغى على الشعر والنثر المشعور .

وبذلك انتقلت الدراما المسرحية إلى مختلف شعوب العالم بعد أن اعتنت بقضايا إنسانية من أجل انتصار الخير على الشر وشيئاً فشيئاً تنوعت الدراما وتعددت إلى درامات مختلفة برؤى فنية ومناهج عديدة وموضوعات مبتكرة وإبداعات مغايرة لما سبق .. فهي لم تخرج عن التاريخ أو إسقاط التاريخ على الواقع . لقد تأثرت الدراما المسرحية العربية بهذه الموجات وشهدت مصر تطوراً درامياً على يد الشوام الذين قدموا إلى القاهرة ومنهم جورج أبيض هذه الخطوة أظهرت كتابات للمسرح .. وتطور هذا الفن في الستينيات من القرن العشرين .. وكان توفيق الحكيم من أبرز الكتاب الذين تعاوطوا هذا الفن الذي اهتم أكثر ما اهتم بالمسرح الذهني والاستفادة من الأساطير الغربية " مسرحية بجماليون " التي أعطاه روحاً أخرى ورؤية مختلفة .

ومن أبرز أعماله في هذا الشأن مسرحية ياطالع الشجرة التي ارتكزت على الأسطورة، وتوفيق الحكيم أعطاه رؤية مسرحية حديثة وبعداً فنياً .

إذا كانت الدراما قد ارتبطت بالأساطير والخرافات ثم بالطوقوس والمعتقدات فلقد تحولت إلى فن راق أطلق عليه " أبو الفنون " وغدا وسيلة للتغيير فكم ترددت على المسامع عبارة " أعطني مسرحاً أعطك شعباً مثقفاً " هذه المقولة التي عرفها مسرح " برخت " الذي أضاف البعد الرابع على عناصر المسرح وهو إشراك المتفرج

الدراما المسرحية أول ما بدأت عند الإغريق عندما كانت فناً طقوسياً وتضرعاً للآلهة من خلال ما يقدم في المعابد من أعمال مسرحية بمفهوم ذلك الزمان ..  
ومن خلال الملاحم الشعرية الكبرى التي احتوتها الإلياذة والأوديسا التي تحكي بطولات خيالية وصراعات بين مناطق ودول مختلفة قريبة متجاورة أو متباعدة .

كانت المسارح اليونانية والرومانية من خلال ما كانت تقدمه من أعمال مسرحية مروية وأشعار مسرحية التي يحضرها العامة في المسارح المفتوحة والمغلقة هي التي أسست للدراما الفنية وأصلتها حتى صارت فناً يهم العالم بأسره الذي تنوعت أشكاله وتعددت ألوانه ولا زالت حتى اليوم وإن توزعت بين الإذاعة والسينما والتلفزيون والمسرح .

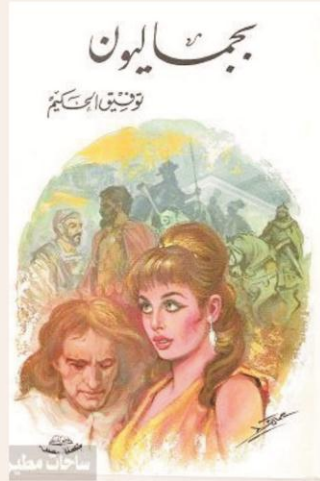
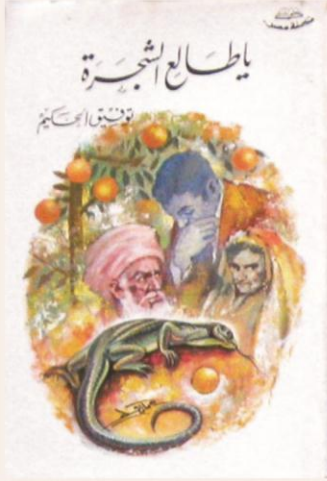
إلا أن الدراما المسرحية أخذت مساراً آخر عندما حولها شكسبير إلى فن مكتوب يتناول قضايا معاصرة تهتم بحياة الناس والمجتمعات، فن يركز على ————— الشخصية وحيواتها ومن ارتكازاتها الهامة : المكان والزمان والشخصية





99

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
م 2017



يشترط وجود عدد من كتاب السيناريوهات الذين يقومون بإعداد النص الروائي أو القصص إلى سيناريو للمسرح أو السينما . وهذا معروف فكل بلدان العالم ومنها البلدان العربية مرت بذلك وأشهر كاتب سيناريو في سوريا الروائي الكبير حنا مينه ، الفيلم السينمائي يعتمد على لغة الكاميرا من خلال لقطة الكاميرا التي تذيب عشرات الصفحات التي ستقرأها خلال ربع ساعة مثلاً في ثانية واحدة من خلال مشهد واحد .

بلادنا قلما تجد قصة ورواية تحولت إلى نص مسرحي أو فيلم سينمائي إلا إذا استثنينا أعمال علي أحمد باكثير ويعود ذلك إلى أن باكثير عاش في مجتمع أكثر تحضراً وثقافة وفي أجواء أدبية راقية عرفت الدراما وفنياتها وخبرت الحياة المسرحية والسينمائية المزدهرة .

وإذا كانت ثمة بدايات للفيلم السينمائي التوثيقي اليمني فإن صناعة السينما لم توجد لأسباب معروفة وإن كان هناك فيلم روائي قام بإنتاجه السلطان صالح بن غالب القعيطي في الأربعينيات من القرن العشرين . أما المسرح فقد شهدت بلادنا بوادره في الثلاثينيات من القرن الماضي عندما جاءت إلى عدن فرقة فارسية وقدمت عرضاً مسرحياً .. فتشكلت بعد ذلك عدد من الفرق المسرحية الأهلية محاكية لتلك الفرقة .

لكن فترة السبعينيات من القرن الماضي شهد الوطن فيها تطوراً ملحوظاً في المسرح بكل أشكاله ومدارسه الفنية القديمة والحديثة وكانت عدن هي السبابة إلى تحديث المسرح وارتباطه بأحدث المدارس تليها حضرموت .

وإذا كان المسرح اليوم قد تراجع عما كان عليه، فإن الدراما التلفزيونية شهدت تطوراً وإن لم يكن ليس بالشكل المطلوب . وإذا كنا اليوم في أمس الحاجة إلى دراما مسرحية وإذاعية وتلفزيونية وإلى صناعة الفيلم السينمائي فإن الدولة هي التي تقع عليها المسؤولية الأكبر عن تحقيق ذلك من خلال توجهاتها الثقافية ودور الاستثمار الثقافي الوطني .

فيما يلي أقدم نصاً حاولت تحويله إلى مشهد مسرحي . كان قبلنا قصة قصيرة كتبها في منتصف الثمانينيات تحمل اسم "أوراق" كونها اعتمدت على الحوار المسرحي وهي تتحدث بضمير الحاضر وفي المشهد جعلتها تتحدث

بضمير الغائب.

### • تحويل قصة " أوراق " نموذجاً

إلى المسرح :

( تقدم أحمد كي يلج إلى القاعة ليتخذ له مكاناً في الصفوف الأمامية ليقدم ورقته حول ما يجري .. فأوقفه الحارس :

- الحارس : لن تدخل قبل أن تضع الأوراق التي تحملها في هذا الصندوق الممطلئ بالأوراق .

- أحمد : وكيف لي أن أشارك في المؤتمر بدون هذه الأوراق ؟

- الحارس : نفذ ما أقول لك .  
نظر أحمد إلى الحارس ثم إلى صديقه الضابط ذي الثلاث النجمات والذي كان يتولى مسئولية حراسة القاعة وخاطبه :

- أحمد : ما الذي يجري يا صديقي ؟

- سالم : إنها الأوامر .

- أحمد : أنت صديقي ولا بد أن تساعدني لكي أدخل .

- سالم : قدر موقعي يا صديقي .

- أحمد : أي موقف ؟

- سالم : ..... .

- أحمد : لا أصدق ما أرى .

- سالم : إنها التوجيهات .

- ابتسم أحمد بسخرية وتقدم ليدخل القاعة مع الأوراق عنوة فحال دونه الحارس .

- أحمد : سأدخل .

- سالم : لن تدخل .

- أحمد : ما الذي حدث .

- سالم : أشياء كثيرة .

- أحمد : إنك صديق ولا بد أن تظل كذلك .

- سالم : ..... .

- أحمد : لأنك علقت الثلاث النجمات في

كتفيك وصرت ضابطاً !!

سالم : الزم حدك .

- أحمد : اليوم صارت بيننا حدود يا صديقي .

- سالم : مضى ذلك الزمان .

- أحمد : كل شيء أصدقته إلا أن يتغير صديقي ورفيق دربي .

- سالم : كل شيء تغير ، صدق أو لا تصدق .

- أحمد : كنا وكنا وكنا .

- سالم : كنا .. أنت لا زلت غارقاً في مثالياتك .

- أحمد : دعني أدخل .

- سالم : بدون الأوراق .

- أحمد متخابثاً : سأدخل بدون الأوراق .

- سالم : والكل سيرحب بك في هذه الحالة بل سيحتفون بك لأنك إنسان استثنائي .

- أحمد : ولماذا كل الذين دخلوا دخلوا بأوراقهم ؟

- سالم : أوراقك تختلف .

- أحمد : كيف ؟ سالم : لا أدري .

- أحمد : الآن صرت لا تدري لقد كنت ..

- سالم : كنت ..

هم أحمد بالدخول وما إن التفت سالم إلى

الجهة الأخرى حاول الدخول فوجه إليه

الحارس البندقية فترجع أحمد .

- سالم : أمامك دقيقة واحدة إما تدخل

بدون الأوراق أو تذهب .

ابتسم له أحمد وذكره بأيام خلت .

- سالم : لكل زمان ظروفه .

- أحمد : إنني أبارك لك بالترقية وأقدر موقعك .

اطمأن سالم بأن صديقه أحمد سيدخل

بدون الأوراق بعد أن توجه ناحية الصندوق

لكن أحمد غافل صديقه سالم هو

والحارس ودخل القاعة بالأوراق التي نشرها

في القاعة التي اكتظت بالفوضى وفشل

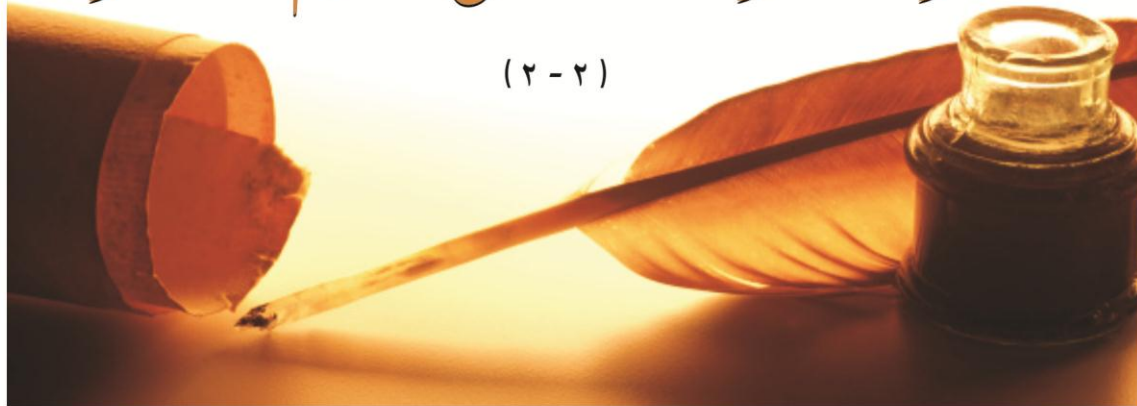
المؤتمر المقرر انعقاده والذي سيحدد

مصير الكون .



# أشعر الشعراء ونبذة عن علوم الشعر

( ٢ - ٢ )



ومن الشعراء من يضمن قسيماً نحو قول بعضهم، أظنه الصولي:

خلقت على باب الأمير كائني  
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل  
إذا جنت أشكو طول ضيق وفاقة  
يقولون: لا تهلك أسي وتجمل  
ففاضت دموع العين من سوء درهم  
على النحر حتى بل دمعني محملي  
لقد طال تردادي وقصدي إليكم  
فهل عند رسم دارس من معول  
ومنهم من يقلب البيت فيضمنه معكوساً،  
نحو قول العباس بن الوليد بن عبد الملك  
بن مروان لمسلمة بن عبد الملك  
لقد أنكرتني إنكار خوف

يضم حشاك عن شتمي وذجلي  
كقول المرء عمرو في القوافي لقيس حين خالف كل عدل  
عذيرك من خليلك من مراد أريد حياته ويريد قتلي  
والبيت المضمن لعمر بن معدى كرب  
الزبيدي، قال له لابن أخته قيس بن زهير  
بن هبيرة بن مكشوح المرادي، وكان  
بينهما بعد شديد وعداوة عظيمة،  
وحقيقته في شعر عمرو:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد  
وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا  
رأى ابن ملجم تمثل بهذا البيت.  
ومن التضمين ما يجمع فيه الشاعر  
قسمين من وزن كقول علي بن الجهم  
يعرض بفضل الشاعرة جارية المتوكل  
وبنان المغني وكانا يتعاشقان فإذا غنى  
بنان:

اسمعي أو خيرينا ... يا ديار الظاعيننا  
غنت هي كالمجوبة له عما يقول:  
ألا حبيت عنا ما مدينا ... وهل بأس بقول المسلمينا

وأبيات العباس بن الأحنف التي منها البيت  
المضمن هي قوله:

وصب أصاب الحب سوداء قلبه  
فأنجله، والحب داء ملازم  
فقلت له إذ مات وجداً بحبه  
مقالة نصح جانبها الماتم:  
تحمل عظيم الذنب ممن تحبه  
وإن كنت مظلوماً قتل: أنا ظالم  
فإنك إن لم تحمل الذنب في الهوى

يفارقك من تهوى وأنفك راغم  
فهذا النوع من التضمين جيد، وهو الذي  
أردنا من قبل: وأجود منه أن يصرف الشاعر  
المضمن وجه البيت المضمن عن معنى  
قائله إلى معناه، نحو قول بعض  
المحدثين، ونسبه قوم إلى ابن الرومي:

يا سائلي عن خالد، عهدي به رطب العجان وكفه كالجمد  
كالأقحوان غداة غب سمانه جفت أعاليه وأسفله ندي  
هكذا أعرفه، وروي "عن جعفر" فصرف  
الشاعر قول النابغة في صفة الثغر:  
تجلو بقادمتي حمامة أيكّة  
بردا أسف لثاته بالإثمد  
كالأقحوان غداة غب سمانه  
جفت أعاليه وأسفله ندي

إلى معناه الذي أراد.  
ومن هذا المعنى أيضاً قول ابن الرومي بلا  
محالة:

وسائلة عن الحسن بن وهب ... وعما فيه من كرم وخير  
فقلت: هو المهدب غير أني ... أراه كثير إرخاء الستور  
وأكثر ما يقنيه فتاه ... حسين حين يخلو بالسريـر  
فلولا الريح أسع من بحجر ... صليل البيض تفرع بالذكور  
فالبيت الأخير لمهلل، فجاء قرع البيض  
بالذكور ههنا عجيباً، وإن كانت اللفظتان  
في المعنى غير اللفظتين،



عبدالله علي باسودان

## من علوم الشعر:

## التضمين والإجازة

يقول ابن رشيق القيرواني هذا باب  
يختلط على كثير من الشعراء ممن ليس  
له ثقب في العلم ولا حذق بالصناعة،  
التضمين هو قصدك إلى البيت من الشعر  
أو القسم فتأتي به في أواخر شعرك أو في  
وسطه كالمتمثل، نحو قول محمود بن  
الحسين كشاجم الكاتب:

يا خاضب الشيب والأيام تظهره هذا شباب لعمر الله مصنوع  
أذكرتني قول ذي لب وتجربة في مثله لك تاديب وتقرير  
إن الجديد إذا ما زيد في خلق تبين الناس أن الثوب مرقوع  
فهذا جيد في بابيه، وأجود منه أن لو يكون  
بين البيت الأول والآخر واسطة؛ لأن  
الشاعر قد دل بذلك على أنه متهم  
بالسرقة، أو على أن هذا البيت غير مشهور،  
وليس كذلك، بل هو كالشمس اشتهاراً،  
ولو أسقط البيت الأوسط، لكان تضميناً  
عجيباً، لأن ذكر الثوب قد أخرج الثاني من  
باب الأول إلا في المعنى، وهذا عند الحذاق  
أفضل التضمين، فإنما احتذى كشاجم قول  
ابن المعتز:

وها أنا ذا مستعتب متنصل كما قال عباس وأنفي راغم  
تحمل عظيم الذنب ممن تحبه وإن كنت مظلوماً قتل: أنا ظالم





هواك هواي الذي أضمر وسرك سري فما أظهر  
إلا أنه خرج فيها عن المقصد.

والإجازة في هذا الموضوع مشتقة المعنى  
من الإجازة في السقي، يقال: أجاز فلان  
فلاناً، إذا سقى له أو سقاه، الشك مني، وأما  
اللفظة فصحيحة فصيحة.

وقال ابن السكيت: يقال للذي يرد على  
أهل الماء فيستقي: مستجيز: قال  
القطامي:

وقالوا فقيم الماء فاستجيز

عبادة: إن المستجيز على قتر  
ويجوز أن يكون من "أجرت عن فلان  
الكأس" إذا تركته وسقيت غيره، فجازت  
عنه دون أن يشربها، فقال أبو نواس:

وقلت لساقينا أجزنا فلم أكن

ليأبى أمير المؤمنين وأشربا  
فجوزها عني عقاراً ترى لها  
إلى الشرف الأعلى شعاعاً مطنيا  
وقد تقدم ذكره الإجازة التي فيها عيوب  
القوافي، وذكرت اشتقاقها.

ومن هذا الباب نوع يسمى التمليط، وهو  
أن يتسأل الشاعران فيصنع هذا قسيماً  
وهذا قسيماً لينظر أيهما ينقطع قبل  
صاحبه، وفي الحكاية أن امرأ القيس قال  
للتوأم اليشكري: إن كنت شاعراً كما تقول  
فملط، أنصاف ما أقول فأجزها، قال: نعم،  
قال امرؤ القيس: أحرار ترى بريقاً هب وهناً  
فقال التوأم: كنار مجوس تستعر استعاراً  
فقال امرؤ القيس: أرققت له ونام أبو شريح،  
فقال التوأم: إذا ما قلت قد هداً استطاراً ولا  
يزالان هكذا، يصنع هذا قسماً وهذا  
قسماً إلى آخر الأبيات،

وقد تقدم إنشادها في باب أدب الشاعر من  
هذا الكتاب.

وربما ملط الأبيات شعراء جماعة، كما  
يحكى أن أبا نواس والعباس بن الأحنف  
والحسين بن الضحاك الخليل ومسلم بن  
الوليد الصريع خرجوا في متنزه لهم  
ومعهم يحيى بن المعلى، فقام يصلي بهم،  
فنسي الحمد وقرأ "قل هو الله أحد" فارتج  
عليه في نصفها، فقال أبو نواس: أجزوا:

أكثر يحيى غلطاً ... في قل هو الله أحد  
فقال عباس:

قام طويلاً ساهياً ... حتى إذا أعيا سجد  
فقال مسلم بن الوليد:

يزحر في محرابه ... زحير حبلى بولد

و "كعب بن زهير" يقول في وصف ناقته:  
تهوى على يسرات وهي لاهية

ذوابل وقعن الأرض تحليل  
فكانت هذه المرأة لا حاليها لا تقع رجلاها  
بالأرض: إما لكثرة مباحضة أو شدة مشي  
في فساد.

ومن أنواع التضمين تعليق القافية بأول  
البيت الذي بعده، وقد تقدم ذكره،

وأما الإجازة فإنها بناء الشاعر بيتاً أو قسيماً  
يزيده على ما قبله، وربما أجاز بيتاً أو قسيماً  
بأبيات كثيرة، فأما ما أجز فيه قسيماً  
بقسيم فقول بعضهم لأبي العتاهية: أجز  
برد الماء وطابا، فقال: حبذا الماء شرابا،  
وأما ما أجز فيه بيت بيت فقول حسان بن  
ثابت وقد أرق ذات ليلة:

متاريك أذنا ب الأمور إذا اعترت

أخذنا الفروع واجتنبنا أصولها  
وأجبل، فقالت ابنته: يا أبت، لا أجز عنك،  
فقال: أوعندك ذاك؟ قالت: بلى، قال:  
فافعلي، فقالت:

مقاويل للمعروف خرس عن الخنا

كرام يعاطون العشيبة سولها  
قال: فحمي الشيخ عند ذاك، فقال:  
وقافية مثل السنان ردتها  
تناولت من جو السماء نزولها  
فقالت ابنته:

راها الذي لا ينطق الشعر عنده

ويعجز عن أمثالها أن يقولها  
وذكر أن العباس بن الأحنف دخل على  
الذلفاء فقال: أجزني عني هذا البيت:

أهدي له أحبابه أترجة

فبكي وأشفق من عيافة زاجر  
فقالت غير مفكرة:

خاف التلون إذ أتته لأنها

لوانا باطنها خلاف الظاهر  
فحلف لها بكل الأيمان، وكانت تعزه، لئن  
ظهر البيت إن دخلت منزلكم أبداً، وأضافه  
إلى بيته.

وأما ما أجز فيه قسيم بيت بيت ونصف  
فقول الرشيد للشعراء: أجزوا: الملك لله  
وحده فقال الجمار: وللخليفة بعده

وللمحب إذا ما حبيبته بات عنده  
واستجاز سيف الدولة أبا الطيب قول عباس  
بن الأحنف:

أمني تخاف انتشار الحديث وحفي في ستره أوفر؟  
فصنع القصيدة المشهورة:

فقال علي منبهاً عليهما في ذلك:

كلما غنى بنان ... اسمعي أو خبرينا  
أنشدت فضل ألا حي ... يت عنا يا مدينا  
عارضت معنى بمعنى ... والندامى غافلونا  
أحسنن إذ لم تجاوب ... هم ديار الغناعينا  
لو أجابتهم لصرنا ... آية للسائلينا  
واستعاد الصوت مولا ... ها وحث الشاريينا  
قلت للمولى وقد دا ... رت حميا الكاس فينا  
رب صوت حسن ين ... بت في الرأس قرونا  
وأنشد ابن المعتز في باب التضمين  
للأخطل:

ولقد سما للخرمي فلم يقل

يوم الوغى لكن تضايق مقدمي  
إشارة إلى قول عنتره العبسي:  
إذ يتقون بي الأسنة لم أحم

عنها ولكني تضايق مقدمي  
وهذا تضمين أنت ترى كيف هو، وأنشد  
لآخر:

عوذ لما بت ضيفاً له ... أقراصه مني يباسين  
فبت والأرض فراشي وقد ... غنت قفا نيك مصارين  
ومن التضمين ما يحيل الشاعر فيه إحالة،  
ويشير به إشارة، فيأتي به كأنه نظم  
الأخبار أو شبيه به، وذلك نحو قول بعضهم  
في معنى قول ابن المعتز كما قال عباس:  
وأنفي راغم إنه لم يرد الأبيات المقدم  
ذكرها، وإنما أراد قوله للرشيد حين هجرته  
ماردة:

لا بد للعاشق من وقفة

تكون بين الوصل والصرم  
حتى إذا الهجر تمادى به

راجع من يهوى على رغم  
فهذا النوع أبعد التضمينات كلها، وأقلها  
وجوداً، وذلك نحو قول أبي تمام:

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظي

أرق وأحمى منك في ساعة الكرب  
أراد البيت المضروب به المثل:

المستجير بعمرو عند كربته

كالمستجير من الرمضاء بالنار  
وقد صنعت أنا معنى الهجاء:

عرسه من غير ضير ... عرس زيد بن عمير  
أبدأ تزني فإن حاض ... ت تقد حبا لأير  
ولها رجلان من نا ... قة كعب بن زهير  
هكذا تبنى المعالي ... ليس إلا كل خير  
"زيد بن عمير" هو الذي يقول في زوجته:  
تقود إذا حاضت، وإن طهرت زنت  
فهي أبدأ يزني بها وتقود





فقال الخليل:

كانما لسانه ... شد بجبل من مسد.

المتقدم في الشعر من القبائل العربية  
عن محمد بن سلام الجمحي في كتاب  
الطبقات، وغيره من المؤلفين، أن الشعر  
كان في الجاهلية في ربيعة، فكان منهم  
مهلهل بن ربيعة واسمه عدي، وقيل: امرؤ  
القيس، وإنما سمي مهلهلاً لهلهلة شعره،  
أي: رفته وخفته، وقيل: لاختلافه، وقيل: بل  
سمي بذلك لقوله:

لما توغل في الكراع شريدهم

هلهلت أثار جابراً أو صنبل  
ويروى لما توغر في الكلاب هجينهم قال  
أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري:  
يعني بقوله هجينهم امرؤ القيس بن حمام  
الذي ذكره امرؤ القيس في شعره حيث  
يقول:

عوجا على الطل المحيل لعلنا

نبيك الديار كما بكى ابن حمام  
وكان مهلهل تبعه يوم كلاب فقاته ابن  
حمام بعد أن تناوله مهلهل بالرمح، وقد  
كان ابن حمام أغار على بني تغلب مع زهير  
بن جنباب فقتل جابراً وصنبلًا، ويروى "لأننا  
" بمعنى لعلنا، وهي لغة فيما زعم بعض  
المؤلفين، والذي كنت أعرف "لعلنا"  
بالعين ونونين، وكذلك أعرف "ابن جذام"  
بذال معجمة، كذا روى الجاحظ وغيره،  
ويروى "جذام" بالخاء والذال المعجمتين.  
وكان مهلهل أول من قصد القصائد، قال  
الفرزدق بن غالب: ومهلهل الشعراء ذاك  
الأول وهو خال امرئ القيس بن حجر  
الكندي الشاعر، وجد عمرو بن كلثوم  
الشاعر أبو أمه.

ومنهم المرقشاني، والأكبر منهما عم  
الأصغر، والأصغر عم طرفة بن العبد، واسم  
الأكبر عوف بن سعد، وعمرو بن قميئة ابن  
أخيه، ويقال: إنه أخوه، واسم الأصغر عمرو  
بن حرمة، وقيل: ربيعة بن سفيان، وهذا  
أعرف.

ومنهم سعد بن مالك الذي يقول:

يا بؤس للعرب التي ... وضعت أراها فاستراحوا  
ولا أدري هل هو أبو عمرو بن قميئة الشاعر  
والمرقش الأكبر أم لا؟؟ وطرفة بن العبد،  
وعمر بن قميئة، والحارث بن حلزة،  
والتملمس وهو خال طرفة، واسمه جرير

بن عبد المسيح والأعشى واسمه ميمون  
بن قيس بن جندل، وخاله المسيب بن  
علس واسم المسيب زهير، ثم تحول الشعر  
في قيس فمنهم النابغتان، وزهير بن أبي  
سلمي، وابنه كعب لأنهم ينسبون في عبد  
الله بن غطفان، واسم أبي سلمى ربيعة،  
ولبيد، والحطيئة، والشماخ واسمه معقل  
بن ضرار وأخوه مزرد، واسمه جزء بن  
ضرار، وقيل: بل اسمه يزيد وجزء أخوهما،  
وكان المزرد شريراً يهجو ضيوفه، وهجا  
قومه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فقال:

تعلم رسول الله أنا كأنما

أفانا بانمار ثعالب ذي صحل  
تعلم رسول الله لم أر مثلهم  
أجر على الأدنى وأحرم للفضل  
ومنهم خداح بن زهير.

ثم استقر الشعر في تميم، ومنهم كان  
أوس بن حجر شاعر مضر في الجاهلية، لم  
يتقدمه أحد منهم، حتى نشأ النابغة زهير  
فأخمله، وبقي شاعر تميم في الجاهلية  
غير مدافع، وكان الأصمعي يقول: أوس  
أشعر من زهير، ولكن النابغة طاماً منه،  
وكان زهير راوية أوس، وكان أوس زوج أم  
زهير.

وسئل حسان بن ثابت رضي الله عنه: من  
أشعر الناس؟ فقال: أرجلاً أم حياً؟ قيل: بل  
حياً، قال: أشعر الناس حياً هذيل. قال ابن  
سلام الجمحي: وأشعر هذيل أبو ذؤيب غير  
مدافع، وحكى الجمحي قال: أخبرني عمر  
بن معاذ المعمرى قال: في التوراة مكتوب  
أبو ذؤيب مؤلف زوراً، وكان اسم الشاعر  
بالسريانية، فأخبرت بذلك بعض أصحاب  
العربية وهو كثير بن إسحاق فأعجب منه  
وقال: قد بلغني ذلك، وقال الأصمعي: قال  
أبو عمرو بن العلاء: أفصح الشعراء لساناً  
وأعذبهم أهل السروات، وهن ثلاث: وهي  
الجال المطل على تهامة مما يلي اليمن:  
فأولها هذيل، وهي تلي السهل من تهامة،  
ثم بجيلة في السراة الوسطى، وقد  
شركتهم ثقيف في ناحية منها، ثم سراة  
الأزد أزد شنوءة وهم بنو الحارث بن كعب  
بن الحارث بن نصر بن الأزد، وقال أبو  
عمرو أيضاً: أفصح الناس علياً تميم وسفلياً  
قيس، وقال أبو زيد: أفصح الناس سافلة

العالية وعالية السافلة، يعني عجز هوازن،  
قال:  
ولست أقول قالت العرب إلا ما سمعت  
منهم، وإلا لم أقل قالت العرب... وأهل  
العالية أهل المدينة ومن حولها ومن  
يلها ودنا منها، ولغتهم ليست بتلك  
عنده.

وقوم يرون مقدمة الشعر لليمن:  
في الجاهلية بامرئ القيس، وفي الإسلام  
بحسان بن ثابت، وفي المولدين بالحسن  
بن هاني وأصحابه: مسلم بن الوليد، وأبو  
الشيخ، ودعبل، وكلهم من اليمن، وفي  
الطبقة التي تليهم بالطائيين: حبيب  
والبحثري، ويختصمون الشعر بأبي الطيب،  
وهو خاتمة الشعراء لا محالة وكان ينسب  
في كندة، وهي رواية ضعيفة، وإنما ولد في  
كندة بالكوفة فيما حكى ابن جني، وإلا  
فكان غامض النسب، فيقولون: بدئ الشعر  
بكندة يعنون امرؤ القيس وختم بكندة  
يعنون أبا الطيب، وزعم بعض المتأخرين  
أنه جعفي، وقوم منهم صاحب بن عباد  
يقولون: بدئ الشعر بملك وختم بملك،  
يعنون امرؤ القيس وأبا فراس الحارث بن  
سعيد بن حمدان، وقال آخرون: بل رجع  
الشعر إلى ربيعة فختم بها كما بدئ بها،  
يريدون مهلهلاً وأبا فراس، وأشعر أهل  
المدن بإجماع من الناس واتفاق حسان بن  
ثابت... وقال أبو عمرو بن العلاء: ختم  
الشعر بذئ الرمة، والرجز برؤية بن العجاج،  
وزعم يونس أن العجاج أشعر أهل الرجز  
والقصيد، وقال: إنما هو كلام فأجودهم  
كلاماً أشعرهم، والعجاج ليس في شعره  
شيء يستطيع أحد أن يقول: لو كان في  
مكانه غيره لكان أجود، وذكر أنه صنع  
أرجوزته: قد جبر الدين الإله فجير فيها نحو  
مانتي بيت وهي موقوفة مقيدة، قال: ولو  
أطلقت قوافيها وساعد فيها الوزن لكانت  
منصوبة كلها.. وقال أبو عبيدة: إنما كان  
الشاعر يقول من الرجز البيتين والثلاثة  
ونحو ذلك، إذا حارب أو شاتم أو فاخر، حتى  
كان العجاج أول من أطاله وقصده، ونسب  
فيه، وذكر الديار، واستوقف الركاب عليها،  
ووصف ما فيها، وبكى على الشباب، ووصف  
الراحلة، كما فعلت الشعراء بالقصيد فكان  
في الرجز كامرئ القيس في الشعراء...





وهذا التمثيل الذي مثله ابـن وكيع من أحسن ما وقع، إلا إن أوله من قول أبي نواس:

صفة الطلول بلاغة القدم

فاجعل صفاتك لابنة الكرم

لا تخدعن عن التي جعلت

سقم الصحيح وصحة السقم

تصف الطلول على السماع بها

أفدو العيان كانت في الحكم؟؟

وإذا وصفت الشيء متبعاً

لم تخل من غلط ومن وهم

ولم أرفي هذا النوع أحسن من فضل أتى

به عبد الكريم بن إبراهيم فإنه قال: قد

تختلف المقامات والأزمنة والبلاد فيحسن

في وقت ما لا يحسن في آخر، ويستحسن

عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره،

ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما

استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله، بعد

أن لا تخرج من حسن الاستواء، وحد

الاعتدال، وجودة الصنعة، وربما استعملت

في بلد ألفاظ لا تستعمل كثيراً في غيره:

كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل

فارس في أشعارهم، ونوادير حكاياتهم،

قال: والذي أختاره أنا التجويد والتحسين

الذي يختاره علماء الناس بالشعر، ويبقى

غابره على الدهر، ويبعد عن الوحشي

المستكره، ويرتفع عن المولد المتحلل،

ويتضمن المثل السائر، والتشبيه

المصيب، والاستعارة الحسنة.

فليس من أتى بلفظ محصور يعرفه طائفة

من الناس دون طائفة لا يخرج من بلده ولا

يتصرف من مكانه كالذي لفظه سائر في

كل أرض، معروف بـكل مكان، وليس

التوليد والرقعة أن يكون الكلام رقيقاً

سفساقاً، ولا بارداً غثاً، كما ليست الجزالة

والفصاحة أن يكون حوشياً خشناً ولا

أعرابياً جافياً، ولكن حال بين حالين..

ولم يتقدم امرؤ القيس والناطقة والأعشى

إلا بحلاوة الكلام وطلاوته، مع البعد من

السخف والركاكة، على أنهم لو أغربوا

لكان ذلك محموداً عنهم؛ إذ هو طبع من

طبائعهم، فالمولد المحدث على هذا إذا

صح كان لصاحبه الفضل البين بحسن

الاتباع، ومعرفة الصواب، مع أنه أرق حوكاً،

وأحسن ديباجة.

أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه ولم يغادروا له شيئاً، وقد أتى في هذه القصيدة بما لم يسبقه إليه متقدم، ولا نازعه إياه متأخر. وعلى هذا القياس يحمل قول أبي تمام وكان إماماً في هذه الصناعة غير مدافع:

يقول من تقرر أسماعه كم ترك الأول للأخر  
فنقص قولهم: "ما ترك الأول للآخر شيئاً"،  
وقال في مكان آخر فزاده بياناً وكشفاً  
للمراد:

فلو كان يفنى الشعر أفناه ما قرت

حياضك في العصور الذواهب

ولكنه صوب العقول إذا أنجلت

سحائب منه أعقبت بسحائب

وإنما مثل القدماء والمحدثين كمثل

رجلين: ابتدأ هذا بناء فأحكمه وأتقنه، ثم

أتى الآخر فنقشه وزينه، فالكلفة ظاهرة

على هذا وإن حسن، والقدرة ظاهرة عليّة

وإن خشن.

و يقول القاضي أبو الفضل جعفر بن أحمد

النحوي وقد سئل عن ذي الرمة وأبي تمام

فأجاب بجواب يقرب معناه من هذا لم

أحفظه،

وقال أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع

وقد ذكر أشعار المولدين: إنما تروى

لعذوبة ألفاظها، ورقتها، وحلاوة معانيها،

وقرب مأخذها، ولو سلك المتأخرون مسلك

المتقدمين في غلبة الغريب على أشعارهم

ووصف المهامة والقفار، وذكر الوحوش

والحشرات ما رويت؛ لأن المتقدمين أولى

بهذه المعاني، ولا سيما مع زهد الناس في

الأدب في هذا العصر وما قاربه وإنما تكتب

أشعارهم لقربها من الأفهام، وأن الخواص

في معرفتها كالعوام، فقد صار صاحبها

بمنزلة صاحب الصوت المطرب: يستميل

أمة من الناس إلى استماعه وإن جهل

الألحان وكسر الأوزان.. وقائل الشعر

الحوشي بمنزلة المغني الحاذق بالنغم غير

المطرب الصوت: يعرض عنه إلا من عرف

فضل صنعته، على أنه إذا وقف على فضل

صنعته لم يصلح لمجالس اللذات، وإنما

يجعل معلماً للمطربات من القيينات:

يقومهن بحذقه، ويستمتع بحلوقةن دون

حلقه، ليسلمن من الخطأ في صناعتهن،

ويطربن بحسن أصواتهن.

وقال غيره: أول من طول الرجز الأغلب العجلي، وهو قديم، وزعم الجمحي وغيره أنه أول من رجز، ولا أظن ذلك صحيحاً؛ لأنه إنما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن نجد الرجز أقدم من ذلك... وكان أبو عبيدة يقول: افتتح الشعر بامرئ القيس، وختم بابن هرمة، ولم أر أنقد من الذي قال: أشعر الناس من أنت في شعره... وأنشد مروان بن أبي حفصة يوماً جماعة من الشعراء، وهو يقول في واحد بعد واحد: هذا أشعر الناس، فلما كثر ذلك عليه قال: الناس أشعر الناس.

وكل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن أمر صبياننا بروايته، يعني بذلك شعر جرير والفرزدق، فجعله مولداً بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين.

قال الأصمعي:

جلست إلى ثمانين حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي، وسئل عن المولدين فقال: ما كان من حسن فقد سبقوا إليه، وما كان من قبيح فهو من عندهم، ليس النمط واحداً؛ ترى قطعة ديباج، وقطعة مسيح، وقطعة نطع، هذا مذهب أبي عمرو وأصحابه: كالأصمعي، وابن الأعرابي، أعني أن كل واحد منهم يذهب في أهل عصره هذا المذهب، ويقدم من قبلهم وليس ذلك الشيء إلا لحاجتهم في الشعر إلى الشاهد، وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون، ثم صارت لجاجة.

فأما ابن قتيبة فقال: لم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص قوماً دون قوم، بل جعل الله ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثاً في عصره.

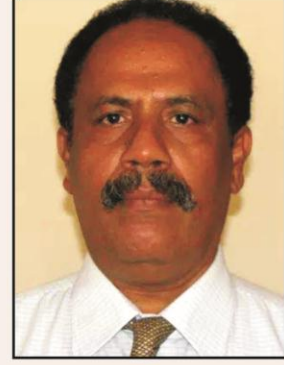
ومما يؤيد كلام ابن قتيبة كلام علي رضي الله عنه: "لولا أن الكلام يعاد لنفد"، فليس أحدنا أحق بالكلام من أحد، وإنما السبق والشرف معا في المعنى على شرائط تأتي بها فيما بعد من الكتاب إن شاء الله. وقول عنتره هل غادر الشعراء من متردم يدل على أنه يعد نفسه محدثاً، قد





# موت مرسال

في رثاء الشيخ الجليل  
نصر فرج مرسال



أ.د. عبدالعزيز سعيد الصيغ

ليس سرا وإن بدى الأمر سرا  
باع في سوقها ونال كثيرا  
مات نصر وكان للعلم نصرا  
حمل الهم في الإدارة حتى  
شهد الناس أنه تربوي  
مزج الجذب بالمزاح، وأبدى  
كان أحنى، وإن تبدى مهابا  
أنه كان بالفضائل أثرى  
من ثراها الذي يعادل تبرا  
ولطلابــــه وأهليه ذخرا  
صار في فنها إماما وحــــبرا  
بأصول السلوك والحس أدرى  
من فنون التدبير والرأي أمرا  
وعطوفا ينساب لنا ويسرا  
شدة أظهرته مرا وأبقتة بكل العيون ليثا هزبرا

رجل من مهابة وجلال  
خلق فيه كان يــــدو كريها  
مات نصر، وكان شيخا جليلا  
صار رمزا للتربــــوي بهي  
صبيغ، فازداد في الخلائق قدرا  
وصفات تبديه في الناس وعرا  
بعضاه وقد تأبط خيرا  
أكسبته الأيام والعزم سحرا

\* \* \*

مات من أيقظ العقول زمانا  
زمن مشرق أضاء، وأبدت  
فيه سارت رواسب وجبال  
لم يكن غير شامخ من رجال  
زمن الناهضين هل لك عود  
كلما جالت العيون تبــــدوا  
زمن الناهضين نشأتاق وصلا  
وطن كم سما ببعض بنيه  
وأضاءت يده للناس فجرا  
من أحاديثه الليلي شعرا  
وأطلت نوابــــغ إثر أخرى  
ملأوا ساحــــة المدينة فخرا  
فهي تشكو منهم عقوقا وفقرا  
تحت أضوائها قــــوارض سرا  
يبعث الروح بعد أن مات هجرا  
ورأى فيهم الوفاء المبرى

\* \* \*

مات بل ما يزال يحيا ويمضي  
نم هنيئا، فقد تركت مثالا  
وطنيا وقــــد أضعنا كثيرا  
بين أفئتها الجميلة نسرا  
وطنيا لفارس عاش حــــرا  
قيمة ليس بالريالات تشرى





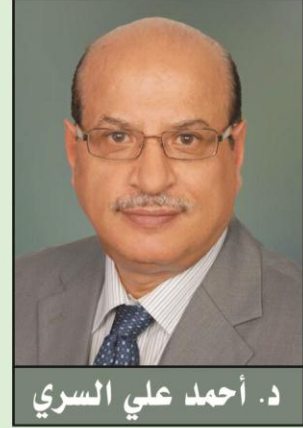


105

العدد (4)  
أبريل  
يونيو  
2017م

# وعد بالجنة

قصة قصيرة



د. أحمد علي السري

وجد عاصفٌ مَوْشًى بالتوابل والبخور..  
لعل القلب هنا أخيراً يلقي عصاه ويستقر  
به النوى، حتى الرمل والغبار الطالع من  
دوران عجلة السيارة تجاوزنا بأمان ولم  
تصبنا ذراته، وهذا الصديق الألماني  
الذي أرافقه، يحدق مستغرباً ويقول، ما  
هكذا ننظر نحن إلى النساء، أما كيف  
تنظرون أنتم لبعضكم ففيه من العناق  
والنشوى ما يستحق فعلاً كل دواوين  
الشعر.

ناولتني قنينة الماء، فشربت ماء من  
يدها ووجدت من طرفها، أروتني من هذه  
وأظلماتني من تلك.. وختمت على ظمئي  
بالبوح باسمها، "سماء"، اسمي سماء،  
وأنت؟ شكرت لها شربة الماء، ونسيت  
اسمي، ولم أجرو على الشكوى من آهات  
تتوالد في الأحشاء صامته متفجرة،  
فصويحباتها يرقبـن المنظر مترعات  
بالذهول، بالجدل بالنشوى، بتلك  
الضحكات الخافتة الغامرة، الالهية  
العابثة.. لم أكرث.. اقتربت منها قليلاً  
لأهمس باسمي، فنسيت ثانية وأنا أرى  
شمس الأصيل تلامس غشاء وجهها  
الشفاف فيختلط الأسود بالبرتقالي  
وتتشكل على صفحة وجهها لوحة  
مكتملة الأناقة تنتظر الافتتاح.

ولقد أدركت يقيناً ما صنعت به، فلم  
تقنع به، فزادني ظمناً فوق ظلم وهي  
تميط غشاء وجهها بكل دلال النساء  
وغنجهن، ثم قالت، وعيناها الحالمتان  
تمارسان القتل الحلال، وقد تركت  
عباءتها تنحسر قليلاً عن نهدين يمتلئان  
كرماً وخيلاء، :إني أعدك بالجنة...  
كانت نظراتها الفاتنة المرافقة للحظة  
الوداع الوشيكة قد أعادت إلى الذهن كل  
قصائد الغزل الصحراوية، ثم أدركت

من الرجال. توقفت عن دفع السيارة،  
وبعد قليل كان الألماني هو الآخر يقف  
إلى جانبي.. كنت من غير دراية قد أقيت  
قيود الزمان والمكان، أذكر فقط أنني  
تقدمت باتجاه الفتيات اللاتي نزلن من  
السيارة، وحاولت جهدي التزام أدب جم  
وأنا أشير إلى قنينة ماء كانت بيد غيداء  
باسقة، بدت لي كأنها تراقب اقترابي  
منهن. تمايلت في مشيتها وهي تخطو  
نحوي كعود الخيزران، وفاحت منها رائحة  
عقود الياسمين الملقاة على صدرها،  
فيما ارتش جمال الغروب البرتقالي على  
وجهها المستور عقيقاً يمانياً خالصاً.

سألتها شربة ماء، إذ لم أشأ، ونحن في  
حضرة الماء والرمل أن أشتط بعيداً عن  
أسلافنا العشاق، فالماء كان وما يزال  
واصل ود بين القلوب، كما كان دأبه في  
صحراء العرب، وهو المروي لكل ظمأ  
والخازن لكل الأسرار. حددت إلي الحسناء  
بعينين حالمتين، قصدت بهما صب  
الإغراء كله دفعة واحدة، فلا وقت هنا  
لتقسيط الغواية والإغراء أو ممارسة صد  
كاذب إلى حين، ولعلي كنت أفعل مثلاً  
دون دراية، فالصدفة قصيرة مثل حلم  
عابر، ولا بد من القبض ولو على أثر منه  
يسير.. لم أكن أهتي التي أطلقها إغراء  
العيون المتسلل من وراء النقاب الأسود  
الشفاف، وهذا الأكف البيضاء والأنامل  
الملساء الممتلئة رشاقة ورقة.. كأنها  
بعد لم تمس شيئاً من أشياء الدنيا.. إنها  
خاصة بهذه الحورية التي هبطت من  
السيارة لترسل لهيب فتنها المكتوم  
إلى مكنم الفؤاد فتوقد جمرأً وتشعل  
حرائق. كل شيء ينداح الآن عبر هذه  
النظرات الآتية من منابت الشوق  
المبثوث في الضلوع، منابت شوق إلى

هبطت الطائرة في مطار سينون،  
واستعد صديقي الألماني وأنا للمغادرة،  
فتح باب الطائرة و تنفست أول هواء في  
حضر موت، أحسسته يتخلل كياني  
المثقل بعذابات التاريخ وشجونه، فأنا  
مثل الألماني لم يسبق لي رؤية  
حضر موت قط.. كنت مثله سائحاً يتلفت  
باحثاً عن كل ألوان الدهشة والغموض.  
أقلنا سيارة إلى فندق السلام، وفي  
المساء أخذنا نخطط للسياحة والتجوال،  
وكانت "شباب" أولى المحطات، هذا اللغز  
الطيني الشامخ في حضن الرمل والأفق  
اللانهاضي. تركنا السيارة وصعدنا تلة  
قريبة تجاور شباب الجديدة لنرقب من  
هناك أطراف اللغز وعمق التاريخ، سرحنا  
البصر في الأنحاء يتجول مع نسيمات  
هواء لذيذ، ثم أخذتني رعشة وجد  
صوفي وأنا أستشعر سحر المدى  
الصامت يجمل عروساً خفيرة مليئة  
بالحياة والفننة يسمونها شباب. هبطنا  
من التلة بعدد، ووصلنا إلى الساحة  
الرمالية الفاصلة بين شباب القديمة  
والجديدة. كنا نستمتع بغوص أرجلنا في  
الرمل، وبعد قليل غاصت في الرمل  
عجلات سيارة فخمة تحمل رقماً من  
"دبي"، وتقل نساء ملفعات بالسواد،  
هرعنا إلى السيارة مع من هرع للمساعدة  
في دفعها لتخرج من بين الرمل، ولم  
نفلح، ثم اقترح أحدهم تخفيف وزن  
السيارة ليسهل دفعها فتخرج من  
عثرتها، فنزلت كل النساء اللاتي تقلهن  
السيارة، إلا السائق، ولم يكن هناك غيره





106

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

نفسى وأنا أراني أغوص في ملكوت  
الضياء والمرجان وأقول لها: لست أدري  
من أين أتيت ولا إلى أين تمضين.. لكن  
قلبي كان هناك من حيث جئت وسيرحل  
معك، خذيه أمانة وارفعني به إلى أن  
ألقاك ثانية، لست أدري أين، لكنني حتماً  
سألقاك، وأنا منذ الساعة ملتقى القبائل  
كلها ومستقر العشائر والأحياء. وعلى  
عجلة من الأمر ونحن ندرك ثانية شروط  
الزمان والمكان، ونسمع صوحيباتها  
يستعجلن صعود السيارة، قالت إنها  
ستكون في "تريم" يوم "سباق الهجن"  
العائدة من قبر النبي هود عليه السلام،  
وأنها تعيش في "دبي"، وأنها كل عام  
بهذه المناسبة هناك في تريم، وليتها  
هذه المرة تبقى وتكف عن الترحال..  
تحسرت كثيراً وهي تقول إنني لن أعرفها  
وسط المحشورين من رجال ونساء في  
ذلك الشارع الذي يقام فيه سباق الهجن،  
قلت: لا عليك ساكون هناك وسأعرفك؛  
إذ لا أعتقد أن امرأة أخرى لها هذه  
العيون وهذه الأكف، وهذه علامات تحول  
كل حيرة إلى يقين، وسأجده.. وسأجد  
معك بأذنه مستقراً ومتاعاً إلى حين.

آه يا صديقي الألماني! كيف ستمر  
الأيام بعد الآن؟ هل تغير خطة السياحة  
والتجوال؟ كيف أطوي شقوق الأيام  
القادمة حتى يأتي سباق الهجن في  
تريم، ذلك المهرجان الشعبي الكبير  
الذي يعقب زيارة قبر النبي هود، سمعت  
الناس يتحدثون عنه، وكلهم يؤكد أن  
ذلك اليوم موعد للحشـر لأهل تريم  
وزوارها. تلك اللحظات كانت كفيفة  
ليدرك هذا الألماني أنني سأتمرد على  
الجدول والساعات وعلى كل ما يخرجني  
من لهفة الشوق ومتعته. عليك يا فتى  
هامبورج أن تعيش لوقتك، كن الآن بلا  
ذاكرة، بلا جدول زمني وبلا إحصاء  
للساعات وتمتع باستعادة الذكرى ونحن  
نقف إلى تلك الحورية النازلة من  
السيارة. إن علي أن أشكرك يا صديقي  
الألماني، فقد وجدنا جميعاً بوجودك  
عذراً للاقترب والحديث، فأنت، بشقرة  
شعرك وزرقة عينيك، تثير فضولاً  
مفهوماً، خاصة أن القصص كلها الآن

تحدث بمحض الصدفة. كانت تحديق بك  
من وقفت لأخر وتكلمني أنا،..وكنت  
أسمع همس ابن أبي ربيعة يسافر في  
الفلوات:

إذا جئت فامنح طرفَ عينيكَ غيرنا  
لكي يحسبوا أن الهوى حيث تنظرُ.  
قل له ما شئت بعدئذ هذا النصراني،  
لكني أخاطبك أنت، الملفوح بهجير  
الشمس ككل أهلي في هذه الربوع، لا  
شك أنه قدر مكتوب أن تغوص عجلات  
السيارة هنا لنهبط وتهبط علينا بركات  
السماء فنلتقي، يقاطعني هذا الألماني  
ويقول: هذا سخف كبير.. أية تهيؤات  
هذه وأية أوهام، إذ لا وجود للحب من  
النظرة الأولى، وما هكذا تفهم مثل هذه  
اللحظات العابرة، لقد كان ما رأيت  
مشهداً كاشفاً لأثر الحرمان والعزل  
لنساء وراء العباءات والأسوار، ولعلها لم  
تر شاباً في حياتها بكل هذا القرب، وربما  
كانت مثلك تتلهف بشوق إنساني حاد  
لإطلاق أمنيات حبسية ولتحرير شوق  
متوثب في الضلوع، وفي كيانها كله،  
كالذي يحدث الآن في لحظات أمامي،  
لعل الأمر حقاً قدر كما تقولون. ليكن ما  
تراه يا صديقي الألماني، لكنها لحظة  
حقيقية، تنفست فيها كل أشواق الدهور  
بحق وعمق، حتى وإن كانت "سما" من  
بنات الأساطير التي خرجت للتو من  
قصرها المسحور.. لعلها أزجت  
صوحيباتها بشوقها الكامن ولو للحظة  
حب يتيمة، كما أزجتك أنا منذ بدأنا  
السياحة والتجوال، وقد توارق مضاجع كل  
من تعرف بعد الآن، كما سأورق أنا  
مضجعك باسترداد الذكرى.

أخذتنا أزقة شبام الجميلة وأسلمتنا  
الطرقات لبعصها، هانحن يعترض  
طريقنا رجل أعرج ويسأل عن النصراني  
أهو ألماني؟ فأجيب بالإيجاب، ويحدثنا  
الرجل مغموراً بامتنان عميق عن طبيعة  
ألمانية عالجت كثيراً من الناس هنا،  
أحدهم هو ولولاها لبرت ساقه، وذلك  
الذي يمشي هناك، كان يعاني إسهالاً  
حاداً فعالجته، والآخر هناك عند بوابة  
المسجد، ذلك الذي يقرأ القرآن، جبرت له  
كسر يده، وآخرين وأخريات أعانتهن على

مدى سبع سنوات. كانت امرأة طيبة ولم  
ننسها رغم مرور أربعين عاماً على  
مغادرتها. اسمها "إيفاهوك" وقد كتبت  
كتاباً عن خبراتها في تعز وحضرموت،  
أوردت فيه عن أجمل الكلام، إنها من  
هامبورج، هل يعرفها هذا الألماني؟  
علق الألماني باسماء وأنا انقل له السؤال  
الأخير: لا شك إن هذا الرجل يعرف كل  
أهل الوادي فاسأله عن فتاتك، أسأله عن  
سماء، نعم فتاتي ثانية.. جميل أن  
تتذكرها معي، بدل أسئلتك البلهاء عن  
أنواع الأكل وسر طعمها اللذيذ، وعن  
عمر المدن وطرزها المعماري في شبام  
وتريم وإن كان به أثر من الهند أو  
بريطانيا. غادر ولو لبرهة من الوقت  
منصة الأسئلة المضنية واهبط إلى  
واحة القلب، وتذكر معي كيف صعدت  
السيارة وجلست بقرب النافذة وأخرجت  
رأسها تودع ونحن نقف كالتماثيل،  
وصرخة كادت تنطلق وتفضح المستور،  
ألم ترها وهي تحرك كفها بعدئذ مودعة  
ونحن لا نجرو من نظرات المارة على  
شيء، أنفهم يا فتى هامبورج، لقد كان  
الرمل كله شاهداً على ميلاد لحظة حب،  
وحين ابتعدت سماء، سمعت نشيد الرمل  
يردد معي ما أبدعه الشريف الرضي في  
سنوات عشقه الخالية:

فتلفت عيني فمد خفيت

عني الطلول تلتفت القلب،

أني لك أن تفهم هذا يا أخي.. ليتك  
تصغي قليلاً إلى نشيد الرمل وتساعدني  
على احتمال الأيام الباقيات.. أيام.. أراها  
دهراً يستطيل وبعداً لا دنو له.. أيام  
ويأتي الموعد يا صاحبي وستكون هناك،  
إنه مشهد بهيج كما يخبرنا كل أهالي  
تريم ويخرج إليه الصغير والكبير، وهو  
تقليد عمره آلاف السنين ومناسبة للفرح  
والمتعة، وألستهم ستلهج كعادتها  
بالشكر والحمد لله.

طوبنا الأيام الباقيات في سياحة جذلة  
مرحة نتقل من مكان لآخر، وأحاول أنا  
جهدي نسيان الوقت والزمان، وأخلق فوق  
الهضاب والوديان، آه يا صديقي الألماني  
حديق معي فوق الهضاب والوديان، فقد  
نصادفها سحابة شاردة أو نسمة ناشيداً





107

العدد (4)  
أبريل  
يونيو  
2017م

هيا أيتها الجبال أعيدي إذاعة كلماتها  
صدي يتردد في الأفاق : إني أعذك  
بالجنة" وخيل لي أني أرى هذه العبارة  
ترتسم في كل مكان تصافحه العين..  
أترى أيها الصديق.. أترى ما أرى.. ليتك  
تجيد العربية يا أخا هامبورج، إذن لقرأت  
ما أقرأ في صدور الجبال " إني أعذك  
بالجنة ". يوقظني الألماني ببسمة  
ساخرة ويقول .. أيها المسكين.. الليل  
حالك ولا أثر لامرأة في هذه الدروب  
المنقطعة، والجبال صامتة خرساء  
كسالف العهد، فتخيل ما شئت، إنك  
تمتعني على أية حال. واصلنا السير في  
الأيام التوالي ثم بدأنا الصعود باتجاه  
سقف العالم، باتجاه هضبة (رحاب)  
المطلة على الخريبة، طوى الألماني  
الخريطة وحدق ملياً في السماء.. بعد  
ساعات وصلنا إلى هضبة (رحاب).. ها  
نحن في الأعالي.. والليل مسترخ بدعة  
ونشوى، والريح ساكنة وقد أوت إلى  
مهاجعا.. والسماء قريبة ينيرها قمر  
قريب، قريب جداً، يمكن تناوله واقتطاع  
قبس منه لنرميه طلسم سحر يعبر كل  
بلاد اليمن. إنها لوحة ليل أسرة.. لا  
ينقصها إلا مداد قلبين يكتب به على  
وجه حسان الوادي أو جميلات الساحل  
وفوق كل رمش وشعرة، معلقات الزمن  
الآتي لتمتلي حُضرموت وجداً جديداً  
ونسمع ثانية شعراً وغناء دان .  
" هذه البلاد واحدة للحب والصفاء،  
وملعون أبداً من يدنس فيها حبة رمل أو  
يصادر فيها براءة أهلها الآمين"، قال  
هذا السائح الألماني وأنا التفت إليه  
دهشاً مما أسمع، فقد صيرته هذه البلاد  
فجأة عاشقاً شاعراً، بل إنه أوشك أن  
يرتجف وهو يقول: " أخشى إن عدت بعد  
عام أن لا أجد هذه السكينة المرتخية في  
تفاصيل الطبيعة، أن لا ترافقني في  
زيارتي القادمة أية دهشة، ولا يتطلع  
الفؤاد لمجهول عزيز". قرر عيناً أيها  
الصديق فقد صمدت طويلاً براءة هذه  
البلاد.. وقل لي: أترى ضيفة قلبي  
المجهولة قد غادرت هذه الديار وذابت  
في الغمام ؟ فلم نرها ولم نصادف شيئاً  
من عطرها حتى الآن.

هذه البلاد الفردوس تكون كل تلك  
القسوة الصادرة عن شمس غرور، وتنشأ  
رغم ذلك تحت سماء حُضرموت الأثيرة  
قصص حب ملهمة، كتلك التي يرسمها  
المحضر في غنائياته ويشدو بها صوت  
مرسال والبديوي وبلفقيه. هنا تحت هذه  
الشمس يصل الانتظار المر لحبيب  
استثنائي الروعة منتهاه، يستقر به  
النوى أخيراً، ولن أنتظر بعد طويلاً كما  
انتظر عشاق قبلي مجيء المستحيل..  
فقد عانقته هناك في الساحة الرملية  
بشباب وأنا أستنشق الياسمين الفواح  
من صدر سماء. لم أعد أهتم إن كان هذا  
السائح الألماني يفهم توزعي في خلايا  
الهضاب المترعة بعطر الدهور، لم أعر  
أجهزة رصده الجغرافية التفاتاً وأنا  
أتحول حيناً وشوقاً في أعناق الإبل  
السائبة، وفي برار مقفرة أو في سفوح  
جبال جرداء. أنا في شغل عن هذا السائح،  
أبحث عن سماء في كل التفاصيل، أو  
أنتشر وسط الهجير برداً وسلاماً، ومن  
بين عشرات الأسئلة أجيب فقط بنصف  
عقل على سؤال واحد يصادف إنه  
يشغلني.

ها نحن تسبقنا قشعريرة اللقاء نطاً  
بوابات " وادي دوعن المهيب"، ومن  
بعيد يتناهى إلينا أزيز النحل فيسيل  
اللعاب شوقاً إلى عسل مصفى، لعلها هنا  
تقنع النحل بأنها أشهى من شاهده  
وأحلى من عسله، لعلها في تلك الدور  
الهاجة مسبحة للصلوات وأدعيات  
الحب الحميم، لعلها هناك في القرى  
الساكنة بلسم مودة وصفاء، لعلها عند  
أكوام الشقوق المبعثرة في كل صخر  
وحجر، أو المعلقة في سعف النخيل،  
لعلها مخبأة في ثمار الجوز المتدلية،  
لعلها هناك عند سقايات الماء التي  
تحثني بالغريب والقريب..

عند واحدة من تلك السقايات نصبنا  
خيماً للنوم وأخذنا في هداة الليل،  
نعابث شطح الخيال ونتمنى وسط كل  
هذه العفة العزيزة لأهل حُضرموت، أن  
تكرمنا الجبال بطلة أخرى لوجه سماء،  
لأكفها لأناملها لروحها لطعم حديثها  
ونغم صوتها الراحل في الإثارة والشجو.

في الغمام، لعلها مثلي تماماً سائحة في  
بلادها بعد غربة وابتعاد.. الآن نستطيع  
التجول حيث شئنا.. إن في داخلي طاقة  
لزيارة كل شيء ورؤية كل شيء، وفي  
لساني طلاقة لأشرح لك ما تحب حتى أتفه  
التفاصيل.

أيقن الألماني أني مسني العشق، وأنني  
صرت من الغاوين. ها نحن نتمخطر بين  
منازل ودروب، بين بشر وحقول، بين  
أفراح وأتراح، وسط رمل محرق تارة،  
وقرب جبال شاهقة تارة أخرى، هاهم أهل  
حُضرموت يمرون مرتسمة على  
وجوههم شمائل صفاء إنساني وبسطة  
الأيام الأولى للاجتماع البشري.. هناك  
بركة ماء لا وراد بجانبها، وكأنها هناك  
فقط لسقي النخلة الباسقة على ضفتها،  
يبدو أن لا أحد يعتدي على حملها  
الجميل، وهناك قطيع أغنام وراع في  
هيئة فاتح نبيل، ممتشقاً بندقية، ويفرغ  
في جوفه ماء بارداً من زق لم نعد نراه إلا  
في هذه النجوع الطيبة، وهناك عند حافة  
المنحدر سقاية لإرواء ظمأ العابرين، دون  
سؤال عن أشكالهم وألوانهم، هيئات  
نسائية تتحرك من بعيد، ليس بينهن  
سماء.. إذ لا عين ترسل أشواقها إلي ولا  
أرى كفاً يتحرك للسلام.. كانت النشوى  
داخلي تزداد اتساعاً وتألّقاً ويزداد مس  
العشق عمقاً وأنا أرى الطبيعة البهية  
حولي محنية الهامة تواضعاً ترحب  
بالزوار وتسألهم اللطف في معاملة  
أهلها الطيبين.. أرفع رأسي لأنظر إلى  
السماء.. باحثاً عن سمائي فلعلها هناك  
غمامة رحيمة أو غيث حميم.. لكن  
بصري يرتد خاسئاً وهو حسير، فأعود  
أحدق في الأنحاء، في المدى الممتد  
والأفق البعيد، ثم أحدق ثانية حولي فأرى  
بيوتاً في هيئة قصائد شعر تفيض  
بالسكينة والوقار، وتوشح عابر السبيل  
والغرباء بأكاليل الدهشة ودغدغات  
الفرح اللذيذ.

رويداً.. أخذت سماء تتشكل  
داخلي تمثالاً نورانياً يهمني طاقة للتأمل  
والحب وتزداد وضوحاً واكتمالاً كلما  
تسلل عالم الجمال الحُضرمي واستقر  
معها برفق في صدارة الوجدان. أفي





هانحن نعود من تطوافنا ونصل تريم،  
فأيام قلائل فقط تفصلنا عن موعد  
سباق الهجن.. هانحن نهجر الأضواء  
الصادرة عن فندق قصر القبة وندخل في  
رحم غابة النخيل المجاورة، تراقفنا  
موسيقى الماء بخبره وجريانه بين جذوع  
النخل كما قبل ألف عام.  
وسط كل هذا الليل الأسر بنجومه  
الملهمة للسمو، تجود علينا الجبال  
بسقوفها المنبسطة، غابات النخيل،  
ولانهائيات المدى، برجع تواشيح لعالم  
الملكوت، تبسط السكينة في كل نفس،  
وتجعل كل الوادي يتضوع مسكاً  
وشجوناً، إنه الصمت... الصمت الخاشع  
كالصلاة، وعند نهايات الوجد والتلاشي  
في لوحة الليل البديعة هذه يتناهى إلينا  
من بعيد شجياً رخيماً صوت أبي بكر  
سالم بلفقيه بمطلع أغنيته الحاملة  
ليترجم لسان الحال:

سر حبي فيك غامض سر حبي ما انكشف.  
ويغيب الصوت ليتردد رجعه في  
الأعماق، ويخرج نداءً متكرراً في الطرقات  
والدروب والخلوات.. تعالي أيتها  
السماء، ادنْ مني وانكشف أيها السر،  
انكشف لقريب غريب، وأعد إلي ضيفة  
قلبي . أصررت على الألماني ونحن ندنو  
ثانية من شبام أن نحج إلى حيث التقينا  
أول مرة، إلى تلك المساحة الرملية،  
لنستعيد اللحظات بكل زخمها والفتون.

وصلنا إلى المساحة الرملية ورأينا  
سيارات متنوعة ليس بينها من تقل  
سما، وكلها تعذ السير باتجاه منازل لها  
في القلوب منازل وأركان، ولها مثل ما  
تهب من شغف ولوعة. صعدنا ثانية إلى  
التلة القريبة المطلة على شبام لأمنح  
عيني أفقاً ومدى. سرحت البصر في  
الأنحاء ثم وجدتني أنشر أشعة تدخل  
الخدور وتكشف المستور، فأرى مخابئ  
الجميلات ومكتبات العلماء، فالعلم  
والحب من خصوصيات هذه البلاد  
الفردوس.

بهر الألماني وأنا أشرح له هذا الأمر،  
واستطال غروره قليلاً وهو يقول، الآن  
فقط أدرك أن كل قصص الحب العربية  
التي قرأنا عنها وهم وسراب، وأن اللغة

والشعر عوالم خاصة تعوض الفقد الأليم  
للحب في الواقع ليتجلى شعراً ونثراً  
وأحلاماً كالتي أسمعها منك يا صديقي  
العزیز، هذا هو الشروق إذن، الآن أدرك  
فعلاً سر القول بأن العرب أمة من  
الشعراء.

جاء اليوم الموعود، وها نحن في تريم  
ننتظر مع المنتظرين، ولئن كان كل هذا  
الحشد يريد رؤية سباق الهجن، فأنا  
وحدي من يريد رؤية سماء، ذهبنا إلى  
الشارع الموعود مبكراً، للحصول على  
مكان، ولمراقبة القادمين، فعلى الرغم  
من أن كل مبالغات التصوير للحشد  
المنتظر إلا أنه فعلاً كان الحشر بعينه،  
نساء ورجال وأطفال، على جانبي الشارع  
وفوق متاريس الأفنية، وفي النوافذ  
الجميلة لبيوت آل الكاف، أفٍ لهذه  
العباءات السوداء ولهذا النقاب، إذ يبدو  
أنني لن أتعرف إلى فتاتي لأدع الخلق  
مشغولين بسباق الجمال لنقيم نحن  
سباقاً خاصاً للعناق والنشوى.

أرى الآن حركة كثيفة وأسمع أصواتاً  
مختلطة في كل الشارع، ومن حين لآخر  
يظهر جمل براكبه يمشي رويداً مختلاً  
بين الجمع، لكن السباق لم يبدأ بعد،  
قيل لنا، فالجمال تقبل من أول الشارع  
مهرولة جملين جملين ليعرف الفائز  
منهما، والأمر لا يخلو من خطورة، فقد  
تقذف العيس براكبها وتحدث الجراح  
والآلام وربما الموت.

يبدو أنني لن أنجح في اكتشاف مكانها،  
عينا تطوفان بين أكوام النساء، وبين  
النوافذ وتستقر عند كل كف مدلى، فلا  
يتحرك بالترحاب، ولا أرى لهفة في  
العيون، ولعلها هي الأخرى لم تتبين  
موقعي، فأنا أعتلي سطح بيت قصير  
الارتفاع، وأجلس إلى جانب مصور يريد  
توثيق المشهد عن قرب.

وسط اليأس من اكتشافها بين الجموع  
لمعت في خيالي فكرة سكنتني بقوة كما  
سكنتني أشواق الدهور قبل ذلك. قلت  
للألماني: اسمع أيها الصديق، أريدها في  
الأقل أن تراني وتعلم أنني جئت من أجلها،  
سأعبر الشارع كله وقد تراني فأسمع همساً  
أولهفة أو أرى كفاً يتحرك للسلام، فإن لم

يحدث هذا فسامضي حتى نهاية الشارع  
وسأغيب في المنعطف، وسأحاول هناك أن  
أركب جملاً وأدخل به السباق، وهكذا لا بد  
أن تراني، ومن يدري فقد تهول إلى  
الساحة وألتقطها خلف بعيري ونطير نطير  
بعيداً في السماء.

لم أقل للألماني أنني لم أركب في حياتي  
جملاً، ولن يصدقني على أية حال، فهو  
مثل غيره من الأوروبيين يحتفظون لنا  
بصور كثيرة، في مقدمتها، أن العرب  
جميعاً حداة وراكبو جمال! لكني لست أبهاً  
به الآن، أنا حقاً لا أجيد ركوب الجمال، وقد  
يحدث لي مكروه بدلاً من البطولة  
المنتظرة.

نزلت إلى الشارع ومشيت وأنا ألتفت  
بجراحة غير مناسبة، أنفحص أكوام النساء  
والأكف، فلا أرى شيئاً ولا أسمع مناداة.

وصلت إلى حيث تقف الجمال ولم  
يكلفني إقناع المتسابقين شيئاً، فقد  
أثارت فكرتي فضولهم، وعلى الرغم من  
الشروح عن كيفية ركوب الجمال فقد  
كانت التحذيرات من السقوط هي  
الأخرى واضحة، لكني لم أكن مستعداً  
لسماع وعظ يقنعني بالعدول عن  
الفكرة. أريدها أن تراني، وستعرف هي  
بعد كيف تجدني لنبدأ سوياً رحلة حب  
أبدية تورق وجداً وسلاماً.

وداعاً يا صديقي الألماني، الطائرة  
تنتظر، وأراك مشوقاً للقاء هلاك  
وأحياناً، أنا لن أبرح هذه الديار، حتى  
أجدها أو أكون من الهالكين. فارو عنا  
جميلاً قدر ما تستطيع، وصف لأهلك  
بالتفصيل لحظة سقوطي من ظهر  
الجمال، وكيف تلفقتني النسوة بالأكف  
الرحيمة وهن يتدافعن لالتقاطي،  
ولعلها كانت بين اللاتي التقطنني من  
الطريق لكي لا تدوسني بقية الجمال،  
لست أدري.. لكني في غمرة الإغماء  
واللاوعي أحسست بالأكف الرحيمة  
تحتضن وجهي، وتهدهد فؤادي، وبهمة  
الرجال يسارعون لجبر كسوري، وختلني  
أسمع كلمات الغوث والدعاء من كل  
حذب وصوب.

وما يزال صوت هو صوتها يرافقني،  
ويماً سمعي...إني أعدك بالجنة...





# شيء من المكلا وأشياء عن حي الشهيد



عبدالله ناصر السيلي

الإنساني . ما زالت تلك " المطاريق " تحمل من اسمها الأخير النصيب الأكبر من الخلود مدى الحياة وما بعدها ، و لا شيء سيطفئ جمالها القديم في نظري مهما جدّ الجمال وعانق قلبي محاولاً إضافة الكثير من اللذة بهذه الحياة التي بداخلي . هي لم تمت ولن تقتلها الأيام ستظل تحميها أمواج البحار من الأمام وتحرسها الجبال من الخلف ، وستظل هي الخلد والشهيد معاً تفوح من غيومها رائحة البحر المحلقة في الهواء، ورمال شواطئه الممتدة إلى مساحات غرفتي المقدسة.

تناص فريد مع ( خرقعة الجنيد ) . أسمع صوت أبي يتسلل بين الحين والآخر من ثقب رأسي مردداً عبارته المعتادة ( أربعة شلوا الجمل والجمال ما شلهم ) ، كلما عاد من رحلة الصيد رفقة أصدقائه من الصيادين مفرغين جميع الحمولة من الأسماك العائمة على قاربهم الصغير ، الذي يحمل اسم " المهاجر " ، مثلما أتذكر كل تلك الومضات تشرق من ذاكرتي لأخلق بين سماوات الطفولة وجمال تلك الحارة المفعمة بحبات كبسول الابتسامة والبساطة ، تلك التي تجعل وجوههم خاشعة بالكمال

لأنني ما زلت أحمل الفم الذي أبى المرضعات كلهن واستسلم للموجة كمرضعة ، أصبحت أدمن المكوث فيه كسمكة برمائية ولكنها تعشق ذلك الساحل الملبّد بالذكريات وأقدام الأمهات . هنا صنعت مكونات الجسد من البساطة والعفوية والصلوات في المدينة ، التي تشكّلت من ملامح وجوه قلوب ساكنيها الطيبين ، وسقيت بماء الوضوء ، وما تزال تتشكل وتحمل معها خرائط الماضي وعبق التاريخ الممزوج برائحة ( عمامة ) أبي التي ورثها عن أبيه إلى البذرة الأولى عنعنة ورطنتني في







110

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

# قبة المحجوب

من رواية حنين المراكب (٢ - ٢)



خالد الجملي

أعانق الصبر والقلق دون أن أجد تفسيراً واضحاً  
أو خيطاً يرشدني لمعرفة الحقيقة، وقد قطع  
التيار الكهربائي عن كل البيوت، وبقيت ممسكاً  
بالصبر والحيرة وليس بيدي شيء سواهما .  
انقضت ساعات ليلى مثقلة، فلم أكد ألمح خيط  
الفجر يتبدى في الظهور حتى ارتديت ملابسني  
وخرجت مسرعاً .. كان الشارع خالياً من الحركة  
والصخب اليومي . جميع المحلات والبقالات  
مغلقة إلا صاحب الفول والمخبازة الشهير  
المكنى بأبي محمد الذي ما إن شممت رائحة  
خبزه حتى ذهب نحوه واقتعدت كرسيًا تقبع  
أمامه طاولة نظيفة، وما أن رأيته حتى جاءني  
بكأس شاي وخبز وصحن صغير مليء بالفول  
الساخن ثم تركني وذهب صوب أحد الزبائن ..  
أكملت تناول إفطاري وذهبت نحو أبي محمد ..  
سالته بصوت منخفض ..

- ماذا حدث ليلة البارحة ...؟

ضحك مندهشاً .. ورد قائلاً ..

- سيأتي بك الفول إلى هنا مرة أخرى .. ثم  
تركني وذهب صوب عمله .

كنت قد أمضيت ليلة بانسة، ملؤها الضجر  
والقلق وانتظر أجوبة لحيثي وتساؤلاتي وقد  
بدأت أشك أن تأتيني إجابات شافية .. أشعر أن  
الحياة هنا بدأت تفقد صدقها وينتحر بهاؤها،  
واقتنعت أن الكلام الخالي من الأسئلة أفضل  
وأجمل، وسيقيني من الوقوع في المواقف  
المُرجة .. ما يخيفني هو أن نام ونصحو فنجد  
المدينة قد ذهبت ولم يبق شيء سوى السراب ..  
الجميل فقط أن أجد في الحلم أبواباً مفتوحة  
وغرفاً تسكنها أرواح تُجيب بصدق، وتصفي  
لكلماتي وتشعري بكثير من البهجة والإغراء ..  
الأمكنة أيضاً لا تكذب أبداً، في حين تنتشر على  
جدرانها الكتابات وكل يوم نرى كذبة وهماً  
جديداً .. صار الكذب يتصاعد من بيننا، ويأتينا  
في رسائل ذات أوراق أنيقة وبتوقيعات من  
بانعي الوهم والسراب لشعوبهم، وأصبحنا من  
ذوي الدول المصدرة للأكاذيب والمخاتلة .. رغم  
كل شيء ستظل خططي وبرامجي وفق مارسمتها  
من قبل وإن كان الوضع غير مستقر ولا يطمئن أبداً .

فأتساءل بدهشة :

- ماذا يفعل الناس إلى الآن في منازلهم ؟...

وترقب لحضوره ، وإذا بالقلق يدهم جهاتي  
ويطلق حمم حقه ويزرع حولي الجذب والخراب  
.. أصابعي تقبض على المطرقة بشدة فأضرب  
رؤوس المسامير الصغيرة التي تمسك بأعمدة  
الستائر . أشد قماشها بعناية وروحي تعانق  
خطوطها ونقوشها الزاهية .. ومن شرفاتي ألمح  
في الخارج سواداً يتصاعد بكثرة وأصوات  
انفجارات بين الشرج والخور تهز البنايات ويرتج  
لها زجاج النوافذ ويوشك أن يتطاير إلى قطع  
صغيرة .. أخرجت رأسي من النافذة لأرى الشارع  
وقد بدأت تأتيني بعض الأصوات المتداخلة .  
لحظت شباباً يتجمعون وآخرين يذهبون في  
اتجاهات متعددة .. نساء ترتفع أصواتهن في  
العمارة المقابلة لشقتي .. لا أدري ما يحدث  
حولي .. تذكرت للتو وجوه أصدقائي العم عوض  
باجليدة ومبارك والحاج سالم محروس ومحمي  
بانبوزي وأسوان وعوض صالح وما كانت تدور  
من أحاديث بيننا .. وميض مبهم ينز بذاكرتي  
وما كان يأتي على لسان العم عوض باجليدة  
الذي ألمح في أحاديثه الحنكة ومجالية عصور  
لاتزال تقبع بذاكرته .. أغلقت النافذة المطلة  
على الشارع وأخذت أقلب في بعض الكتب التي  
تمتلئ بها غرفتي .. وقع صدفة بين يدي كتاب  
(دموع العشاق) للشاعر حسين المحضار .. الوقت  
غير ملائم للقراءة واللحظة ملائمة بأشباح الرعب  
وكوابيس العتمة وغياب شمس الحقيقة .. قرأت  
كثيراً من العناوين في أوقات سابقة .. مررت  
كثيراً على صفحات هذا الكتاب الذي يعيش  
مسافراً بين روعي وحقائب سفري . عشت فيه  
أكثر من سنين عمري ..

هو الوحيد دون كل الكتب احتلت كلماته وأحرفه  
مساحة هائلة من ذاكرتي وروحي .. وهج الحب  
ومشعل العواطف الصادقة .. خرائط تسلك  
بالروح إلى ضفاف وأمكنة يتوالد فيها النور  
والحنين وتنسكب الأشواق لتضيء دروب الحب  
ومسالك العاشقين .. الآن أيقنت أن هؤلاء لم  
يقرؤوا هذا الكتاب .. لو قرؤوه يوماً لما وصلنا  
إلى نهايات ومأس مميته .. لو عرفوا الحب لما  
غرسوا الكره ونقشوه على جدران الأزقة وفي كل  
المناحي والأمكنة .. أغلقت ووضعت بين جملة  
من الكتب في دولايب خشبي، وبقيت وحيداً

بعد كل ذلك العمر .. هأنذا الآن أجد ما جئت  
أبحث عنه، في مساحة صغيرة ضاع فيها أهلها  
وصاروا ببعض غير أبهين .. لست بمنأى عما  
يحدث وصرت أقتسم الهم والوجع مع مدينة  
ضاققت بأهلها وصاروا بأرواحهم يضيّقون ..  
أتناول سلماً صغيراً من الصالة وأسندته بجدار  
غرفتي كي أثبت الستائر على النوافذ والباب  
الذي ينفّث على البلكونة، وكلما جاءتني نسمة  
باردة زادتني تشوقاً وغمرتني في أعماق تيهي  
الجميل .. رغبة تجتاحني في الاختلا بنفسي  
لأرتب شقتي وأشتري ما أحتاج من الأشياء وأتهيا  
للقيام بروح وذاكرة صافية .. يدهمني الوقت  
ولم أنجز إلا قليلاً من حوائجي ومتطلبات  
المرحلة القادمة . في حين تغير الزمن ولم يعد  
مثلما كنت أعده، ولم تكن الأشياء مثلما رأيته  
وعشتها .. تبدلت الأرواح وتغيرت الطقوس  
والعادات كثيراً .. متعب من هو مثلي . لن تصل  
يدي إلى كل شيء . ويد واحدة أين سيبلغ مداها..؟  
سأبذل قصاري جهدي . سأجتاز بالحب العوائق  
المربكة وستبارك صلوات شريفة خطواتي  
ومسالك، وإن ملأ الرصاص سماء المدينة وجاء  
ليسرق من قلبي الفرح ويطفئ ابتهاجات روعي  
التي أوشكت أن تكتمل .

- إن هو إلا الموت يودّ خطفي .

رجاء يمهلني بعض الوقت لأحتضن حلمي ليلة  
واحدة ثم يأت ويرحل بي . سأرتاح في قبوري  
وأندفن بجانب جدّي وإخوة أبي الذين جاؤوا في  
زمن أماتهم جوعاً ومرضاً ولم يمهلهم القدر أن  
يحقّقوا ما أتوا لأجله، ولم يبق منهم غير أبي  
الذي أعيد فيما بعد إلى أحضان جدّي ولم يبلغ  
حينها الرابعة عشرة من عمره .. ذلك العمر من  
الرعب والخوف الذي حدّثني به جدتي، أكاد  
أشم رائحته تقترب نحوي . بعض التفاصيل تمر  
أطياها أمام عيني . فأرى ضباباً يعيق خطوي  
ويغلّق بوجهي منافذ المدينة .. مازلت أنتظر  
الفرح ولم تزل روعي تنتشي النور القادم بتلهف





111

العدد (4)  
أبريل  
يونيو  
2017م

داخل كيس بلاستيكي مرسومة عليه شجرة  
الحناء واسم البائع وعنوان المحل سالم علي  
وأخوانه للحناء الحضرمي وناول شريفة ذلك،  
وأمام أحد المحلات الصغيرة توقفت شريفة ثم  
دفعت بالباب فوجدنا إلى داخله .. منته يدها  
وصافحت البائع ثم وضعت قبلة على يده ..  
اندهشت لذلك .. فنظرت نحوي مبتسمة .. وقالت :  
- إنه خالي محمود .. أعلم أنك لم تلتقه ونسيت  
أن أخبرك بذلك .  
ففاجأنا معاتباً ..  
- لم تدعوني لحضور خطبتكما . ولكن .. مبروك  
وعقبال زفافكما .  
- قلت له مثل ما يقول من هم في مثل حالتي :  
- الله يبارك فيك .  
رد علي ممازحاً :  
- لقد سررت برؤيتك ..  
وأعقب بشيء من الجد :  
- ضع شريفة في عينيك، فلم يعد لها أحد سواك .  
أجبت به بشوق ووله :  
- هي في القلب ولن تعرف يوماً الحزن معي .  
شعرت في نظراته ارتياحاً وفرحاً عميقاً، حيث بدأ  
يعرض بعض الأقمشة على شريفة، وراحت  
تقلبها وتتجسسها بيديها، بدأ للخال محمود  
وكان لم يعجب شريفة شيء من هذه الأقمشة ..  
فقال ممازحاً :  
- ستأثيني بضاعة جديدة في الأيام القادمة .  
وانسحبنا بعد أن تبادلنا كثيراً من عبارات الود  
على أمل لقاء قريب .  
استوقفني أمام محل الخال محمود شاب صغير  
يقف في الشمس وبين يديه مسابح وساعات يد  
وقنائن عطر صغيرة، وعلى مقربة منه تقف  
امراتان تتضحكان بهزوه وانتشاء .. أمنت النظر  
جيداً في وجوه الباعة، فلحظت أن أكثرهم شبان  
صغار يجيدون البيع بحكمة وذكاء .. تلاشت  
وجوههم بعد أن غادرنا المكان صوب الشارع  
العام وروحي تهذي بقره وألم :  
- ما هذا الذي رأيت ؟  
كابوس من الأسئلة توشك أن تخنقني !!  
- كيف لوطن يترك أبناءه يعيشون بمشقة وعناء ؟  
يتلاشون بضبابية أممي ، أرى مالم يكن قد  
حدث بعد .. تنتشر في الأفق بقعة سوداء تتكاثر،  
خيوطها في سماء المدينة .. شباب وشابات وشيوخ  
وأطفال ينظرون نحو السواد .. يأتييني من طرف  
الشارع صوت المرأتين اللتين كانتا تتضحكان .  
- لا نريد شيئاً سوى الحياة .  
كنت حينها قد وصلت مع شريفة إلى منتصف  
الشارع المواجه لمسجد عمر ، وبين صوت يجيء  
وأخر يغيب تتزايد على حواف الطريق كثير من  
الأوراق المُرقة ، يمتلىء بها الشارع وتدوسها  
أقدام العابرين .

الأسلاف والأجداد الغابرة .

- أيها البحر .. لأنني أحب هذيانك وعمق صمتك ..  
سأهتف ..  
- أحبك ..  
- لزرقتك ودفنك .  
- لعمقك وسحرك .  
- لضحكائك الساحرة .  
- لاشيء يشبهك أبداً ..  
وقد بدأت المدينة تغادر سباتها ونومها  
العميق ، وبدأت الحركة تدب في الشارع وتتزايد  
أعداد السيارات وانفتاح المحلات التجارية  
بأكملها . وكل ما أحتاحه ذهبت لشرائه وإن  
نسيت بعضاً من الأشياء .. وقفت أمام أحد الباعة  
في سوق النساء . اقتنيت أواني للطبخ وعدة  
مكتمة لإعداد الشاي الحضرمي وبعض  
الأطباق والكؤوس وأواني أخرى متعددة . تركت  
البائع يضعها لي في كرتون كبير كي يسهل  
علي حمله .. وبينما كنت أناوله النقود إذ شعرت  
بيد تلمسني من الخلف وصوت يأتيني قائلاً :  
- اقتن الأشياء التي نحتاجها فقط ، وما تبقى  
دعه لوقت آخر .

نظرت خلفي فتملكتني الدهشة ولم أصدق ما  
رأيت .. كانت شريفة برفقة الدكتورة أمال ..  
لحظة ارتباك سرت في كل مفاصلي . فقدت  
لساني الأحرف وأضعت حينها الكلام .. كان  
صاحب المحل يرقبنا بفضول ودهشة .. طلبت  
منه أن ينالوني حاجتي وغادرت المكان برفقة  
شريفة والدكتورة أمال .. أتعمق داخل السوق  
للتبضع فأكتشف عالماً لم أكن أتخيله .. توقفت  
الدكتورة أمال فجأة لتحادث شخصاً فهمت من  
حديثهما أنه دكتور يعمل معها في مستشفى  
ابن سيناء الحكومي .. كانت تسأله عما قد قام  
به من إجراءات ومتابعة لاستخراج رخصة فتح  
صيدلية في عيادتها الخاصة، وقد أخذ الحديث  
بينهما وقتاً طويلاً فاستأذنتهما شريفة وذهبتنا  
في دربنا وخطونا الجميل .. همس الشارع  
يملؤني بروائح عطره، بأصواته التي تنبعث  
من كل اتجاه، بعماراته وأبنيته البيضاء العالية،  
بأشياءه الأنيقة الزاهية .. لا أحد غيري يشعر  
بارتجافاتي الضاجة بداخلي في زقاق ضيق تكثر  
فيه النساء ويقبل فيه الرجال .. تأخذني ألوان  
أزيائه وأقمشته المتنوعة .. عالم باريصي ينضج  
بالأناقة والبخور والعطور المستورة .. كل شيء  
هنا مدهش ومغر .. كلما غادرني طيف توالدت  
بداخلي ألوان وأطياف أخرى .. تعبرني الأزقة  
واحد تلو آخر . فالتصق بالنور المنداح في زقاق  
لم يعرف القسوة ذات يوم .. أشعر وكأنني خارج  
من معتقل لا أعلم كم من العمر قضيت بداخله  
.. أسعل بشدة لرائحة الحناء والهرد والعلك  
واللبان . وقد وضع البائع ثلاثة أكياس من الحناء

- كيف أمضوا ليلة البارحة ؟

تطاردتني الأسئلة الحارقة وتأخذني محطات  
الألم من موقع لآخر ، وقد دفعت بالناس أسنلتي  
إلى الهروب مني وتركي وحيداً ، والأدهى من  
ذلك . الخوف والتوجس الذي لحظته في أعين  
جيل خذله القدر ولم يحالفه الحظ لصنع ما يحلم  
ويريد .. غادر نصفه وما تبقى يعيش الفاقة  
وموت الحلم ويتها لمغادرة الوطن .. أحتمي  
بالبحر لوقوعي تحت طائلة الأسئلة المشبوهة ..  
يمر في عمق البحر قارب صيد صغير .. نظرت  
نحوه بتفرس واشتاء ..  
- البحر إذن لم ينم ولا يخاف الرصاص ولا يعبأ  
بالضجيج والأصوات الصاخبة ؟  
يصنع أفقه دون أن ينظر لأحد . أشعر وكأن كلاً  
مننا يتأمل الآخر . لمحت في الزرقة ومضاً يوشك  
أن يخبرني بشيء . بينما مازلت لم أخلع عباءة  
المساء وروحي لاتزال مشحونة بجنون الحيرة  
ومعرفة كثير من التفاصيل . وبين أصوات النوارس  
ورذاذ الأمواج المتلاحقة نظر نحوي هامساً ..  
- شششششششش ..  
- عش كما تشتهي ولا تنظر إلى الآخرين .  
أشعني شوقاً وحرانق وأطفاني حيرة وقلقا . لم  
أستطع الإمساك به ولم يدعني أكمل تساؤلاتي  
المؤجلة .. لم أكن على موعد سابق معه ، بل لم  
أكن مهيناً للقاءه وفي هذا التوقيت بالذات ..  
أشفق على مرتادي البحر كثيراً إنهم لا يدركون  
اللحظة التي يمسكون خلالها بوميض سحره  
وزفرات دفنه التي يطلقها بين عمر وآخر .  
حين أجلس هنا أنسى عالمي وما يحيط بي .  
أعيش في كوكب آخر . عوالم لا تعرف الزيف  
وتعشق الحقيقة .. باغتني سؤال نادل البوفيه  
القريب مني ..  
- أتود أن أحضر لك شيئاً ؟  
رفعت بصري نحوه قائلاً :  
- شكراً لك ..  
فابتسم وذهب صوب زبائنه الذين بدأوا يقفون  
أمام البوفيه الخاص به .. شعرت في صوته حباً  
ودفناً وفي عينيه أسئلة ودموع وطن .. كنت أود  
أن أستوقفه ولكن تركته يذهب نحو عمله وفي  
رأسي سؤال وسؤال .  
- نحن أمة ذات مجد وحضارة، ذات إيمان وحكمة ..  
كيف صرنا نترقب النور أن يجئنا من أمكنة بعيدة ؟  
إن عظمة حكمتنا في أن تظل تحوم حولنا ولا  
تغادرنا لكي لا نبقي في توجس وترقب شديدين .  
- كيف أنت اليوم أيها الحكمة والإيمان القابع  
في الأرواح والذاكرة ؟  
في انتظاركما بلهفة وعجل، وجميل أننا لم نفقد  
حواسنا بعد ومازلنا نرى الأحرف ونضع على  
حوافها النقاط لإشباع الجمل والكلام . رائعة  
كلماتنا المشبعة بالأحرف والملأى بعبق





112

العدد (4)  
إبريل  
يونيو  
2017م

## حكايات من المشقااص



بين الحقيقة والخيال ، وبين قصيعر والبحر يروي الأجداد قصصاً لا تنتهي ، ليست العلاقة ودية دائماً ، البحر سر وجود قصيعر، فلولاه ما قامت بلدة في هذا المكان ، لكن البحر أيضاً أخذ من بيننا رجالاً لم يعدهم إلينا ، ولم يخبرنا أماتوا أم ما زالوا أحياء ؟

## مصرع الشاعر بن علي عامر

لم تعجب بن علي عامر هذه الحياة فيما يبدو ، ومن أشعاره القليلة المتبقية نلاحظ شيئاً من هذا ، يقول :

( تكذبت عا حالي وقد كنت سالي  
وزقلتني زقل في أرض خلوية  
ماحد يبيع الوفا بالتماني ويعذب الولهان  
كدر علي حوض صافي وقد كنت نشرب بهنويه  
وفوين أهل الكرم والفضيلة لي يسقوك يا الضميان  
ما حد دري ما بعالي عا حس نا دوب في القلب حنية  
أرضي بعيدة وكم صابر على البخس والنقصان )  
رحل بن علي عامر عن معبر وقيل بطلب من المقدم عمرو بن القور ، فذهب إلى دمخ حساي واستقر هناك في جوار بعض آل كثير متحيناً فرصة للهروب بحراً إلى عدن ثم يافع .

تبحث عن المرأة في حياة بن علي عامر لتجدها سبب كل مشاكله ، فقيل كانت هي السبب في قتله لزميله ، ولخروجه من معبر ، ثم هي من أسدلت الستار لقصته لتضع حداً لحياته حين تعلق في تلك النواحي بامرأة متزوجة ، وقد تكون الروايات التاريخية الشفهية التي وصلت إلينا ظلمت بن علي عامر ، فقد تكون مجرد شائعات لكن للأسف هذا ما قيل عنه ، وتلمح في

روحه . خرج ذات يوم متأنقاً كعادته يريد المشاركة في حفل كان مقاماً في ساحة قصيعر العامة ، - الساحة حالياً غرب مسجد بلكديش - وفي أجواء - لعبة شرح صاخب لم ير إلا القليل من الحاضرين بن علي عامر وهو يستل خنجره ليغمده في أحشاء يافعي آخر ويلوذ بالفرار متسلقاً السور متحاشياً الاصطدام بزملائه من الجنود الموجودين جوار بوابة قصيعر - السدة ، فلم يستطع أحد اللحاق به لسرعته فانطلق نحو - مهينم - وبقي يومه في الجبل يراقب مقبرة باعلوي بقصيعر من بعيد متمنياً أن لا تخرج جنازة في هذا اليوم أملاً أن يكون زميله قد أصيب ولم يموت ، لكن لم تمر إلا ساعات حتى خرجت جنازة زميله فرأها من بعيد ، فعلم أنه أصبح قاتلاً مطلوباً ، يمم بن علي عامر ناحية قرية معبر ودخل في جوار المقدم عمرو بن القور ، الذي رحب به ووفر له الحماية فمكث في معبر فترة من الزمن وعن حاله في معبر يتحدث فيقول :

حل البدواة بن علي عامر

ترك القلمة وما فيها

ما حسب زايد ولا فاضر

من باوعل للضبوق للمعيان



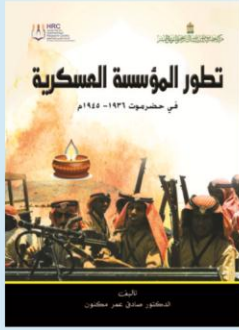
فائز محمد باعباد

هو أحمد بن علي عامر البعسي اليافعي ، قدم من يافع في مستهل القرن الماضي مع من جلبهم السلطان القعيطي من جنود ؛ فذكرت له صولات وجولات في ربوع المشقااص لكن استقراره كان في قصيعر حارساً في حصن الربع ، شمال شرق السور ، اجتمعت في بن علي عامر صفات الشعارية والشجاعة وعزة النفس ، وكان شاباً وسيماً كريماً ذا أنفة ، لا يقبل الضيم ولا يتعاشش مع الهوان ، تعلق بن علي عامر كما يحكى بحب النساء فتشبه بهن وغامر معهن وتعددت مغامراته حتى فتح هذا الباب عليه نار الغيرة التي لم تطفأ إلا بزواله وانطفاء





## إصدارات جديدة



### تطور المؤسسة العسكرية في حضرموت

١٩٣٦ - ١٩٤٥م

بناءً على الرغبة المشتركة عند كل من مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، ومركز بحوث حضرموت للدراسات وتنمية المجتمع التابع لجامعة الأحقاف في تعزيز العلاقات بينهما، ومد جسور التعاون العلمي بما يسهم في تطوير خططهما العلمية وإثرائها، وانطلاقاً من تماهي أهدافهما العامة في العناية بالإرث الحضاري والثقافي لحضرموت وتوثيقه ودراسته فقد صدر عن مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر كتاب (تطور المؤسسة العسكرية في حضرموت ١٩٣٦-١٩٤٥م) للدكتور صادق عمر مكنون أستاذ التاريخ الحديث المشارك بجامعة الأحقاف، ونائب رئيس الجامعة مشيراً في كتابه إلى أنه بدأ تطوير وتحديث المؤسسة العسكرية في حضرموت في المدة من ١٩٣٦م إلى ١٩٤٥م وقد حدث لها تطور نسبي في المدة اللاحقة حتى ١٩٦٧م.

ويهدف الكتاب إلى تعريف الجيل الحالي والأجيال القادمة بتجربة تاريخية حضرمية رائدة بإيجابياتها وسلبياتها، والكشف عن دوافع هيكل المؤسسة العسكرية وتنظيمها وتطويرها، ودوافع تأسيس جيش البادية الحضرمية ومسار تطوره في سنواته الأولى، والتعرف على قوانينه العسكرية وأنظمته، والخدمات التي كان يقدمها، والأثر الذي أحدثه في مناحي الحياة المختلفة في حضرموت عموماً وفي حياة البدو خصوصاً.

ولذا فإن ما كتب عن المؤسسة العسكرية عموماً وعن الجيش الحضرمي بشكل خاص كما يشير الدكتور صادق مكنون هو عبارة عن مذكرات وذكريات، وهي وثائق تاريخية مهمة يستفيد منها من سيكتب عن المؤسسة العسكرية في المستقبل.



### عابر سبيل

صدر عن مكتبة الصالحية للنشر والتوزيع بغيل باوزير محافظة حضرموت الطبعة الثانية من كتاب (عابر سبيل) للأستاذ الدكتور عبد الله سعيد الجعدي، بعد نفاذ طبعته الأولى الصادرة عام ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م التي لقيت احتفاء وإقبالاً من قبل القراء لكونها تتناول وقائع من حياة المكلا وغيرها من مناطق حضرموت سياسياً وتربوياً وتعليمياً واجتماعياً.. بأسلوب شائق جمع فيه الدكتور الجعدي بين طبيعة الراصد التاريخي وفنية الأديب فجاءت عبارة

الكتاب ذات خصوصية تشويقية جاذبة، وكما قال الأستاذ الدكتور عبد الله حسين البار في مقدمة الطبعة الأولى من الكتاب فإن المقالات "صيغت بعبارة أدبية مشرقة البيان تدل على اعتناء وصناعة لا تخليها من شعرية يعرفها المرهفون من الأدباء".

وفي تصدير الطبعة الثانية من الكتاب الصادرة حديثاً هذا العام (١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م) كتب الأستاذ نجيب سعيد باوزير "هذا كتاب أزعج أنه يمثل إضافة إلى المكتبة الحضرمية والمكتبة العربية عموماً، ومكتبة الصالحية للنشر والتوزيع تفخر أن يصدر هذا الكتاب عنها في طبعته الثانية، فهو كتاب فريد في نوعه، وأنا أشكر المؤلف أ.د. عبد الله سعيد الجعدي على إثارة (الصالحية) بهذا الشرف، وقد أعدت - لهذا الغرض - قراءة فصول الكتاب فاستمتعت بهذه القراءة، وكأنني أقرأه للمرة الأولى. فالكتاب على الرغم من أن كاتبه شخص أكاديمي متخصص في التاريخ، إلا أن كتابه هذا - ومثله الكتاب الذي سبقه (أوراق مكلاوية) - يدخل في خانة الأعمال الإبداعية، ولا غرو أن يلمس هذه الناحية في الكتابين كل من قراهما وتكلم عنهما من النقاد والمهتمين.

بعض قوله نفيه عن نفسه قببح الخصال  
ليقول لنا:

أنتم بغيتونا لقي عيبه

ونا طريق العيب ما جيبها

وما عرف للكذب والغيلة

نسري على ضوء القمر لا بان

لكنه يقول في بيت آخر:

يا صاحبي كانت معي عوله

من قبل عا صابح وما سيبها

واليوم شلوها بالحيلة

قدها بيد الظلم والبهتان

وهنا يتحدث عن - عولة - أخذت منه، -

والعولة - طائر جميل معروف في

المشقص، وهو بهذا يقصد امرأة

بالتأكيد، لذلك ربما كان لا يرى في علاقاته

النسائية عيباً، أو أنه كان متزوجاً - للعولة -

التي تحدث عنها ثم أخذت منه أو أجبر على

فراقها.

قيل دخل بن علي عامر كما ذكرنا في

علاقة شائكة مع امرأة متزوجة نظن أنها

صورت لزوجها براءتها وألقت عليه لوم

التشبيب بها ومطاربتها فأخذت الغيرة من

الزوج كل مأخذ فخطط لقتله، وقيل إن

مخطط قتله كان وراءه ذوو قتيله في

قصير، الواضح أن قاتله كان يعلم

صعوبة المهمة وشجاعة وفروسية وهمة

الهدف فأيقن أن الأمر يتطلب حيلة فلم

يجد إلا أن ينصب له شباك امرأة وهي

نقطة ضعف الرجل المجربة، فواعده

بإيعاز قاتله فتمنى لقاءها، ولم يحذر بن

علي عامر مما تمنى، وفي عصر أحد أيام

العام ١٩٤٠م على سبيل الظن وقبل

غروب شمس ذلك اليوم كان بن علي عامر

واضعاً رأسه على رجلي تلك المرأة

المصيدة تحت ظل شجرة يحدثها وتحدثه

، وفي ساعة سليمان لم ينتبه بن علي

عامر إلا ورجل يظهر عليه كأنه مارء مصوباً

عليه بندقيته مقترباً منه قدر الإمكان حتى

لا تصيب رصاصه المرأة، حاول النهوض

كي يتناول بندقيته المعلقة على الشجرة

لكن المرأة تمسكت برأسه وشعره كي

تثبته لقاتله، قيل أخذ بن علي عامر خنجره

من خاصرته وقص خصلاته شعره كي

يتملص من بين يديها لكن قبل ذلك

باغتته رصاصة فسقط قتيلاً... عليه رحمة

الله فقد قيل: (فمن قتل يقتل ولو بعد

حين).





# يا ناس خلّوا الصياح

((يا حضرموت افرحي .. كلين بالسر باح  
واجبي الليالي الملاح .. الفقر ولّى وراح  
بترونا بايجي .. يا ناس خلّوا الصياح  
ريحه في الاحفاف فاح .. الفقر ولّى وراح))

\* \* \*

بعد أبيات شعرية تؤكد على الفرح ،  
وتبشر بالأمل ، والليالي الملاح لا ينسى  
الشاعر حسين محمد البار تضمين نصيحة  
ذهبية للناس بأن يكفوا عن الصياح  
والكلام غير المباح أو لعله أراد أن يقول لهم  
إن الفرح والضجيج قطبان لا يلتقيان وخلال  
أكثر من نصف قرن صارت هذه القصيدة  
(البترونية) ترنيمة حضرمية حزينة سجلت  
مرحلة انكسار حلم حضرمي على عكس ما  
قصد قائلها من التبشير بميلاد عصر  
مزهّر مع سبق الإصرار والترصد.

كان خبر اكتشاف البترول واحتمال  
تصديره في ستينات القرن الماضي حلم  
الحضارمة العظيم فقد رأوا فيه الضمان  
الذي سيضع حداً لمعاناتهم المزمّنة ،  
وشتاتهم الواسع في أرض الناس لاسيما أن  
مواطن الهجرة التقليدية في شرق آسيا  
وشرق أفريقيا سدت أبوابها بعد الحرب  
العالمية الثانية وتعقيدات التطورات  
السياسية الدولية ما بعد المرحلة  
الاستعمارية ، وصرخة البار لاستتباب  
الهدوء ربما ستكون عابرة ، وغير مسموعة  
في سياق قصيدة (أغنية) ضجت حروفها  
وكلماتها بالفرح وسحبت الأذهان إلى  
عوالم جديدة تتشكل بحسب اتساع خيالات  
أصحابها.

ومن منظور السياق التاريخي أو تاريخية  
القصيدة سيظن البعض أن القصيدة ماتت  
مع نهاية حلم ظهور البترول في حضرموت

وارتفاع الشركات العاملة منها قبيل عام  
١٩٦٧م ، فلا الفقر ولّى وراح ، ولا ظهرت  
الأيام الملاح ، وحتى عندما تدفق البترول  
من حضرموت في تسعينات القرن الماضي  
وما بعدها لم يحصد الحضارمة إلا مزيدا  
من الفقر والقهر ، وغابت قصيدة الفرح  
الحضرمية البترونية إلا على استحياء ، ومع  
هذا ورغم الضبابية نرى أن في متن  
القصيدة عروقا تنبض بالحياة وأنها  
تمضي إلى سياقات مؤجلة ربما سيجد  
بعض الناس في هذه اللحظات - التي  
تحاول فيها حضرموت صناعة نفسها  
والإمسك بزمام أمورها - فرصة مناسبة  
لاستدعاء القصيدة بعد ما ينيف على نصف  
قرن من الزمان من ظهورها.

لكننا عندما نعيد النظر في ماضينا القريب  
وحاضرنا المعيش لاسيما خلال القرن  
الماضي وحتى حينه نجد أن هناك محاولات  
من النخب الحضرمية من ساسة وعلماء  
ومثقفين وشخصيات اجتماعية سعت  
لتوحيد الكلمة وإيجاد آليات تجعل من  
حضرموت كتلة فاعلة في محيطها ، بيد أن  
هذه المحاولات تصطدم بعوائق منها :  
التنازع ، والتشاحن ، وغلبة الذاتية على  
المصلحة الوطنية وفي مثل هذه الأوضاع  
يتراجع عن حضرموت صوت العقل ويتجمد  
الفرح ، وإن لاحت بشائره ، وتفاصيل ذلك  
في كتب التاريخ. وخلال السنوات والأيام  
القريبة كنت شاهدًا على

محاولات (مخلصة) اجتهدت

للملّة الناس، وعندما

تحين موعد الكلمات

يتغنى الكل بحضرموت

حد البكاء والهيام ،

وحين تحين ساعة العمل وأفكار التأسيس  
يبحث الكثير منهم عن مكانه ، ومكانته وإن  
كانت قدراتهم أقل بكثير مما يتطلعون  
إليه.. فإن أعطوا رضوا ، وإن لم يعطوا  
يسخطون ويتذمرون فإذا بالانسابات  
(البترونية) تتناثر ، وإذا بالتكتلات تلو  
التكتلات تتفرخ ، ويستمر الصياح ، وفي مثل  
هذه مواقف يطل - أو هكذا يخيّل إليّ -  
الشاعر حسين البار في المكان لكن في  
ثوب جديد وملامح صارمة ونظرات جادة لا  
علاقة لها بالندنة والفرح ويبدو وهو  
يصرخ صرخته التي ما تزال ترن في أذني  
واثقاً من وصول صوته إلى الناس أو إلى  
رائد لا يكذب أهله.

يا ناس إن حضرموت لن تعبر إلى  
مستقبلها إلا بعقول المتورين الصادقين  
من أبنائها .. يا ناس لن تصنع حضرموت  
الجديدة في المجالس الفاقدة للوعي ،  
والغرف الموبوءة بالقات .. يا ناس التاريخ  
ولّى وراح .. يا ناس التاريخ للتدبر والتأمل  
وللعقول الصالح .. يا ناس المستقبل قَرّب  
ولاح .. يا ناس خلّوا الصياح...



أ.و. عبدالله سعيد الجعدي



بريشة : عبدالرحمن الجابري







# مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

Hadhramaut Centre for Historical Studies  
Documentation and Publication.

## من إصدارات المركز

